بحوث سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند

الإمامة الإلهية

تأليف

السيد محمد علي بحر العلوم

جلد چهارم

بسم الله الرحمن الرحيم

الامامة الالهية

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

فرصاد

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامامة الالهية(۵) المجلد ۴ ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
الامامة الالهية (۴) ----- ۱۲
تقديم ... ص: ۵ ----- ۱۲
المقدمة ...: ص: ۱۷ ----- ۱۶
خطّة البحث ...: ص: ۱۹ ----- ۱۷
الفصل الأوّل ... ص: ۲۱ ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
تمهيد ... ص: ۲۳ ----- ۱۸
التوسّل فی اللغة والاصطلاح ... ص: ۲۵ ----- ۱۹
۱- التوسّل لغة ...: ص: ۲۵ ----- ۱۹
۲- التوسّل اصطلاحا ...: ص: ۲۶ ----- ۱۹
التوسّل عبادة توحيدية ... ص: ۲۷ ----- ۲۰
دور الوسائط الإلهيّة وضرورة التوسّل بها ...: ص: ۲۷ ----- ۲۰
توضيح المدّعی ...: ص: ۲۷ ----- ۲۰
بيان الأدلّة ...: ص: ۲۸ ----- ۲۰
الأدلّة العقلية والتاريخية ... ص: ۲۸ ----- ۲۰
۱- الدليل العقلی ...: ص: ۲۹ ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
البيان الأول: (التوسّل بالوسائط الإلهيّة تحكيم لسلطان اللّه علی سلطان العبد ...) ص: ۲۹ ----- ۲۱
البيان الثانی: الاختلاف فی المراتب الوجودية ... ص: ۳۲ ----- ۲۲
البيان الثالث: وجوب الاحترام والتعظيم ... ص: ۳۵ ----- ۲۳

۲- الدليل التاريخى (السيرة ...): ص: ۳۸ ---- ۲۴
الأدلّة التحليلية ... ص: ۴۳ ---- ۲۶
اشارة ---- ۲۶
۱- مفهوم العبادة: (مفهوم العبادة ينفى الوسائط المقترحة ...) ص: ۴۳ ---- ۲۶
۲- القول بالتجسيم من أسباب جحود التوسّل ...: ص: ۴۶ ---- ۲۷
لقاء اللّه يوم الحساب بآياته وحججه ...: ص: ۴۹ ---- ۲۸
الفصل الثانى: الأدلّة القرآنية ... ص: ۵۵ ---- ۳۱
اشارة ---- ۳۱
الأدلّة القرآنية ... ص: ۵۷ ---- ۳۱
۱- (حقيقة التوسّل فى أربع طوائف قرآنية ...): ص: ۵۷ ---- ۳۱
اشارة ---- ۳۱
نتيجة الطوائف الأربع ...: ص: ۶۱ ---- ۳۳
۲- قصة آدم مع إبليس ... ص: ۶۲ ---- ۳۴
اشارة ---- ۳۴
ملحمة إباء إبليس وسجود الملائكة لا زالت راهنة مستمرّة فى هذا العصر ... ص: ۶۷ ---- ۳۶
الإمامة ركن التوحيد ...: ص: ۶۸ ---- ۳۶
ضابطة العبادة ...: ص: ۷۰ ---- ۳۷
۳- الآيات البينات فى المسجد الحرام ...: ص: ۷۴ ---- ۳۹
اشارة ---- ۳۹
مقام إبراهيم ...: ص: ۷۶ ---- ۴۰
بيان آخر للآية الكريمة ...: ص: ۷۸ ---- ۴۱
حجر إسماعيل ...: ص: ۸۲ ---- ۴۲
المستجار أو الملتزم ...: ص: ۸۵ ---- ۴۴
السعى بين الصفا والمروة ...: ص: ۸۹ ---- ۴۵

بئر زمزم ...: ص: ۹۱ ---- ۴۶
أعمال الحجّ ومناسكه ...: ص: ۹۲ ---- ۴۷
فائدة ...: ص: ۹۳ ---- ۴۷
۴- التوجّه إلى القبلة طاعة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله ...: ص: ۹۴ ---- ۴۸
۵- المودّة لذريّة إبراهيم ۷ من شرائط الحجّ وغاياته ...: ص: ۹۵ ---- ۴۸
اشارة ---- ۴۸
من هم الذريّة الذين تهواهم أفئدة الحجاج والطائفين والركّع السجود ...؟ ص: ۹۷ ---- ۴۹
۶- الولاية من شرائط المغفرة ...: ص: ۱۰۲ ---- ۵۱
اشارة ---- ۵۱
سورة الحمد وإمامة أهل البيت عليهم السلام ...: ص: ۱۰۳ ---- ۵۲
۷- الوفود على ولى اللّه من شرائط الحجّ ...: ص: ۱۰۶ ---- ۵۳
۸- الأنبياء مصدر البركة ...: ص: ۱۰۸ ---- ۵۴
۹- البقعة المباركة ...: ص: ۱۰۹ ---- ۵۴
۱۰- وجوب تعظيم الأنوار الإلهيّة: خلقة الأنوار الخمسة لأصحاب الكساء فى سورة النور ... ص: ۱۱۱ ---- ۵۵
اشارة ---- ۵۵
الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام فى آية النور ...: ص: ۱۱۶ ---- ۵۷
بيان آخر للآية المباركة ... ص: ۱۱۷ ---- ۵۸
أهل البيت عليهم السلام معصومون بأعالى درجات العصمة ...: ص: ۱۱۹ ---- ۵۹
خلقة أهل البيت عليهم السلام النورية ...: ص: ۱۲۳ ---- ۶۰
۱۱- بناء المساجد على قبور الأولياء معالم الدين ...: ص: ۱۲۵ ---- ۶۱
۱۲- حبط الأعمال وقبولها ...: ص: ۱۲۷ ---- ۶۲
۱۳- آيات القسم الإلهى بشخص النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله ...: ص: ۱۲۸ ---- ۶۲
۱۴- الآيات الآمرة بالتوسل بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وسائر الأنبياء والأوصياء ...: ص: ۱۳۳ ---- ۶۴
۱۵- آيات التوسّل بمخلوقات كريمة أضيفت إلى الأنبياء والأولياء ...: ص: ۱۳۹ ---- ۶۷

اشارة ----- ۶۷
هل الآیة دلیل علی مشروعیة الاستشفاء فقط ...؟ ص: ۱۴۱ ----- ۶۸
الفصل الثالث/ شرطیة التوسّل وضرورته فی مقامات ثلاث ...: ص: ۱۴۷ ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
شرطیة التوسّل وضرورته فی مقامات ثلاث ... ص: ۱۴۹ ----- ۷۱
اشارة ----- ۷۱
الدلیل الأول: معطیات الشهادة الثانیة ... ص: ۱۵۰ ----- ۷۱
الدلیل الثانی: التوسّل ضرورة عقلیة ... ص: ۱۵۲ ----- ۷۲
اشارة ----- ۷۲
بیان الملازمة ...: ص: ۱۵۳ ----- ۷۳
التوسّل فی کل النشآت ولأصناف المخلوقات ...: ص: ۱۵۵ ----- ۷۳
الدلیل الثالث: عموم طاعة اللّه ورسوله وأولی الأمر ... ص: ۱۵۶ ----- ۷۴
اشارة ----- ۷۴
فذلکة صناعیة لأخذ التوسّل فی نیة القربة ...: ص: ۱۵۸ ----- ۷۵
الدلیل الرابع: إقتران اسم النبیّ صلی الله علیه و آله وأهل بیته: بأعظم العبادات ...: ص: ۱۶۶ ----- ۷۸
الدلیل الخامس: ابتغاء الوسیلة ضرورة قرآنیة ... ص: ۱۷۵ ----- ۸۲
اشارة ----- ۸۲
قرب اللّه وقرب العبد ...: ص: ۱۷۸ ----- ۸۳
الوسیلة معنی الشفاعة ...: ص: ۱۸۰ ----- ۸۴
ترامی الوسائل وتعاقبها ...: ص: ۱۸۲ ----- ۸۵
الدلیل السادس: شرطیة الاستجارة بالنبیّ صلی الله علیه و آله فی طلب المغفرة ... ص: ۱۸۲ ----- ۸۵
الدلیل السابع: التوسّل بالرسول صلی الله علیه و آله میثاق الأنبیاء ... ص: ۱۹۲ ----- ۸۹
اشارة ----- ۸۹
الأنبیاء علی دین النبی الأکرم صلی الله علیه و آله ...: ص: ۱۹۳ ----- ۹۰

أهل البیت علیهم السلام شرکاء النبیّ صلی الله علیه و آله فی المیثاق ...: ص: ۱۹۸ ---- ۹۲
بیان آخر لتوسل الأنبیاء بالرسول الأکرم وأهل بیته فی نیل المقامات: النبی وأهل بیته قدوة للأنبیاء ...: ص: ۲۰۶ ---- ۹۶
آیات أخری فی اقتران أهل البیت علیهم السلام بالنبیّ صلی الله علیه و آله فی الصفات ...: ص: ۲۱۵ ---- ۹۹
الدلیل الثامن ...: ص: ۲۱۶ ---- ۱۰۰
الدلیل التاسع: الاستکبار والصدّ عن آیات اللّه تعالی موجب لحبط الأعمال ... ص: ۲۱۷ ---- ۱۰۰
الدلیل العاشر: خضوع الملائکة لآدم علیه السلام کلّ خلیفة اللّه الباب الأعظم لملائکته ... ص: ۲۲۰ ---- ۱۰۲
اشارة ---- ۱۰۲
أخذ میثاق ولایة أهل البیت علیهم السلام معرفة وتوسّلًا فی جمیع النشآت علی أصناف المخلوقات ...: ص: ۲۲۲ ---- ۱۰۳
تأبید رسالة الرسول صلی الله علیه و آله ووساطته فی الوحی الإلهی لجمیع النشآت ...: ص: ۲۲۳ ---- ۱۰۳
جحود التوسّل سنّة إبلیس فی الاستکبار ...: ص: ۲۲۳ ---- ۱۰۳
الفصل الرابع/ شبهات وردود ... ص: ۲۲۶ ---- ۱۰۴
اشارة ---- ۱۰۴
شبهات وردود ... ص: ۲۲۷ ---- ۱۰۴
شبهات المنکرین لجواز التوسّل ... ص: ۲۲۹ ---- ۱۰۵
الشبهة الأولی: التوسّل عبادة لغیر اللّه تعالی ... ص: ۲۲۹ ---- ۱۰۵
اشارة ---- ۱۰۵
الجواب عن الشبهة الأولی ...: ص: ۲۳۰ ---- ۱۰۵
دفع الجوابین: جحود التوسّل یستند إلی التفویض ... ص: ۲۳۲ ---- ۱۰۶
جحود التوسّل یستند إلی المذاهب الحسیّة المادیة ...: ص: ۲۳۳ ---- ۱۰۷
تفصیل الجاحدین للتوسّل فی الوسائط ...: ص: ۲۳۴ ---- ۱۰۷
الشبهة الثانیة: التوسّل خلاف کلمة التوحید ... ص: ۲۳۵ ---- ۱۰۸
اشارة ---- ۱۰۸
الجواب عن الشبهة الثانیة ...: ص: ۲۳۸ ---- ۱۰۹
الشبهة الثالثة: التوسّل مخالف للآیات القرآنیة ... ص: ۲۴۰ ---- ۱۱۰

اشارة ----- ۱۱۰
الجواب عن الشبهة الثالثة ...: ص: ۲۴۳ ----- ۱۱۱
اشارة ----- ۱۱۱
الجواب الأول: حقیقة الأسماء الالهیة مستند للتوسّل ... ص: ۲۴۳ ----- ۱۱۱
الجواب الثانی: الکلمة والآیة ...: ص: ۲۴۴ ----- ۱۱۲
الشبهة الرابعة: الأعمال الصالحة هی الوسیلة التوسّل والوسیلة حقیقة العقیدة بالنبوّة والرسالة ... ص: ۲۶۰ ----- ۱۱۸
اشارة ----- ۱۱۸
الجواب عن الشبهة الرابعة ...: ص: ۲۶۰ ----- ۱۱۹
النقطة الأولی: ما هو المراد من الوسیلة ...؟ ص: ۲۶۱ ----- ۱۱۹
النقطة الثانیة: الرابطة بین الشفاعة والتوسّل ... ص: ۲۶۴ ----- ۱۲۰
النقطة الثالثة: عموم تشریع الشفاعة ... ص: ۲۶۵ ----- ۱۲۱
الشبهة الخامسة: التوحید الإبراهیمیّ یأبی التوسّل بغیر اللّه ... ص: ۲۷۱ ----- ۱۲۳
اشارة ----- ۱۲۳
الجواب عن الشبهة الخامسة ...: ص: ۲۷۲ ----- ۱۲۴
الردّ الثالث: أنه ینقض علیهم بموارد ...: ص: ۲۷۴ ----- ۱۲۵
الشبهة السادسة: التوسّل یعنی التفویض وعجز اللّه تعالی ... ص: ۲۷۴ ----- ۱۲۵
اشارة ----- ۱۲۵
الجواب عن الشبهة السادسة: قصور الجاحدین للتوسّل عن معرفة التوحید فی الأفعال ...: ص: ۲۷۵ ----- ۱۲۵
الجاحدین للتوسّل بنوا جحودهم علی التفویض الأکبر ...: ص: ۲۷۶ ----- ۱۲۶
الشبهة السابعة: إیجاد المخلوقات الإمکانیة کلّه ابداعیّ بلا واسطة ... ص: ۲۷۹ ----- ۱۲۷
اشارة ----- ۱۲۷
الجواب عن الشبهة السابعة ...: ص: ۲۸۰ ----- ۱۲۷
سبب جحود التوسّل القصور فی معرفة کنه ذوات المسبّبات والأسباب ...: ص: ۲۸۱ ----- ۱۲۸
خاتمة فی ...: ص: ۲۹۵ ----- ۱۳۳

أ- الروایات الواردة فی مشروعیة التوسّل والتشفّع والتبرّک ...: ص: ۲۹۵ ---- ۱۳۳

ب- آراء أعلام السنّة فی التوسّل ...: ص: ۳۰۰ ---- ۱۳۵

خلاصة البحث ... ص: ۳۰۳ ---- ۱۳۶

ثبت المصادر ... ص: ۳۰۵ ---- ۱۳۷

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۴۳

الامامة الالهية(۵) المجلد ۴

اشارة

سرشناسه : سند، محمد، - ۱۳۴۰

عنوان و نام پديدآور : الامامه الالهيه/ محاضرات محمد سند؛ جمع و اعداد محمدعلی بحرالعلوم

مشخصات نشر : تهران : فرصاد ، - ۱۳۸۵.

مشخصات ظاهری : ج ۳

يادداشت : عربی

يادداشت : فهرست نويسی براساس اطلاعات فيپا

يادداشت : کتابنامه

موضوع : امامت

موضوع : ولايت

موضوع : اصول فقه شيعه

شناسه افزوده : بحرالعلوم، محمدعلی، ۱۳۴۵ - مقرر

رده بندی کنگره : BP۲۲۳/س۹الف۸ ۱۳۸۵

رده بندی ديويی : ۲۹۷/۴۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۱-۲۸۲۳۶

الامامة الالهية (۴)

تقديم ... ص: ۵

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ أحد أبواب عبادة اللّه تعالى نظير الصلاة والصوم والدعاء والذكر ونحوها من أنواع وأجناس وأصناف العبادات وهو التوسّل إليه تعالى بأصفيائه وبالذين أخلصهم بقرباه.

فإن التوسّل إليه بهم، نحو زلفى وقربى إليه تعالى، فإن المتوسل يعطف بزمام قلبه إلى وجه اللّه تعالى، وإن كان «سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِی كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِی مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِی كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ* قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِی السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ* وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ* وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» «۱».

فإن القبلة ليست إلّاوسيلة للتوجه بها إليه تعالى، «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ» «۲».

«وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» «۳».

فالقبلة ليست هى المعبود وإنما هى وجهة يتوجّه بها إليه تعالى، ومن ذلك صار آدم صفىّ اللَّه قبلة للملائكة وسجودهم للَّه‌تعالى فى قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِادَمَ» «۴»

ومن ذلك صارت بيوت موسى كليم اللَّه تعالى قبلة لبنى إسرائيل فى صلاتهم للَّه‌تعالى «وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» «۵»

ومن ذلك قوله تعالى: «إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ» «۶»

، «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ

ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ* وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا» «۱».

«لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» «۲».

وقد روى النسائى والترمذى فى حديث الأعرابى أن النبى صلى الله عليه و آله علّمه قول:

«يا محمّد إنى توجّهت بك إلى اللَّه» «۳».

وروى الترمذى وابن ماجة حديث عثمان بن حُنيف، إن رجلًا ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه و آله فقال: ادع اللَّه أن يعافينى، فقال النبى صلى الله عليه و آله:

«إن شئت صبرت فهو خير لك، وإن شئت دعوت»، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ ويدعو بهذا الدعاء: «اللهمّ إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى ليقضيها، اللهمّ شفّعه فىّ». ورواه النسائى وصححه البيهقى، وزاد: فقام وقد أبصر «۴».

ومن ذلك يتبين أن التوجّه بالنبى صلى الله عليه و آله والاستشفاع به والاستعانة به إليه تعالى وتقديمه بين يدى الحاجة إليه تعالى، وتوسيطه هى عناوين موازية للتوسل به صلى الله عليه و آله إلى اللَّه تعالى، وقد قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ

الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) «۱»

، وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» «۲».

فأمر بابتغاء الوسيلة إليه تعالى، وقد عيّن تلك الوسيلة وهى التوجّه فى الاستغفار والتوبة والأوبة بالرسول صلى الله عليه و آله وأن استغفار النبى صلى الله عليه و آله وتشفعه دخيل فى توبة اللَّه تعالى عليهم ورحمته لهم.

وقال تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» «۳»

فجعل دعاء النبى صلى الله عليه و آله لهم دخيل فى حصول السكينة والإيمان والطهارة لهم، وقوله تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ» «۴»

، وهـذا نظير مـا قـاله تعالى فى قصّـة اخوة يوسف عليه السـلام «قَالُوا تَاللَّهِ لَقَـدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ* قَالَ لَاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» «۵»

وقوله تعالى: «قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» «۶»

، وقوله تعالى فى شأن قوم موسى عليه السلام: «فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» «۷»

، وقوله تعالى فى شأن قوم فرعون مع النبىّ موسى عليه السلام: «وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ

عِنْدَكَ» «۱»

، وقوله تعالى فى شأن النبىّ عيسى عليه السلام: «اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» «۲»

، وقوله تعالى فى شأن النبىّ موسى عليه السلام:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا» «۳».

والوجيه فى اللغة والمعنى هو ذو الحظوة والقرب مما يتوجّه به إلى اللّه تعالى ويتوسّل به إليه.

وقال اللّه تعالى: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» «۴»

، المفسَّر بمقام الوسيلة والشفاعة، كما فى الدعاء المأثور «اللهمّ ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً صلى الله عليه و آله الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته وارزقنى شفاعته يوم القيامة».

ومن ذلك ينجلى أن الإيمان بمقام الشـفاعة له صـلى الله عليه و آله يلازم الايمان بالتوسل، لأن التوسّل به صـلى الله عليه و آله ينطوى على تشفّعه بقضاء الحاجة لديه تعالى، فالاعتقاد بالشفاعة دليل رجحان التوسّل «لَايَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى» «۵»

، «لَايَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» «۶»

، فإذنه تعالى فى الشفاعة متطابق مع أمره تعالى، «وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ» «۷»

، أى بالتوسل إليه تعالى بالوسائل الشافعة

لديه، فالتوسل والاستشـفاع به صـلى الله عليه و آله إلى اللّه هو دعاؤه تعالى، والوسائل التى أذن تعالى أن يدعى بها هى أبواب لدعوته جلّ وعلا، لا دعوة من دونه.

وروى الحاكم فى مسـتدركه أن آدم لما اقترف الخطيئـة قال: يا ربى أسألك بحق محمّـد صـلى الله عليه و آله لمّا غفرت لى، فقال: يا آدم كيف عرفت؟ قال: لأنك لما خلقتنى نظرت إلى العرش فوجـدت مكتوباً فيه: لا إله إلّااللّه محمّـد رسول اللّه، فرأيت اسـمه مقروناً مع اسمك، فعرفته أحبّ الخلق إليك «۱».

وروى البخارى، عن أنس أن عمر بن الخطاب كان إذا أقحط الناس استسـقى بالعباس فقال: اللهم إنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبيك، ونستشفع إليك بشيبته، فسُقوا. «۲»

وروى أحمـد بن حنبل أن عائشـة قال لها مسـروق: سألتك بصاحب هـذا القبر ما الذى سـمعت من رسول اللّه؟ يعنى فى حق الخوارج قالت: سمعته يقول: إنهم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند اللّه وسيلة. «۳»

وروى فى كنز العمال عن علىّ عليه السـلام أن يهودياً جاء إلى النبىّ صـلى الله عليه و آله فقام بين يديه وجعل يحدّ النظر إليه، فقال: يا يهودى ما حاجتك؟ فقال: أنت أفضل أم موسى؟

فقال: له: إنه يكره للعبد أن يزكى نفسه، ولكن قال اللّه تعالى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» «۴»

، إن آدم لما أصابته خطيئته التى تاب منها كانت توبته: «اللهمّ انى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۱

أسألك بمحمد وآل محمد لمّا غفرت لى»، فغفر له. «۱» ويشير صلى الله عليه و آله إلى قوله تعالى: «فَتَلَقَّى ءادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» «۲».

وقد أطلق القرآن الكلمة على المقربين عنده تعالى، كما فى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» «۳» ، وقال تعالى: «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» «۴».

وكيف لا يكون آل محمد عليه السلام وسائل الدعاء إلى اللَّه تعالى وقد حباهم اللَّه تعالى بالزلفى، واجتباهم وحظاهم بأنعمه الخاصة، وجعلهم السبيل إليه تعالى، فقال: «قُلْ لَاأَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) «۵»، وقال: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ» «۶» ، وقال: «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا» «۷».

فمودّتهم سبيل إليه، وهم الوسيله للتوجه إليه تعالى، وقد أبان قربهم إليه من بين الأمة ومزيد عنايته بهم، حيث قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۸».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۲

ثم لا يخفى أن التوسّل والاستشفاع بالمقربين إلى البارى تعالى، هو من آداب الدعاء والتوجّه إلى الحضرة الإلهية، فإننا كما نتوجه بجسمنا فى الصلاة إلى المسجد الحرام والكعبة بقصد التوجّه الحقيقى بقلوبنا إلى اللَّه تعالى، فليست الكعبة إلّاوسيلة للتوجه إليه تعالى، ومن شرائط عبادته تعالى، فهذا يفصح عن دور الوسيلة والوسائل فى التوجّه والدعاء، مع أن الشأن أينما تولّوا فثمّ وجه اللَّه، لكن ذلك لا ينفى خصيصة المسجد الحرام والكعبة المشرّفة، ألا ترى أن البارى تعالى جعل آدم صلى الله عليه و آله قبلة لسجود الملائكة مع كون السجود هو للَّه تعالى، ولم يقبل من إبليس اللعين السجود للَّه‌تعالى من دون أن يتّخذ آدم قبلة يتّجه بها إليه تعالى، وكرّر تعالى هذه الواقعة فى سبع سور قرآنية، كل ذلك لأجل أن يبين تعالى أن من آداب عبادته تعالى ودعائه التوجّه إليه بأوليائه المقربين، وأن هذا الأدب اللازم هو نمط من التعظيم للَّه‌تعالى، كما هو الشأن فى الكعبة المشرّفة والبيت الحرام، فقد جعل تعالى لهما حرمة وتقديس، وجعل حرمتهما وتعظيمهما من حرمته وتعظيمه، وقال تعالى: «وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» «۱».

ولا يخفى على الفطن اللبيب أن مقتضى قوله تعالى: «قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ* قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۳

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ* وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ* وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا» «۱».

وقوله تعالى: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» «۲».

إن فعله تعالى وخلقته وجهاً وآية له تعالى، فإن مخلوقية ما فى الشرق وما فى الغرب، أى ما فى الكون أجمع آيات تتجه بالمتدبّر فيها إلى اللَّه تعالى، فهى وجه له تعالى، والقبلة ما يقابل عند الاتجاه، وتولية الوجه جهة القبلة المقابلة بما هى رمز لوجهه تعالى، فكأنا نستقبل بتولية وجوهنا تجاه القبلة وجهه تعالى، إذ الاستقبال والمقابلة إنما تحصل بتوجه المستقبِل بالكسر بوجهه تجاه وجه المستقبَل بالفتح- فآياته الكبرى سبحانه وجه له تعالى، وكذلك كلماته التامات هى آياته، وهى وجهة له تعالى يتجه بها إليه، كما مرّ أن النبىّ

عيسى عليه السلام كلمته وآيته «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» «۳»

، كما وصف بذلك النبيّ موسى عليه السلام «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۴

وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا» «۱»

. فوجهه تعالى ليس ما يذهب إليه المجسمة الزائغة عن التوحيد من اثبات الجسم والأعضاء، تعالى اللَّه عن ما يقوله الظالمون علواً كبيراً، بل هو آيات خلقته التامة الدالة على عظمته وكماله.

وإن التوجّه إلى أشرف مخلوقاته هو تولية لشطر الوجه نحو وجهه الكريم، وفى رواية الصدوق فى أماليه فى قصّة الشاب النبّاش للقبور، حيث كان يبكى على شبابه بكاء الثكلى على ولدها واقفاً على باب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فأُدخل فسلّم فردّ صلى الله عليه و آله، ثم قال: ما يبكيك يا شاب؟ قال: كيف لا أبكى وقد ركبت ذنوباً إن أخذنى اللَّه عزّ وجلّ ببعضها أدخلنى نار جهنم ولا أرانى إلّاسيأخذنى بها، ولا يغفر لى أبداً، فأخذ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يسائله عن نوع معصيته، هل هى الشرك أو قتل النفس أو غيرها، إلى أن أقرّ الشاب بجناياته، فتنفّر نبى الرحمة من فظاعة جرمه، فذهب الشاب إلى جبال المدينة وتعبّد فيها، ولبس المسوح، وغلّ يديه جميعاً إلى عنقه ونادى: يا ربّ، هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول، يا رب، أنت الذى تعرفنى، وزلّ منى ما تعلم يا سيدى، يا رب، إنى أصبحت من النادمين، وأتيت نبيّك تائباً فطردنى وزادنى خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا- تخيب رجائى سيدى، ولا- تبطل دعائى، ولا- تقنطنى من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك أربعون يوماً وليلة، وتبكى له السباع والوحوش، فأنزل اللَّه تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه و آله آية فى توبته «الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» «۲»

،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۵

ويقول عزّ وجلّ: أتاك عبدى يا محمد تائباً فطردته فأين يذهب وإلى من يقصد، ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيرى، ثم قال عزّ وجلّ: «وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» «۱».

فجعل البارى الإتيان إلى نبيه وقصده إتيان إلى بابه تعالى وقصد إليه، ومن ثم قال تعالى فى آية أخرى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» «۲».

اللهمّ إنا نسألك ونتوجّه إليك بنبيك نبى الرحمة، وإمام الهدى، وآله المطهّرين الذين أذهبت عنهم الرجس، وافترضت علينا مودتهم فى كتابك، صلواتك عليه وآله، يا رسول اللَّه، يا رسول اللَّه، إنّا توجّهنا واستشفعنا بكم إلى اللَّه، فاشفعوا لنا عند اللَّه، فإنكم وسيلتنا إلى اللَّه، وبحبّكم نرجو النجاة، فكونوا عند اللَّه رجانا. عشّ آل محمّد عليهم السلام/ ۱۴۲۶ ه

محمّد سند

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۷

المقدمة ...: ص: ۱۷

الحمد للّه‌ربّ العالمين والصلاة والسلام على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

إن هذا الكتاب يعدّ محاولة جادّة لدراسة عقيدة التوسّل ونظرية التوسيط، التى كانت ولا زالت مثار جدل دينى وبشرى دائر بين ثنائية

القبول والجحود.

والـذى يطالع المسيرة التاريخيـة لهـذه المسألة جيّداً يجد أن الفكر البشـرى- الذى خاض صـراعاً مريراً بين قوى الشـرّ المتمثلة بالطغاة والجبـابرة المسـتكبرين وبين قوى الخير التى قاد مسيرتها الأنبياء والأوصـياء المصـلحين آمن واعتقـد بكافـة أطيافه ومكوناته بضـرورة التوسّـل، وهكـذا اتخـذت البشـرية لنفسـها وسائـط تربطهـا بربّهـا العلى العظيم، الـذى لاـ يمكن الارتباط به ارتباطاً جسـمانياً حسّـياً ولا مواجهته مواجهة نفسية أو عقلية لعلوّه وعظمته تبارك وتعالى ولكن وللأسف نرى أن القرآن الكريم بعد أن أرّخ تلك الملحمة صرّح بـأن البشـرية حـادت عن طريق الصواب عنـدما حكّمت إرادتهـا على الإـرادة الإلهيـة والسـلطان الإـلهى، فأخطـأت الأـفراد والمصاديق الحقيقيـة لمتعلّق تلك العقيـدة الفطريـة، حيث آمنت تحكيماً لسـلطانها بوسائل ووسائط موهومـة اقترحتها من لـدن ذاتها، محكّمـة فى ذلك هواها على سلطان الربّ وإرادته.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۸

قال تعالى: «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ» النجم: ۲۳.

وفى الـوقت ذاته نجـد أن الآيـات القرآنيـة كمـا سـيتضح فى فصول الكتـاب- أكّـدت ودعت وألزمت الخلق باتخـاذ الوسائـط الإـلهية والآيـات البينـات والعلامات الشارعات والحجج الباسـقات التى نصـبها اللَّه عزّوجلّ لمخلوقاته وأمرهم بالتمسّك والتوسّل والتوجّه بها واللواذ واللجوء إليها والارتماء فى أحضانها وحضـرتها المشـرّفة، من أجل التوصّل إلى بصيص عظمة اللَّه تعالى ونيل القرب منه وقبول وتحقّق العقيدة الصحيحة وارتفاعها بالعمل وتفتّح أبواب السماء لها بالآيات والحجج.

ولكن مع ذلـك كلّه يُلاحـظ أن كلاماً من هنـا وهنـاك قـد يطلقه بعض مَن لم يـدرك حقيقـة الأمر تقنيعاً لجحوده وتشويهاً لعقيـدة التوسّل، حيث نجد أن أفراداً عندما جحدوا تلك العقيدة حاولوا أن يلصقوا تهمة الشرك وعبادة غير اللَّه تعالى بالمسلمين الذين آمنوا بعقيدة التوسّل وتعاطوا الوسائط وتوجّهوا إلى اللَّه تعالى بآياته وحججه الكبرى فى عقيدتهم ودعائهم وعباداتهم.

ثمّ تفاقم الأمر حتى بلغ الحال ببعضـهم أن حكم بكفر طوائف من المسـلمين واسـتحلّ دماءهم لتوسّـلهم وتوجّههم واستجارتهم بأنبياء اللَّه ورسله وخلفائه فى الأرض.

واسـتمرت مسـيرة الانحرف المقنّعة بشـعارات التكفير حتى اتخذت لنفسها أثواباً جديدة تتناسب ومتطلبات العصر، حيث وصفوا عقيدة التوسّل بالتسوّل والاستجداء، وقالوا إن التوسّل بالأنبياء والرسل والأوصياء صنمية

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۹

وغلوّ فى الأشـخاص، وقد تناسوا أن هذه مقالة إبليس عندما أبى واسـتكبر بنفسه عن السجود إلى خليفة اللَّه وجعْله واسطة فى نيل رضا الربّ عزّوجلّ، وأصبح بذلك مذموماً مدحوراً مطروداً عن ساحة الرحمة الإلهية.

خطّة البحث ...: ص: ۱۹

لا يخفى على القارئ الكريم أن هذا الكتاب هو مجموع الأبحاث التى ألقاها على جمع من طلبة العلم سـماحة الاستاذ المحقّق آية اللَّه الشـيخ محمّد السند، حيث قام بتسليط الضوء على عقيدة التوسّل وبيان مساحتها ودائرتها ومنزلتها ودورها فى منظومة العقيدة الإسلامية على ضوء البيانات القرآنية المعتضدة بالعقل والسنّة النبويّة ومنهاج أهل البيت عليهم السلام.

وقد وفّقنى اللَّه تعالى لتقرير هذه الأبحاث القيّمة فجاءت على أربعة فصول وخاتمة.

أمـا الفصـل الأـول: فقـد تركّز البحث فيه على بيان حقيقـة التوسّل فى اللغـة والاصـطلاح، ثم إعطاء التصورات الصـحيحة حول عقيـدة التوسّـل ودور الوسائـط والوسائـل والتوجّه إليها والتوسّل بها فى العقيـدة التوحيديـة، وبعـد ذلك تمّ التعرّض للأدلّـة العقليـة والتحليلية والتاريخية التى تنصّ على ضرورة التوسّل بحسب الدائرة الكونية والأدبيات الدينية وتأريخ الأديان وأعراف العقلاء وشرعياتهم.

وأما الفصل الثانى: فقد تمحور البحث فيه على الأدلّة والآيات القرآنية التى نصّت على التشريع الإلهى لعقيدة التوسّل، حيث ميّزت الآيات القرآنية الوسائط والوسائل المستنكرة عن غيرها، وإن الشرك بالتوجّه إلى الوسيلة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۰

المقترحة والمخترعة من سلطان العبد ذاته، وأن التوحيد التامّ بالتوسّل والتوجّه إلى آيات اللَّه وحججه التى أمر العباد باتخاذها وسيلة، والإعراض عن هذه الوسائط والاستكبار والصدّ عنها غلق لأبواب السماء وحبط للأعمال وطرد وإبعاد عن رحمة اللَّه تعالى.

وأما الفصل الثالث: فقد تمّ التعرّض فيه إلى ضرورة وشرطية ولا بدّية التوسّل فى صحة العقيدة وسائر العبادات وكذا شرط فى نيل المقامات الإلهية والمنح الربّانية، واستدللنا على ذلك بالآيات الصريحة التى تنصّ على أن التوسّل والتوجّه بالحجج الإلهية ليس أمراً راجحاً بيد العبد فعله أو تركه، بل هو أمر حتمى وضرورى لابدّ منه، ومن دونه تكون أبواب السماء مقفلة بوجه العقيدة والعبادة ونيل المقامات ودرجات القرب.

وفى الفصل الرابع: تم التعرّض لأهم الشبهات التى ذُكرت حول التوسّل مع الإجابة عنها.

وأما فى الخاتمة: فقد ذكرنا بعض الروايات التى وردت فى مجامع أهل سنة الجماعة، التى تنصّ على مشروعية التوسّل وضرورته، وكذا ذكرنا بعض كلمات أعلام السنّة حول التوسّل.

وختاماً أتوجّه إلى اللَّه عزّوجلّ بنبيه الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم وأهل بيته الطاهرين أن يحفظ شيخنا الاستاذ وأن يتقبّل منه ومنّا هذه البضاعة إنه نعم المولى ونعم النصير.

الشيخ قيصر التميمى

۲۵/ ذى القعدة/ ۱۴۲۶ ه

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۱

الفصل الأوّل ... ص: ۲۱

اشارة

۱- تمهيد ۲- التوسّل فى اللغة والاصطلاح ۳- التوسّل عبادة توحيدية ۴- الأدلّة العقلية والتاريخية ۵- الأدلّة التحليلية

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۳

تمهيد ... ص: ۲۳

إنّ مبدأ التوسّل والدعاء وطلب الشفاعة والاستغاثة بالنبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام من المبادئ الأصيلة والأساسية فى الدين التى دلّ على مشروعيتها وضرورتها صريح العقل والقرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام.

ولقد آمن بهذه العقيدة فى الإسلام عموم المسلمين بكافّة فرقهم وطوائفهم، حيث أن سيرتهم جارية على اللجوء إلى ساحة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام.

ولكن حاول البعض تبعاً لمنهج الجحود والجاحدين بذريعة وغطاء وقناع التكفير والمكفّرين- أن يُلصق تهمة الشرك والكفر بهذه العقيدة الإسلامية، حيث تحايل لجحوده بأن ادّعى أن التوسّل من أصناف الشرك فى العبادة، وزعم أن الآيات والروايات دالّة على ذلك.

ونحن قبل الشروع فى ذكر ما استعرضوه من أدلّة وشبهات والإجابة عنها، لابدّ من بيان ما هو الحقّ فى المسألة، وذلك عن طريق

إعطاء التصوّرات

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۴

الصحيحة والبراهين القاطعة الدالّة على مشروعية بل ضرورة التوسّل بأصفياء اللَّه تعالى، لأجل نيل القرب منه عزّ وجلّ وقبول الطاعات والعبادات وفتح أبواب السماء لاستجابة الدعاء وقضاء الحاجات، وأن المنكرين والجاحدين للتوسّل بأولياء اللَّه يجعلون التوسّل بهم من التوجّه إلى غير اللَّه تعالى ليفرّقوا بين اللَّه ورسله قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا» «۱».

وذلك كلّه استناداً إلى الأدلّة العقلية والتحليلية والتاريخية والقرآنية والروائية الناصّة على ذلك.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۵

***

التوسّل فى اللغة والاصطلاح ... ص: ۲۵

۱- التوسّل لغة ...: ص: ۲۵

قال الفراهيدى فى كتابه اللغوى «العين»:

وسل: وسّلت إلى ربّى وسيلة، أى عملت عملًا أتقرّب به إليه، وتوسّلت إلى فلان بكتاب أو قرابة، أى تقرّبت إليه «۱».

وقال الجوهرى فى الصحاح:

الوسيلة: ما يتقرّب به إلى الغير، والجمع الوسيل والوسائل، والتوسيل والتوسّل واحد، يقال: وسّل فلان إلى ربّه وسيلة وتوسّل إليه بوسيلة، أى تقرّب إليه بعمل «۲».

ومثله ما فى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير «۳».

وقال ابن منظور فى لسان العرب:

الوسيلة: المنزلة عند الملك، والوسيلة: الدرجة، والوسيلة القربة، ووسّل فلان إلى اللَّه وسيلة إذا عمل عملًا تقرّب به إليه، والواسل الراغب إلى اللَّه.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۶

وتوسّل إليه بوسيلة إذا تقرّب إليه بعمل.

والوسيلة الوصلة والقربى، وجمعها الوسائل «۱».

والذى يتحصّل من كلمات اللغويين أن التوسّل والوسيلة:

هى ما يجعله العبد من الواسطة بينه وبين ربّه لأجل التوصّل بها إلى تحصيل المقصود وهو القرب منه عزّ وجلّ، أو مطلق ما يوسّطه الشخص للتقرّب به إلى الغير من عمل أو كتاب أو قرابة أو غيرها.

۲- التوسّل اصطلاحا ...: ص: ۲۶

التوسّل فى الاصطلاح قريب جدّاً من المعنى اللغوى، بل هو عينه والاختلاف فى تحديد المصاديق التى نصبها اللَّه تعالى للتوسّل والتقرّب بها إليه عزّ وجلّ.

وسيأتى مزيد إيضاح لبيان حقيقة التوسّل اصطلاحاً عند استعراض الأدلّة القرآنية حول التوسّل فى الفصل اللّاحق.

***

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۷

التوسّل عبادة توحيدية ... ص: ۲۷

دور الوسائط الإلهيّة وضرورة التوسّل بها ...: ص: ۲۷

إنّ الحقيقة التى نريد أن ندّعيها تحت هذا العنوان، هى: إن نفى الوسائل والوسائط الإلهيّة والإعراض عنها فى حال توجّه العبد إلى اللّه هو الشرك بعينه.

وإنّ توسّل العبد بالآيات الإلهيّة وتوجّهه وتشفّعه بالوسائط، التى نصبها اللّه عزّ وجلّ من أجل قضاء حوائجه أو قبول توبته وأوبته وعبادته ونيله للحظوة والقرب من اللّه تعالى، هو التوحيد الحقيقى والتام المرضى عند اللّه عزّ وجلّ.

توضيح المدّعى ...: ص: ۲۷

من أجل إعطاء تصوّرات صحيحة حول ما ادّعيناه آنفاً نقول: إن الوسائل والوسائط إذا كانت مجعولة ومنصوبة من قبل اللّه عزّ وجلّ، فإن التوسّل والتوجّه بها واللجوء إليها والاستغاثة والاستجارة بها إلى اللّه تعالى هو التوحيد التام، وفى الوقت ذاته يكون الإعراض عنها والاستكبار عليها والتوجّه إلى اللّه تعالى بالمباشرة شركاً واستكباراً على اللّه عزّ وجلّ ومبارزة له فى سلطانه.

وأما إذا لم تكن تلك الوسائط مجعولة ولا منصوبة من قبل اللّه تعالى، فإن

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۸

التوسّل بها والتزلّف إلى اللّه عن طريقها يكون شركاً وصنمية ووثنية وعبادة لغير اللّه تعالى، سواء كان صنماً قرشياً فى الجاهلية أو وثناً عصرياً.

بيان الأدلّة ...: ص: ۲۸

ولهذه الدعوى التى ذكرناها أدلّتها المتنوعة، ونحاول أن نشير فى هذا الفصل إلى الأدلّة العقلية والتاريخية والتحليلية، وأما الأدلّة القرآنية فسيأتى ذكرها فى الفصل اللّاحق.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۹

الأدلّة العقلية والتاريخية ... ص: ۲۸

۱- الدليل العقلى ...: ص: ۲۹

اشارة

هنالك بيانات متعدّدة للدليل العقلى الدالّ على مشروعيّة وضرورة التوسّل، نستعرض فيما يلى بعض تلك البيانات العقلية:

البيان الأول: (التوسّل بالوسائط الإلهيّة تحكيم لسلطان اللّه على سلطان العبد ...) ص: ۲۹

إنّ نصب الوسائط والأبواب من قبل المخلوقين والعبيد باقتراحهم واختراعهم يُعدّ تصرّفاً فى سلطان اللّه عزّ وجلّ، ونوع من تحكيم إرادة العبد وهواه على إرادة ربّه، ويكون هذا الفعل من العبد شركاً ونديّة ووثنية جاهليّة.

فالعبد هو الذى ينادد ربّه فى جعله الوسائط واختراعها، سواء من ناحية العمل كاتّخاذ الأحجار والأصنام وجعلها واسطة بين العبيد وبين ربّهم، أم كان من ناحية الفكر والمعتقد وذلك كاتّخاذ العقل الذاتى البشرى ربّاً وزعم عدم محدوديته وأنّه يتّسع فى الحكم والبتّ فى الحقائق بلغ ما بلغ، فإن هكذا توسيط من قبل البشر وباقتراحهم يُعدّ مغالاة وشركاً فى سلطان اللّه؛ لأنّها تكون مناددة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۰

للّه تعالى وصنميّة للعقل، بدعوى (إن الحكم إلّاللعقل).

فمن يجعل لنفسه وسيطاً لم ينصبه اللّه عزّ وجلّ ولم يأذن به فهذه هى الصنمية، والتزلّف والتقرّب بتلك الوسائط غير المأذون بها هو الشرك الناقض للإيمان، لأنّه منازعة للّه‌تعالى فى سلطانه، سواء كانت أصنام العرب أم غيرها من الجهالات والجاهليات الحديثة.

وأما التوسّل والتوجّه بالوسائط التى جعلها اللّه عزّ وجلّ ونصبها لخلقه فهو التوحيد التامّ، والإعراض عن تلك الحجج والأبواب الإلهيّة التى نصبها اللّه عزّ وجلّ وترك التوجّه إليها هو الشرك الناقض للإيمان أيضاً؛ لأنّه استكبار على إرادة اللّه تعالى وسلطانه.

فالتوحيد التامّ إنما يكون بالانصياع والخضوع أمام الأبواب والوسائط التى جعلها اللّه عزّ وجلّ، وذلك بالتوسّل بها وتوسيطها بين العبد وربّه.

والسرّ فى شرك المشركين والإنكار الإلهى لعقيدتهم الصنمية ليس لأصل شعورهم بالحاجة إلى الوسائل والوسائط والشفعاء، بل كان شركهم فى اقتراحهم الوسائط والتدخّل فى سلطان اللّه تعالى وتحكيم إرادتهم وسلطانهم، من دون الانصياع والطوعانية لإرادة اللّه عزّ وجلّ.

فمصبّ إنكار البارى تعالى عليهم ليس هو إنكار نظرية ضرورة الوسائط، بل فى كون الوسائط مقترحة من قبلهم.

والقرآن الكريم أيضاً كما سيأتى- لا- يستنكر على المشركين نظرية ومقالة الأبواب والوسائط، بل على العكس؛ إذ القرآن يقرّها ويثبتها، وإنما تخطئته للمشركين بالصنميّة فى اقتراحهم الوسائط والوسائل من قبل أنفسهم، ويحتّم

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۱

على المشركين أن تكون الوسائط بسلطان الربّ وإرادته.

والقرآن الكريم كما سيأتى أيضاً- يقرّر نظرية الوسائط بأنها أمر فطرى وضرورى لابدّ منه.

وبعبارة اخرى: لا يكفى فى نفى الشرك وتحقّق التوحيد التام من العبد نفيه الوسائط المخترعة والمقترحة من قبل البشر، بل عليه أن يتوسّل بالوسائل والحجج التى نصبها اللّه عزّ وجلّ؛ وذلك لأن من يقف عند إنكار الوسائط المقترحة فقط كمن قال: (لا إله) وسكت من دون أن يذكر المستثنى، حيث أنه يوجب الكفر لا التوحيد.

خصوصاً وأن كلمة (لا إله إلّااللّه) ليست كلمة للتوحيد فى الذات والصفات والأفعال فحسب، وإنما هى توحيد أيضاً فى مقام العبادة والخضوع والتوجّه والدعاء، فلا عبادة ولا خضوع ولا توجّه إلّاللّه‌تعالى، ومعنى ذلك نفى الوسائط والشفعاء الذين لم يأذن بهم البارى تعالى، فلا إله ولا وله ولا تشفّع ولا تقرّب إلّابما أثبته اللّه تعالى، ولا يكفى نفى ونبذ الوسائط المقترحة، بل لابدّ من إثبات الوسائط التى جعلها ونصبها اللّه عزّ وجلّ.

والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والمعصومون عليهم السلام وسائط وأبواب منصوبة من قبل اللّه تعالى.

والحاصل: إن الشريعة الإسلامية جاءت لنبذ الصنمية القديمة منها والحديثة والمغالاة فى الأشخاص الذين لم ينصبهم اللّه تعالى

والتوجّه إليهم.

وأما من نصبهم اللَّه عزّ وجلّ وجعلهم وسائط وأبواب، فلابدّ من التوجّه إليهم والتوسّل بهم والانشداد إليهم؛ لأن التوجّه والانشداد إلى الآيات

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۲

والعلامات إنشداد وتوجّه إلى من له الآيات، وكلّما تنمّر الشخص فى الانشداد إليهم وأخلص فى الولاء لهم كلما ازداد توحيده وازداد ولاؤه وانشداده إلى اللَّه تعالى، والعكس بالعكس، نظراً لشدّة قربهم إلى البارى، فالاقتراب منهم اقتراب منه والابتعاد عنهم ابتعاد عنه تعالى، فإن الآية والعلامة كلّما كانت كبيرة وعظيمة فى حكاية ذى الآية فهى نظير المرآة الشديدة زيادة فى المعرفة لهوية الحقيقة التى تحكيها المرآة؛ لأنّ طبيعة المرآة والآية عبورية واستطراقية توصّل إلى الحقيقة، والإيصال صفة ذاتية لها لا تنفكّ عنها، وهذه خاصية الآيات والوسائل المنصوبة من قبله تعالى.

البيان الثانى: الاختلاف فى المراتب الوجودية ... ص: ۳۲

وهو بيان عقلى فطرى استند إليه آدم عليه السلام فى توسّله إلى اللَّه عزّ وجلّ بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله؛ لكونه أحبّ الخلق إلى اللَّه تعالى، وكذلك استند إليه إبراهيم عليه السلام فى استغفاره لعمّه آزر، وهو الحفاوة والحظوة والزلفى عند اللَّه تعالى.

بيان ذلك: هناك ضرورة عقليّة ذكرها الفلاسفة، وهى أن اللَّه تعالى وإن كان هو الخالق لكلّ شىء ولا خالق سواه، ولكن إيجاد المخلوقات من قبله تعالى ليس على رتبة واحدة، بل هى ذات مراتب متعدّدة مشكّكة، وهذه ضرورة لابدّ منها، وليس ذلك لعجز فى قدرة البارى، تعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ إذ هو على كلّ شىء قدير، وإنما النقص والعجز فى طرف القابل والمخلوق؛ وذلك لأنّ شيئيّة الأشياء لا تتقرّر ولا يمكن أن تفرض متحقّقة إلّابعد إمكانها، فمع عدم إمكانها لا شيئيّة لها، والموجودات والمخلوقات النازلة فى الرتبة الوجودية،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۳

كالموجودات المادّية مثلًا أو البرزخية، لابدّ لها من سلسلة إعدادات ومخلوقات سابقة، تكون مجارى فيض اللَّه عزّ وجلّ، والمخلوق السابق فى الرتبة الوجودية يكون سبباً لتقرّر إمكان المخلوق اللّاحق، وليس ذلك إلّالعجز القابل والمخلوق النازل فى الرتبة عن التلقّى من اللَّه تعالى بالمباشرة، فلابدّ له من واسطة ومجرىً فى الفيض الإلهى لأصل ذاته وكمال صفاته؛ ولذا الانسان ببدنه المادّى مثلًا لا يتقرّر له إمكان إلّابعد خلق المعدّات له وتسخير الأرض والسماء والماء والهواء والمخلوقات الحيّة وغيرها، ففى الخلقة المادية توجد إعدادات كثيرة أعدّها اللَّه تعالى وسخّرها للانسان، لكى يعيش حياة ممكنة فى هذا الكون، قال تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ» «۱».

ومن هنا ورد من طرق الفريقين أن أوّل ما خلق اللَّه تعالى العقل، أو أوّل ما خلق اللَّه تعالى نور النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله «۲»، ولا تنافى بينهما.

وورد أيضاً أن اللَّه تعالى أبى أن يُجرى الأمور إلّابأسبابها «۳»، فسنّة الخلقة فى هذا العالم الإمكانى عن طريق الأسباب والمسبّبات، بجعل المخلوق السابق سبباً لأن يخلق اللَّه تعالى المخلوق اللّاحق بنحو التقدّم والتأخّر الرتبى.

ولا شك أن التقدّم فى الرتبة الوجودية بين المخلوقات معناه أن المخلوق الأسبق رتبة أشرف وأكرم وأقرب إلى اللَّه تعالى من المخلوق اللّاحق، وهو مجرى سيب البارى عزّ وجلّ إليه، وسبب لتفتّح أبواب السماء لتلقّى الفيض.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۴

إذن أصل فكرة الوساطة والسببية والوسيلة سنّة إلهية تكوينية سنّها اللّه عزّ وجلّ فى خلقة الممكنات، وحينئذٍ نقول: إنه مما اتفقت عليه طوائف المسلمين وفرقها أن السنّة التشريعية لا تخالف السنّة التكوينية، فالشريعة تتناسب وتتلاءم مع الخلقة والفطرة التكوينية، كما قال تعالى: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» «۱».

وهذا بيان عقلى واضح دالّ على ضرورة التوجّه والتوسّل بالمقرّبين وبالمخلوقات الكريمة على اللّه تعالى، وهذه هى الحفاوة التى استند إليها آدم وإبراهيم عليهما السلام فى استغفارهما إلى اللّه تعالى.

وبعبارة أخرى: إن من المعانى والحقائق الذاتية للقرب والمقرَّب أن الاقتراب إلى المقرَّب (بالفتح) يُقرِّب؛ لأنّه مقتضى قربه، كما أن الابتعاد عنه ابتعاد عمّن هو قريب إليه بمقتضى قربه أيضاً، وهذه القاعدة غير مختصّة بالقرب والبعد المكانى، بل هى مطّردة فى كلّ أنماط القرب والبعد على الصعيد المعنوى، من كمالات الوجود من العلم والقدرة والحياة والنور، وعلى ضوء ذلك يكون بيان الشرع لكون شىء مقرّب هو بنفسه تحضيضاً وتشريعاً للتوسّل به والتقرّب إلى اللّه بالتوجّه إليه، وهذه الدلالة بديهية فطرية يدركها عامّة البشر بفطرتهم، فإن إعطاء المالك وذو القدرة والعظمة والعزّة لشىء القرب واتخاذه مقرّباً يلازم إعطاءه مقام الشفاعة، فيلازم الإذن بالاستشفاع والتوسّل به، كما أن إنكار الإذن بالتوسّل والاستشفاع به إنكاراً لكونه مقرّباً، وبالتالى يستلزم الإنكار تكذيب المالك والاعتراض عليه فى اتخاذه ذلك الشىء مقرّباً، وكذلك الحال

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۵

فيما إذا أخبر من له السلطان والقدرة بأن شخصاً وجيهاً عنده، أى ذو حظوة وزلفى لديه وحبيباً له، فإنه إذن وإعطاء المقام الشفاعة له، ويلازم الإذن بالاستشفاع والتوسّل به، فجحود التوسّل به جحود لوجاهته وزلفاه.

البيان الثالث: وجوب الاحترام والتعظيم ... ص: ۳۵

وهو أيضاً شرح وبيان للحفاوة والأقربية ومعتمد على أصول فطرية جبلّية، وذلك أن الأسلوب الجارى والمتّبع فى شرعيّات البشر وأعرافهم وآدابهم العقلائية والاجتماعية عند بعضهم البعض، هو أن طريقة الوفود على شخص يجب أن تكون بالاستئذان من الباب والحُجّاب والشفعاء والوسائل التى تؤدّى إليه، وأن يكون ذلك بمنتهى الأدب والاحترام.

وبعبارة اخرى: إن الشخص عندما يتوسّل بشخص آخر للدخول على عظيم يُعدّ نوعاً من أنواع الاحترام والتعظيم والتأدّب، وزيادة فى إبداء الحرمة والاحترام، فأنت مثلًا عندما تتّخذ المقدّمات والاجراءات اللّازمة وتأتى عن طريق الحُجب والأبواب صيانة لحرمة مَنْ تفد عليه، فإن فى ذلك مزيد الأدب والاحترام وإن لم يكن ذلك الطرف محجوباً فى نفسه، ولو لم تُراع تلك الاجراءات فكأنك تكون قد هتكت حريمه.

وقد ذمّ اللّه عزّ وجلّ الذين ينادون النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله من وراء الحجرات، وأمر بإتيان البيوت من أبوابها، وأن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأذنوا فيُؤذَن لهم.

قال تعالى: «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۶

الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «۱».

وقال أيضاً عزّ وجلّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» «۲».

وقال تبارك وتعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» «۳».

وجاء فى الحديث عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أنا مدينة العلم وأنت يا علىّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها» «۴».

ونجد أن هذا الأدب الإلهى قد قرّره الشارع المقدّس فى الوفود على بيت اللَّه الحرام، فجعل الإحرام مقدّمة للتهيّؤ وباباً للتعظيم.

لا يقال: أن الجارى فى هذه الأعراف أمور متواضع عليها ولا ربط لها بالحقائق.

فإنه يقال: إن من المقرّر فى محلّه أن الاعتبارات العقلائية ليست أموراً جزافية، بل لها مناشئ حقيقية ورابطة تكوينية، وقد أمضى اللَّه تعالى تلك الاعتبارات.

ثم إن اللَّه عزّ وجلّ نصب أبواباً ووجهاء مقرّبين يتوجّه بهم إليه من باب التأدّب مع اللَّه تعالى، ولذا عندما يريد الشخص المسلم أن يطلب حاجته من اللَّه تعالى فى الدعاء وفى غيره، لابدّ من تقديم الثناء على اللَّه عزّ وجلّ وشكره

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۷

وحمده، ثم يطلب حاجته بعد ذلك، كما هو مذكور فى كتب الفريقين «۱».

وكما جاء ذلك فى سورة الحمد، التى يقرؤها الفرد المسلم فى اليوم والليلة عشر مرات على الأقلّ، حيث قُدّم فيها المدح والثناء والشكر والحمد للَّه‌تعالى، ثم بعد ذلك يطلب المصلّى والقارئ للحمد حاجته من الهداية وعدم الغواية والضلال.

إذن التوسّل بمن يكون وجيهاً عند اللَّه من التأدّب والتعظيم للَّه‌عزّ وجلّ، والوفود على اللَّه مباشرة من قبل الأفراد العاديين الذين لا يحرز كون وجوههم مقبولة عند اللَّه تعالى، بل قد يكون مطروداً من ساحة العظمة بسبب ما يقترفه من الذنوب- يعدّ من الكبرياء والجفاء والجفوة مع اللَّه تبارك وتعالى والعتو عليه، وهذا على خلاف الفطرة التوحيدية، بل إن اللَّه عزّ وجلّ ذمّ الذين يصدّون عن الوسائط ويطلبون الارتباط المباشر بالسماء، بما بيّناه فى هذا الوجه، قال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ لَايَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا» «۲».

فنحن المذنبون المقصّرون القاصرون عن نيل المقامات الرفيعة يجب أن لا نطلب الحاجة إلى اللَّه تعالى إلّابعد تقديم المقدّمات، والتوسّل بالمقربين والوجهاء المرضيين عند اللَّه عزّ وجلّ، وهذا هو معنى قوله تعالى: «وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ».

والحاصل: إن التوسّل من مبادئ الأصول الفطرية والأخلاقية، وهو مقتضى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۸

التواضع والخضوع فى التوجّه والوفود على اللَّه تعالى، وفيه زيادة ورفعة فى التوحيد؛ لأنّ التواضع حالة توحيدية خالصة، ورفض التوسّل استكبار ورعونة لا تناسب الأدب التوحيدى، ويستنكره العقل ويشجبه العقلاء فى تعاملهم.

ولابدّ من التنبيه على أن الآيات القرآنية كما تقدّم ويأتى فى الفصل اللّاحق لا تثبت أن الوفود على اللَّه تعالى من دون التوسّل بالآيات الإلهية مخلّاً بالأدب مع الحضرة الربّانية فحسب، بل هى تصرّح بامتناع الوفود عليه عزّ وجلّ من دون آياته وحججه، وامتناع التوصّل إلى ذاته المقدّسة؛ لقصور فى القوابل والاستعدادات.

۲- الدليل التاريخى (السيرة ...): ص: ۳۸

لا ريب أن هناك ضرورة إسلامية وقرآنية تؤكّد على أن فصل الشهادة الثانية وهى شهادة أن محمّداً رسول اللَّه- عن الشهادة الأولى وهى شهادة لا إله إلّا اللَّه- وإنكارها يُعدّ شركاً، وخروجاً عن دائرة التوحيد التام، الذى جاءت به الشريعة الإسلامية الخاتمة.

وعندما نرجع إلى القرآن الكريم نجده يحكم بالشرك والوثنية على الطقوس والمناسك العبادية التى يأتى بها أهل الكتاب، وإن كانوا يدّعون أنهم على دين موسى أو عيسى عليهما السلام.

وفى الوقت ذاته اعتبر القرآن الكريم عبادة قريش وحجّهم ومناسكهم وصلاتهم تجاه الكعبة من الشرك والجاهلية وعبادة الأوثان.

فالطقوس العبادية القرشية التى يزعمون أنها على ملّة إبراهيم عليه السلام، كالصلاة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۹

إلى الكعبة وحجّ بيت اللَّه الحرام والاتيان بمناسكه كالطواف والسعى والوقوف بعرفات والمزدلفة وسَوق الهدى، كلّها حكم عليها القرآن الكريم بالوثنية والشرك والعبادة لغير اللَّه تعالى، وليس ذلك إلّالعدم الرجوع إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقطع الصلة به والابتعاد عنه والتخلّى عن ولايته، وعدم الخضوع والطاعة له، وعزل الشهادة الثانية وفصلها وبترها عن الشهادة الأولى.

فإنّ ذلك كلّه يجعل العبادات والمناسك بأجمعها شركاً ووثناً وجاهليّة، كالطواف حول الكعبة مثلًا يعتبر شركاً وطاعة وعبادة لغير اللَّه عزّ وجلّ فيما إذا افتقد الشهادة الثانية والتولّى لنبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله.

والفرق بين حجّ المشركين وحجّ المسلمين، هو أن المشركين يأتون بالمناسك من دون الخضوع والتسليم والتولّى لخليفة اللَّه تعالى، وأما المسلمون فهم يأتون بمناسك الحجّ مع خضوعهم لولاية النبىّ صلى الله عليه و آله وإقرارهم بالشهادة الثانية، ولذا كان حجّهم طاعة وعبادة خالصة للَّهعزّ وجلّ.

وقريش إنما خرجت من مغبّة الشرك والوثنية ودخلت الإسلام بإقرارها بالشهادة الثانية وتولّيها للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والأخذ عنه والخضوع لطاعته وأوامره.

فليس التوحيد بالاتجاه مباشرة إلى اللَّه تعالى والانقطاع عن الوسائط، ولا الشرك بجعل الواسطة بين العبد وربّه، بل الوثنية والشرك فى منطق القرآن الكريم رفض التسليم لولاية خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله؛ وذلك لأن الوثن والوثنية طاعة غير اللَّه عزّ وجلّ، والعبد إذا أنكر الواسطة التى نصبها اللَّه تعالى بينه وبين عبيده، لا يبقى له مجال وطريق لاستعلام أوامر اللَّه ونواهيه وإراداته وشريعته الحقّة، التى يريد من عبده السير على خطاها.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۴۰

وحينئذٍ لا يكون لذلك العبد المنكر للوسائط إلّاإرادته وهواه وميول نفسه وسلطان ذاته، وهذه هى الوثنية؛ إذ يكون وثنه هواه، كما قال تعالى: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ» «۱».

فالهوى وسلطان النفس وثن من الأوثان وإله من الآلهة وإن لم يكن من الأحجار؛ إذ لا يشترط فى الوثن والصنم أن يكون من الحجارة، فإن المسلمين يتوجّهون فى عبادتهم إلى أحجار الكعبة ومع ذلك هم موحّدون ومطيعون للَّه تعالى؛ لكون ذلك عن أمره وإرادته وسلطانه.

والحاصل: إن أى عبادة من العبادات إذا إنقطعت عن الخضوع لولاية سيّد الرسل وفقدت تواصلها مع الشهادة الثانية تدخل حيز الشرك والوثنية الجاهليّة، كما جاء ذلك فى قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا» «۲»

، حيث حكم اللَّه تعالى فى هذه الآية المباركة بشرك ونجاسة ما يأتى به غير المسلمين من العبادات والمناسك فى المسجد الحرام.

ثمّ إن من يجحد ولاية أهل البيت عليهم السلام بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يكون حاله كحال من جحد ولاية النبىّ صلى الله عليه و آله، إذ من بعده صلى الله عليه و آله كيف يستعلم العبد إرادة ربّه وأوامره؟!

ومن ثمّ يقول الإمام الباقر عليه السلام فى حجّ من لا يؤمن بمودّة وولاية أهل البيت عليهم السلام: فعال كفعال الجاهلية، حيث ورد عنه عليه السلام أنه نظر إلى الناس يطوفون

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۴۱

حول الكعبة، فقال: «هكذا كانوا يطوفون فى الجاهليّة، إنما أُمروا أن يطوفوا بها ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ومودّتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم، ثم قرأ هذه الآية «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِم»» «۱».

وهذا برهان تاريخى وأديانى يؤكّد ضرورة الواسطة فى صحّة العبادة وقبولها.

والواسطة هى الطاعة لولىّ اللّه تعالى، بكلّ ما للطاعة من معنى وتداعيات ومعطيات ومقتضيات تقتضيها تلك الطاعة وعلى جميع مستوياتها، فكما أن بدء التوحيد متوقّف على الشهادتين كذلك بقاؤه فى كلّ الأبواب الاعتقادية والعبادية، متوقّف على بقاء الشهادتين إلى آخر المطاف.

***

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۴۳

الأدلّة التحليلية ... ص: ۴۳

اشارة

نرمى فى استعراض هذه الأدلّة تحليل بعض المفاهيم الدينية والاعتقادية ويكون ذلك بدوره دالّاً على مشروعية التوسّل وضرورته.

۱- مفهوم العبادة: (مفهوم العبادة ينفى الوسائط المقترحة ...) ص: ۴۳

يمكننا عن طريق تحديد المفهوم الاصطلاحى للعبادة وبيان العبادة الخالصة للّه تعالى والعبادة غير الخالصة استكشاف مشروعية نظرية الوسائط، وأن المستنكر منها هى الوسائط المقترحة فحسب، وذلك بالبيان التالى:

ذُكر للعبادة فى اللغة معانٍ متعدّدة، أهمّها: أنها بمعنى الطاعة والخضوع.

والقرآن الكريم أيضاً استعمل مفهوم العبادة فى عدّة معان، منها ما يلى:

۱- مملوكية المنفعة.

كقوله تعالى: «عَبْدًا مَمْلُوكًا لَايَقْدِرُ عَلَى شَىْءٍ» «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۴۴

وقوله تعالى: «وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ» «۱».

۲- سيادة الطاعة، وإن لم تكن أصالة للمطاع.

كقوله تعالى: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِى آدَمَ أَنْ لَاتَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» «۲».

۳- الطاعة والخضوع والانقياد للمعبود على وجه التعظيم والتقديس، وأنه الغنى بالذات ومصدر جميع الخيرات والنعم والكمالات مبدءاً وإصالة.

كقوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ» «۳».

وقوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «۴».

وكقوله تعالى لموسى عليه السلام: «إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى» «۵».

وقوله تعالى: «وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» «۶».

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية المباركة، الدالّة على إرادة الانقياد إلى المعبود على وجه التعظيم وأنه الغنى بالذات من مفهوم ومعنى العبادة.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۴۵

وهذا هو المعنى الاصطلاحى لمفهوم العبادة.

وإذا كان هذا هو المعنى الاصطلاحى للعبادة، فكيف كان توجّه المشركين إلى الوسائط شركاً، مع أنهم لا يتوجّهون إليها بما هى

مصدر الخيرات أصالة بل بما هى شفيعة ووسيطة؟ وكيف تتحقّق العبادة لغير اللَّه تعالى؟ وكيف تتحقّق العبادة للَّهعزّ وجلّ؟

والجواب هو ما تقدم، من أن الانكار ليس إنكاراً للوسيلة بما هى وسيلة، بل بما هى مقترحة ومخترعة من قبل العبيد، وأما إذا كانت الواسطة بجعل من اللَّه تعالى وإرادته وتحكيماً لسلطانه، فلا محالة يكون التوسّل والخضوع لتلك الوسيلة طاعة للبارى تعالى، لأنه يكون انقياداً له تعالى على وجه الرغبة والخضوع وأنه مصدر الخيرات مبدءاً وأصالة، فأى فعل يكون منطلقه من أمر اللَّه عزّ وجلّ لا يكون شركاً، وإن كان ذلك الفعل بالتوجّه والتوسّل بالوسائط، ومن ثمّ يكون سجود الملائكة لآدم كما سيأتى- عبادة للَّهلا لآدم؛ لأنه خضوع للَّه تعالى وامتثالًا لأمره بما أنه مصدر الخيرات.

إذن المدار فى تحقّق العبادة وعدمه ليس على ارتباط الطقوس العبادية بغير اللَّه وعدم الارتباط بغيره، بل المدار فى العبادة الخالصة وقوام التوحيد فى العبادة على وجود الأمر الإلهى والإرادة الإلهية، وقوام الشرك فى العبادة ليس على تعلّق الفعل العبادى بغير اللَّه، بل الشرك فى العبادة يتقوّم بعدم وجود الأمر والإرادة الإلهية، وإنما باقتراح من العبد نفسه.

ومن ثمّ لا يكون التوجّه بالكعبة إلى اللَّه عزّ وجلّ فى الصلاة شركاً، بل هو شعار التوحيد.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۴۶

فنحن فى صلاتنا نتوجّه إلى الكعبة الشريفة، مع أنها حجر ومع ذلك تكون عبادة للَّهتعالى، وفى صلاة الطواف نتوجّه إلى مقام إبراهيم عليه السلام، وكذا فى الطواف نتوجّه إلى الكعبة ونتبرّك بالحجر الأسود ونتمسّح به، مع أن ذلك كلّه لم يجعل من الكعبة صنماً ولا من الحجر الأسود وثناً يُعبد من دون اللَّه، كلّ ذلك لوجود الأمر الإلهى بالصلاة والطواف حول الكعبة والتمسّح بالحجر الأسود، فيكون الامتثال تحكيماً لسلطان اللَّه تعالى على إرادة العبيد، وذلك بخلاف أصنام الوثنيين.

وهذا ممّا اتفق عليه علماء الأصول، حيث قرّروا أن العبادة لا تتحقّق إلّا بقصد امتثال الأمر وكون العبد ماثلًا طيّعاً أمام مولاه.

فإن وُجد الأمر تحقّق التوحيد فى العبادة ولو مع الواسطة، وإن فقد الأمر كان الاتيان بالفعل شركاً ولو مع نفى الواسطة.

۲- القول بالتجسيم من أسباب جحود التوسّل ...: ص: ۴۶

إنّ انكار التوسّل ورفض الوسائط ناتج إما من القول بالتجسيم أو القول بالنبوءة والتنبّى.

وأما من لا يدّعى النبوءة لنفسه وينكر الجسمية فى البارى عزّ وجلّ، فلا محالة له من قبول الوسائط والوسائل فى كلّ العوالم والنشئآت.

وقبل البرهنة على هذا المدعى لابدّ من بيان بعض الأمور:

الأول: ليس المقصود من دعوانا أن انكار التوسّل ناتج من التجسيم أو دعوى النبوءة هو أن يكون القائل بذلك قد قال بأحدهما عنواناً وقولًا، بل قد يكون فى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۴۷

واقعه متبنّياً لحقيقة التنبّى أو التجسيم من دون أن يُسمّيه تنبّياً أو تجسيماً؛ وذلك لأنهما لا يدوران مدار العنوان والشعار، فالحقائق أو الأمور العدمية الباطلة تدور مدار واقعها، سواء واقعها العدمى فى الأمور الباطلة أو واقعها الوجودى فى الأمور الوجودية، فمن ينفى الوسائط فهو لا محالة إما يبنى على التجسيم أو يدّعى التنبّى كما سيتّضح، وهذا نظير ما ذكره الفقهاء فى بحوث المعاملات، من أن الشخص ربّما يقصد ماهية معاملية معيّنة ويسمّيها باسم تلك الماهية المقصودة، ولكنها فى واقعها قرض ربوىّ أو بالعكس.

الثانى: إن هناك دعاءاً يؤكّد مضمون ما نريد الخوض فيه، وهو من الأدعية المأثورة لتعجيل الفرج، وهو: «اللّهمّ عرّفنى نفسك فإنك إن لم تعرّفنى نفسك لم أعرف رسولك، اللّهمّ عرّفنى رسولك فإنك إن لم تعرّفنى رسولك لم أعرف حجّتك، اللّهمّ عرّفنى حجّتك فإنك إن لم تعرّفنى حجّتك ضللت عن دينى» «۱».

ومفاد هذا الدعاء هو أن منظومة المعارف إنما تصحّ وتكون صائبة مع صوابية وحقّانية معرفة الانسان بربّه، وأن الخلل الناشئ فى معرفة

الأنبياء والرسل منبعه الخلل فى معرفة اللَّه تعالى الصحيحة والتامة، كما أن الخلل فى معرفة الحجج والأوصياء والأئمّة منشأه الخلل فى معرفة الرسول، وبالتالى يكون ناشئاً من الخلل والنقصان فى المعرفة المتعلّقة باللَّه تعالى، كما تشير إلى هذه الحقيقة مجموعة من الآيات القرآنية، منها:

قوله تعالى: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۴۸

شَيْءٍ» «۱»

، فإنكار الرسل وعدم الإيمان بهم ناشئ من جهلهم بقدر البارى وقدرته وعظيم حكمته وتدبيره، ومن خلل المعرفة فى أفعال اللَّه عزّ وجلّ.

ومن ثمّ هذا يؤكّد أن الذى ينفى الوسائط والوسائل والرسل والحجج، منشأ نفيه نقصان معرفته باللَّه تعالى، إما بالقول بالتجسيم أو القول بالتنبّى.

والغريب من أصحاب هذه المقالة، قولهم بأن التجسيم باطل فى النشأة الدنياوية فقط، وأما فى الآخرة فنلاقيه والعياذ باللَّه بصورة شابّ أمرد، ويستدلّون على ذلك، بقوله تعالى: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» «۲»

و «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» «۳»

و «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» «۴»

، فيصوّرون الفوقية على العرش فوقية مكانية، لا فوقية قدرة وهيمنة.

فهم يفترضون إن اللَّه عزّ وجلّ فى الآخرة جسم، وهذا ناتج ضعفهم وقصورهم فى المسائل العقلية والاعتقادية؛ إذ لم يلتفتوا إلى أن قولهم هذا يلزم منه كون اللَّه تعالى مادّياً، وكلّ أمر مادّى قابل للانقسام، فله أجزاء متولّدة من جسمه، وهو منافٍ لما نصّت عليه سورة التوحيد التى نفت التولّد والانقسام والتجسيم والمادّية.

ثم إن الجسم محدود، وهو تعالى خالق الجسم ومهيمن عليه لا يحدّه حدّ.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۴۹

وأهل البيت عليهم السلام يثبتون الرؤية القلبية للَّهعزّ وجلّ، وهو ما أكّدته الآيات القرآنية، كقوله تعالى: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» «۱»

، وهم عليه السلام ينفون الرؤية البصرية، التى يشترط فيها المحاذاة والمقابلة الجسمانية، واللَّه عزّ وجلّ منزّه عن الجسم والجسمية فى جميع النشآت.

لقاء اللَّه يوم الحساب بآياته وحججه ...: ص: ۴۹

وحيث أن حشر الخلائق بأجسامهم، فإن ملاقاة العباد لربّهم تكون بالوسائط والوسائل والآيات، وإلّا للزم أن تكون المقابلة والملاقاة جسمية، أى أن البارى والعياذ باللَّه يلاقى أجسام الخلائق بجسمه وهو باطل بالضرورة.

فإياب الخلائق وحسابهم لابدّ أن يكون عبر الوسائل والوسائط والآيات، وإلّا فإن اللَّه عزّ وجلّ معنا أينما كنّا.

وذلك ديدن قرآنى فى الإسناد، كإسناد الإماتة إلى اللَّه عزّ وجلّ وإلى ملك الموت وإلى الرسل التى يديرها ملك الموت، فإياب الخلق وحسابهم على اللَّه عزّ وجلّ، ولكن عبر آياته ووسائطه، قال تعالى: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» «۲»

وقال تعالى: «وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ» «۳».

فإذا ثبت أن اللَّه عزّ وجلّ ليس بجسم، ونحن أجسام فى شطر من ذواتنا وشطر من إدراكاتنا، التى تتحقق عبر الارتباط بالأجسام، سواء فى الدنيا أو

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۵۰

البرزخ أو الآخرة، فلا يمكن الارتباط مباشرة بربّ العزّة والجلال، وحيث أن الارتباط باللّه عزّ وجلّ فى الدنيا أو البرزخ أو فى الآخرة ليس منقطعاً تماماً، لأن معناه التعطيل فى قدره البارى تعالى، وحيث ثبت بطلان التعطيل، وأنه لا تعطيل لمعرفة ذاته تعالىولا لصفاته ولا لأفعاله ولا لعبادته ولا للقائه عزّ وجلّ، فلابدّ من القول إما بالوسائط أو النبوءة.

والمجسّمة قالوا بالتجسيم؛ لأنهم أنكروا الوسائط وخافوا من الوقوع فى التعطيل أو دعوى النبوءة، فلا محيص لهم عن القول بالتجسيم، هذا كلّه على المستوى التحليلى لما ادّعيناه أولًا.

وأما الدليل القرآنى على ذلك، فهو قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ» «۱».

فقوله تعالى: «لِبَشَرٍ» للإشارة إلى الجسم والخصوصيات الجسمانية.

وقوله تعالى: «إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ» بمثابة البرهان والاستدلال على مضمون الآية المباركة.

وقوله تعالى: «مَا كَانَ» لنفى الشأنية والامكان، لا لبيان عدم الوقوع فقط، وإلّا لكان حقّ التعبير أن يقال: إن اللّه لا يكلّم أحداً إلّابالطرق الثلاثة المذكورة فى الآية.

ومعنى الآية الكريمة أنه لا توجد أى مجابهة جسمانية بين اللّه عزّ وجلّ وبين البشر، المحكومين بأحكام المادّة والجسمية، فتكليمه عزّ وجلّ للبشر إما وحياً، أى عن طريق جانب الروح فى البشر، أو من وراء حجاب، أى عن طريق خلق الصوت وإيجاده فى الأمور المادّية، كما فى تكليم اللّه عزّ وجلّ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۵۱

لموسى عليه السلام، أو يرسل رسولًا أى إرسال الملائكة أو الأنبياء والحجج، بل وكذا الملائكة التكلّم معهم عن طريق الوحى، كما فى قوله تعالى: «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا» «۱»

، إذن لا وجه للمواجهة الجسمانية مطلقاً، سواء فى الدنيا أو البرزخ أو فى الآخرة.

ثم قال تعالى: «إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ» أى متعال أن يكون جسماً محاطاً ومحدوداً، فإن العلو يستلزم نفى الجسمية، وهو عزّ وجلّ حكيم، أى غير معطّل، فمن حكمته أن يرسل رسلًا ويقيم أئمة ويوسّط وسائط، فلا تجسيم ولا تعطيل.

وهذه الآية ليست دلالتها مقصورة على دار الدنيا فقط، بل هى بلحاظ كلّ النشآت الوجودية والتكوينية، فهو تعالى علىّ متعال على الجسمية ومقابلة الأجسام، وحكيم غير معطّل بينه وبين خلقه عن طريق الوسائط والرسل، فهو عزّ وجلّ يُعرف برسله وأدلّته وحُججه.

وبعضهم حيث أنكر التجسيم وفرّ من مغبّة التعطيل ورفض الوسائط، بدعوى أنها صنمية منافية لروح التحرّر، وقع فى القول بالتتبّى، ولجأ إلى الإيمان بقدسية العقل وسعة مدياته وحدوده وأنه يصيب كلّ صغيرة وكبيرة، كما هى مقالة بعض المتعلمنين من الإسلاميين.

وحيث أن التتبّى والإيحاء إلى الجميع باطل بنصّ القرآن الكريم، وثبت أن التشبيه والتجسيم وكذا التعطيل باطل، فلابدّ من الإيمان بالوسائط والوسائل، ويكون إنكار ولىّ اللّه وحجته تجسيماً أو تعطيلًا أو استكباراً وإكباراً للنفس وصنميّة للعقل، وهى النبوءة المرفوضة فى الكتاب والسنّة.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۵۲

إذن الوسيلة والواسطة أمر برهانى وضرورى فى كلّ النشئات، ولذا ورد فى الروايات أن الذى بُعث فى عالم الذرّ بين اللّه تعالى وبين باقى الأنبياء هو النبىّ محمّد صلى الله عليه و آله.

وهذا هو ما قلناه من أن الشهادة الأولى كما أنها مطلوبة فى جميع النشئات، كذلك الشهادة الثانية وأن محمّداً رسول اللّه صلى الله عليه و آله باقية فى كلّ النشئات أبديّة وأزلية، فوصف النبىّ صلى الله عليه و آله بالرسالة ليس خاصاً بالدنيا فقط، وإنما النبىّ صلى الله عليه

و آله رسول فى إنزال القرآن، وآياته غير مختصّة بالدنيا، بل تحكى كلّ النشئات وعالم الربوبية والصفات وعالم الذات، بما لم يُنبّئ به نبيّ من الأنبياء، وهذا معنى واسطته صلى الله عليه و آله فى كلّ العوالم والنشئات.

والحاصل: إن لم يكن فى البين تشبيه ولا تعطيل، فلابدّ من النبوءة أو قبول الوسائط والحجج، وحيث أن التنبّئ للكلّ باطل، فلابدّ من الإيمان والاقرار بالوسائط بين اللّه تعالى وبين مخلوقاته فى كلّ العوالم، فاللّه عزّ وجلّ لا يُتوجّه إليه باتجاه جسمانى، بل يُتوجّه إليه بالمعانى والآيات والحجج.

ومن ذلك كلّه يعلم عظم مكانة الآية والحجّة الإلهية، وأن إنكارها فى الحقيقة بمنزلة إنكار البارى عزّ وجلّ، كما ورد ذلك فى قوله تعالى: «فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» «۱»

، فإنكار خلافة خليفة اللّه فى الأرض ليس ينصبّ على الوسيلة بما هى هى، بل يرجع إلى الكفر باللّه تعالى «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ» «۲»

وذلك لأن

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۵۳

الذات المقدّسة إذا لم يكن بينها وبين المخلوقات أى ارتباط معناه التعطيل، وهو بمنزلة الإنكار للّهعزّ وجلّ لأنه إنكار لقدره تعالى وقدرته وتدبيره.

فعظمة الوسائط والحجج والآيات بعظمة ذى الآية، التى اضيفت إليه، ويكون الاستخفاف بها استخفافاً باللّه عزّ وجلّ، فلابدّ من تعظيمها وإجلالها.

ووظيفة الخليفة هى الواسطة والوساطة فى تدبير شؤون العباد، وهذا النظر والاعتقاد الحقّ مما امتاز به مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهو أن العوالم بجميع نشآتها لا تخلو عن حجّة وخليفة وواسطة.

والنقطة الأخرى التى ينبغى الإشارة إليها فى المقام، هى أن التوسّل والشفاعة والتوسّط والوسيلة تحمل فى داخلها عدم المحورية الذاتية للشفيع والوسيط، أى ليس للوسيط والشفيع والوسيلة أى استقلالية عن اللّه عزّ وجلّ، وذلك لأن الواسطة معناه أن النظرة إليها آلية وحرفية، ليس لها من ذاتها إلّاالفقر والحاجة إلى سلطان اللّه وإرادته.

ولذا نجد أن الوسائط التى اتخذت من دون اللّه عزّ وجلّ أخفقت فى وساطتها ووجاهتها وكانت شركاً باللّه عزّ وجلّ؛ لأنها استقلّت عن سلطانه وإرادته وإذنه.

والغريب فى هذا المجال هو أن أصحاب هذه المقالة والجاحدين للتوسل آمنوا بأن الشفاعة والتشفّع بالنبيّ صلى الله عليه و آله فى الآخرة ليس شركاً وكذا التشفّع بالنبيّ صلى الله عليه و آله حال حياته، وأما التشفّع به صلى الله عليه و آله حال موته فزعموا أنه من الشرك الأكبر.

ويرد عليهم السؤال التالى: إن دائرة الشرك من أين نتجت؟ هل من حدّ معنى الشفاعة والواسطة، أو من حدّها التعبّدى، أو من خلال المعنى العقلى؟

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۵۴

فاذا كان المعنى عقلياً فالغيرية إذا أوجبت الشرك، فإنها توجبه فى كلّ نشأة، سواء نشأة الدنيا أو الآخرة، وإذا لم توجب الغيرية الشرك لجهة الوساطة، فما هو الفرق بين أنواع التشفّع فى الدنيا والآخرة، أو حال الموت وحال الحياة؟!

لا سيما وأن الشرك الأكبر «۱» معنىً عقلى يدركه العقل، ونفيه وإثباته فى متناول الأحكام العقلية، وهى لا تقبل التخصيص والاستثناء، لا سيما وأنها من الأحكام التى تقرب من البداهة.

وبعبارة أخرى: إن الوسيلة والوساطة تعنى تقوّم الواسطة والوسيلة باللّه، وكونها مظهر فعله وظهوره، وهذا عين التوحيد فى الأفعال

والصفات، فكيف يُجحد تحت قناع أنه الشرك الأكبر، وتسمية ذلك الجحود بأنه توحيد؟!

فإن ذلك من التلبيس لأحد العنوانين مكان الآخر، خصوصاً وأنه قد مرّ أن إنكار الوسيلة والتوسّل بل يؤول إلى إنكار الشهادة الثانية؛ لأنه يؤول إلى إنكار ركنية ودخالة رسالة ومقام خاتم الأنبياء فى التوحيد.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۵۵

الفصل الثانى: الأدلّة القرآنية ... ص: ۵۵

اشارة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۵۶

۱- حقيقة التوسّل فى أربع طوائف قرآنية

۲- قصة آدم مع إبليس

۳- الآيات البيّنات فى المسجد الحرام

۴- التوجه إلى القبلة طاعة للنبى صلى الله عليه و آله

۵- المودة لذرية إبراهيم عليه السلام من شرائط الحجّ وغاياته

۶- الولاية من شرائط المغفرة

۷- الوفود على ولى اللّه من شرائط الحجّ

۸- الأنبياء مصدر البركة

۹- البقعة المباركة

۱۰- وجوب تعظيم الأنوار الإلهية

۱۱- بناء المساجد على قبور الأولياء

۱۲- حبط الأعمال وقبولها

۱۳- آيات القسم بشخص النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله

۱۴- الآيات الآمرة بالتوسل بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله

۱۵- آيات التوسّل بمخلوقات كريمة أُضيفت إلى الأنبياء والأولياء عليهم السلام

خاتمة فى:

أ- الروايات الواردة فى مشروعية التوسّل.

ب- آراء أعلام السنّة فى التوسّل

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۵۷

الأدلّة القرآنية ... ص: ۵۷

۱- (حقيقة التوسّل فى أربع طوائف قرآنية ...): ص: ۵۷

اشارة

إنّ الآيات القرآنية المباركة الدالّة على أنّ الإنكار على المشركين مُنصبّ على الوسائط المقترحة دون الوسائط الإلهيّة على طوائف متعدّدة:

الطائفة الأولى: وهى ما كانت بلسان استنكار الأسماء المقترحة من قبل العبيد ومن سلطانهم وهوى أنفسهم.

١- قوله تعالى: «أَتُجَادِلُونَنِى فِى أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» «١».

وهذا الكلام يسجّله اللَّه عزّ وجلّ فى قرآنه الكريم على لسان نبيّه هود عليه السلام، حيث يحاجج عاداً قومه وينكر عليهم الوسائط المقترحة من عند أنفسهم والتى لم ينزل اللَّه عزّ وجلّ بها سلطاناً.

وقد تقرّر فى علم أصول الفقه أن النهى أو النفى إذا ورد على طبيعة مقيّدة بقيد، فإنما يقع ذلك النفى أو النهى على القيد لا على ذات المقيّد، كقولك: لا رجل طويل فى الدار، فإنّ النفى فى هذا المثال متوجّه إلى القيد وهو الطول،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۵۸

وليس المراد نفى أصل وجود الرجل فى الدار، وبالنتيجة يكون المنفى الصنف والقيد وهو الرجل الطويل، لا ذات الطبيعة المقيّدة وهو عموم الرجل.

كذلك فى المقام، فالآية فى قوله تعالى: «مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» تنفى صنفاً خاصّاً من الوسائط والوسائل، وهى الوسائط التى لم ينزّل بها اللَّه تعالى سلطاناً، والأسماء المقترحة والمجعولة من قبل أنفسهم وآبائهم.

فمصبّ الإنكار والتقريع والتخطئة هو كون تلك الأسماء والوسائط مقترحة من غير إذنٍ وسلطان إلهى.

ولم تنفِ الآية المباركة أصل وجود الوسائط والوسائل، وإلّا فلو كان أصل الوساطة والتوسيط أمراً مستنكراً فلا معنى لذكر القيد، بل يكون ذكره لغواً ومخلّاً بالغرض والمراد.

مع أن الآية ركّزت على ذكر القيد، وأكّدت على أنّ الأسماء المستنكرة هى التى «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» لا مطلق طبيعة الأسماء والوسائط.

فليس الاشكال فى أصل الاسم والوساطة، بل الاشكال فى كونها مقترحة منهم ومسندة إليهم، من دون أن يُسمّها اللَّه عزّ وجلّ أو يجعلها واسطة بينه وبين خلقه.

وفى الآية المباركة إشارة لطيفة، حيث لم يطلق فيها الاسم على ذات البارى عزّ وجلّ، بل أطلق على ذات الواسطة بينه تعالى وبين عبيده، أى واسطة فى النداء ووسيلة فى التوجّه، فالإسم الذى يُدعى به هو الوسيلة أو الواسطة التى يتوسّل بها إليه.

٢- قوله تعالى: «إِنْ هِىَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۵۹

سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ» «١».

وتقريب الاستدلال بهذه الآية الكريمة بنفس ما تقدّم فى الآية السابقة، حيث أنها تجعل مركز التخطئة والاستنكار هو التصرّف الاقتراحى من العبيد فى سلطان اللَّه تعالى، وليست التخطئة لأصل مقالة الحاجة والضرورة إلى الوسائط.

الطائفة الثانية: وهى ما كانت بلسان حصول الشرك بغير اللَّه عزّ وجلّ، بسبب الوسائط التى لم تكن بسلطان اللَّه وحكمه وإرادته.

١- قوله تعالى: «سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ» «٢».

٢- قوله تعالى: «وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا» «٣».

٣- قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» «۴».

فسبب الشرك الذى وقعوا فيه هو تحكيم سلطانهم ورغبتهم وهواهم وإرادتهم على إرادة اللَّه تعالى وسلطانه، لا أن أصل الوساطة هو

المرفوض فى منطق القرآن الكريم.

الطائفة الثالثة: وهى ما كانت بلسان العبادة من دون اللَّه تعالى، وأن التوسّل

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۶۰

بالوسائط والشفعاء بغير سلطان وإذن من اللَّه عزّ وجلّ يوجب عبادة مَنْ هو دونه، وهى الوسائط المقترحة.

۱- قوله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ» «۱».

۲- قوله تعالى: «مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ» «۲».

لا- يقال: إذا كانت العبادة المرفوضة هى عبادة المعبود الذى لم ينزّل اللَّه به سلطاناً، فهل هذا يعنى أن العبادة لغير اللَّه تعالى تكون جائزة فيما إذا نزّل به اللَّه عزّ وجلّ سلطاناً؟!

لأننا نقول: العبادة لغير اللَّه تعالى ممنوعة مطلقاً، والبارى تبارك وتعالى لا يأمر بعبادة غيره، ومضمون هذه الطائفة من الآيات عين المضمون الذى تقدّم فى الطوائف السابقة من الآيات، وهو أن العبادة من دون اللَّه تعالى تتحقّق فيما إذا كانت الوسيلة بإرادة العبيد واقتراحهم، وأما إذا لم تكن كذلك فلا تكون عبادة من دون اللَّه، بل هى عبادة للَّهعزّ وجلّ، كما جاء ذلك فى سجود الملائكة لآدم، فهو سجود وطاعة للَّهتعالى، وامتثالٌ لأمره، لا أن السجود لآدم بنحو الاستقلال، لكى يكون عبادة وخضوعاً له من دون اللَّه عزّ وجلّ.

فهذه الطائفة من الآيات تبيّن أن العبادة من دون اللَّه تعالى إنما تتحقّق فيما إذا كان التوجّه إلى الوسائط المقترحة من قبل العبيد، من دون أن ينزّل بها اللَّه

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۶۱

سلطاناً، وأما إذا كانت الوسائط منصوبة من قبل اللَّه عزّ وجلّ وبسلطان منه والتوجّه إليها بإرادته وأمره، فحينئذٍ يكون التوجّه إلى الوسائط انقياداً وامتثالًا للأمر الإلهى وعبادة للَّهتبارك وتعالى؛ لأنّه تحكيم لسلطانه وانصياع لأوامره.

فالذى يأتمر بأوامر اللَّه تعالى بالانقياد مطلقاً بالوسائط أو بغيرها هو الموحّد التامّ فى مقام العبودية والطاعة، وفى غير ذلك يكون قد تجرّأ واستكبر على البارى تعالى وكفر بربوبيّته، كما فعل إبليس عندما استكبر وكان من الكافرين.

الطائفة الرابعة: ومضمونها هو أن أخذ التشريع من غيره تعالى يُعدّ شركاً فى التشريع إذا كان من دون إذن اللَّه عزّ وجلّ.

۱- قوله تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» «۱».

۲- قوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» «۲».

نتيجة الطوائف الأربع ...: ص: ۶۱

إنّ الإنكار على الوثنية والمشركين ليس فى فكرة الوسائط، بل باقتراحهم من الوسائط ما لم ينزّل اللَّه بها سلطاناً، فشركهم بمنازعة سلطانهم لسلطان اللَّه تعالى.

إذن فمشركو الجاهلية مع أنهم توسّلوا وتشفّعوا بالأصنام والأوثان بُغية الزلفى والتقرّب إلى اللَّه تعالى، وهم يعلمون أن الأصنام ليست غنية بالذات،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۶۲

وإنما هى وسائط وشفعاء إلى اللَّه عزّ وجلّ، مع ذلك كلّه اعتبرهم اللَّه تعالى من المشركين، وليس ذلك إلّالكون محطّ الإنكار عليهم ليس فى نظرية وعقيدة الحاجة إلى الوسائط، بل لكون الوسائط والشفعاء التى تشفّعوا بها لم يأذن بها اللَّه تعالى، ولم تكن بإرادته وسلطانه، وإنما هى من تحكيم سلطانهم على سلطان اللَّه تعالى.

وهذه الطوائف من الآيات مفسّرة لكلّ آيات الإنكار على المشركين والوثنيين عبدة الأصنام وغيرهم، وأين هذا من المعنى الذى يتوخّاه المنكرين لأصل التوسيط والوساطة، إذ جهة الزيغ والانحراف ليس فى أصل فكرة الوسائط والوسائل والاحتياج إليها، بل من جهة كونها بإرادة العبيد وتحكيمها على إرادة الربّ وسلطانه.

۲- قصة آدم مع إبليس ... ص: ۶۲

اشارة

إنّ هذه الملحمة تعدّ من أوضح الأدلّة على ضرورة التوجّه إلى الوسائط والحجج الإلهيّة، لطلب الزلفى والقرب من اللّه عزّ وجلّ.

وهذه الواقعة تضفى بلونها على جميع أصول الدين، إذ هى جاءت لتعيين مصير ومعالم مسار البشرية فى مبدأ وفاتحة الخليقة، وذلك واضح لمن تتبع الآيات التى استعرضت هذه الواقعة.

ونحن هنا نتعرّض إلى ما له صلة بالمقام:

وفيما يلى نذكر بعض السور والآيات التى استعرضت القصة:

۱- قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۶۳

وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» «۱».

۲- قوله تعالى: «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» «۲».

۳- قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ* قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ» «۳».

۴- قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ* قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» «۴».

۵- قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۶۴

الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» «۱».

هذه بعض الآيات التى تعرّضت للواقعة التى هى محلّ البحث.

وقد احتوت هذه القصّة على دلالات متعدّدة تنصّ على أسس المعارف الاعتقادية، وأحد تلك الجوانب المهمّة فى القصّة هى أمر اللّه تعالى الملائكة بالسجود لآدم، وذلك ضمن عدّة تعابير تبيّن شدّة الأمر بالانقياد والخضوع لآدم عليه السلام، كقوله تعالى: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» «۲»

، حيث احتشدت فيها الدوالّ التأكيدية ك (هم) و (أجمع) و (كلّ) و (الملائكة) وغيرها، وكقوله تعالى: «فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» فهو أمر

بالوقوع للسجود مباشرة بلا فصل، ولا يخفى ما فى التعبير بالوقوع من شدّة الخضوع والطوعانية وانقياد الملائكة لآدم عليه السلام.

وعلى ضوء مقالة أصحاب الشبهات المتقدّمة الجاحدين للتوسّل يكون امتناع إبليس من السجود عين التوحيد، فحيث أن إبليس أبى جعل الواسطة يكون أكبر موحّداً؛ لكونه متقيّداً ومتشدّداً فى العقيدة التوحيديّة وأول رائد لدعوة التوحيد ونفى العقيدة الشركيّة التى تورّط بها الملائكة بحسب زعم الجاحدين للتوسّل، ويكون إبليس على هذا صاحب تحرّر وانفتاح وشفّافية فى العبادة لرفضه الواسطة.

ويكون انقياد الملائكة وخضوعهم للواسطة هو الشرك الأكبر، ويكونون

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۶۵

بذلك مغالين فى آدم، قد خلقوا منه صنماً والعياذ باللّه لتقديسه وتعظيمه، بينما القرآن الكريم يقرّر الحقيقة على خلاف ذلك، حيث يعتبر الملائكة موحّدون مطيعون، وأصبحوا بسجودهم فى غاية القرب للّه‌تعالى؛ لامتثالهم وطوعانيتهم للأوامر الإلهيّة، وفى الوقت ذاته حكم على إبليس بالكفر، حيث عبّر عنه بأنّه كافر مستكبر مدحور ملعون مطرود عن ساحة الرحمة الإلهيّة.

ولا يستقيم معنى كفر إبليس وتوحيد الملائكة فى القرآن الكريم، إلّاعلى الضابطة التى ذكرناها، وهى أنّ المدار فى الطاعة والعبادة وتوحيد اللّه تعالى على وجود الأمر الإلهى، فمع مخالفة الأمر الإلهى يتحقّق الكفر والشرك، وإن كان مضمون المخالفة هو رفض الوسائط، وذلك ما صنعه إبليس فأصبح مذؤوماً مدحوراً، وأما الملائكة الذين انقادوا وخضعوا للأمر الإلهى، فهم الموحّدون المطيعون، ولو كان ذلك عن طريق الواسطة والسجود لآدم عليه السلام، سواء فُسّر السجود بمعنى جعل آدم قبلة لهم، أو بمعنى الاحترام والتعظيم والانقياد لآدم والخضوع له.

إذن أصبح إبليس فى غاية البعد من اللّه عزّ وجلّ واستحقّ الطرد من رحمة اللّه تعالى؛ لاستكباره على طاعة الأمر الإلهى؛ ولأنّه أراد أن يُحكّم إرادته وسلطانه على إرادة البارى تعالى وسلطانه، كما جاء ذلك فى الحديث القدسى، قال إبليس: (ربّ اعفنى من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرّب ولا نبىّ مرسل، فقال جلّ جلاله: لا حاجة لى فى عبادتك، إنما عبادتى من حيث أريد لا من حيث تريد) «۱»، وليس ذلك إلّالكون عبادته التى يزعمها مع رفضه السجود لولىّ اللّه وواسطته- تكبّراً وتجبّراً على اللّه عزّ وجلّ وتحكيماً لسلطانه

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۶۶

على سلطان اللّه تعالى، وهذا ينافى مضمون حقيقة العبادة، التى هى الخضوع والطوعانية للأوامر الإلهية؛ إذ ليس مدار العبادة على وجود الواسطة وعدمها كما سبق.

فإبليس فى حقيقة الأمر كان عابداً لهواه، والعابد أصبح هو المعبود لنفسه؛ إذ لم تكن عبادته خاضعة للأوامر الإلهية.

ثم إن مقام السجود والخضوع والانقياد لآدم عليه السلام لم يكن من مختصّاته، بل إن ذلك مقام الخلافة الإلهيّة، فكلّ من يتحلّى بهذا المقام ويتسنّم منصب الخلافة يكون مسجوداً للملائكة والجنّ وغيرهم ممّا خلق اللّه عزّ وجلّ.

إذن فالخطاب والأمر بالسجود شامل لكلّ خلفاء اللّه تعالى، خصوصاً وأن بعض الخلفاء الإلهيّين أعلى وأشرف منزلة من آدم عليه السلام فى مقام الخلافة.

وعلى ذلك صحّ أن يقال: أن الآيات والأمر الإلهى بالسجود شامل وعام، أى اسجدوا لمحمّد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وهارون وداود وأوصياء الأنبياء عليهم السلام، الذين هم خلفاء اللّه فى الأرض بنحو أشدّ وأكثر خضوعاً ممّا كان لآدم عليه السلام.

ومعنى ذلك أن اللّه عزّ وجلّ يُطوع جميع مخلوقاته ويأمرهم بالخضوع إلى خليفته ويأمرهم بالسجود له، أى يفترض عليهم ولايته وطاعته، بمعنى أن يتوجّهوا فى عباداتهم إلى اللّه تعالى بالخليفة الذى جعله واسطة بينه وبينهم.

وهذا هو معنى جعل ولىّ اللّه قبلة يتوجّه به إلى اللّه تعالى.

وقد ورد التعميم فى حكم السجود والخضوع لمطلق الخليفة فى قوله تعالى: «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ* فَإِذَا

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۶۷

مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» «۱»

، فالبشر الذى خلقه اللَّه تعالى من طين وشرّفه بروح منه وهو روح القدس، لابدّ من السجود والخضوع والانقياد له فى التلقّى عن اللَّه تعالى.

ملحمة إباء إبليس وسجود الملائكة لا زالت راهنة مستمرّة فى هذا العصر ... ص: ۶۷

وإذا عرفت هذا وتمعّنت فيه يتّضح لك أن الملائكة وسائر الموجودات المخلوقة لا زالت ساجدة خاضعة منقادة لوليّ اللَّه وخليفته فى أرضه، ولا زال إبليس وأعوانه وأتباعه وأشياعه من الجنّ والإنس يستكبرون على خليفة اللَّه، وينكرون وساطته ويرفضون الخضوع له والتوجّه إليه والتوسّل به إلى اللَّه تبارك وتعالى.

وهذا الذى ذكرناه كما ينطبق على النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله كذلك يصدق على الأوصياء الأصفياء والأئمّة والخلفاء من بعده من أهل بيته عليهم السلام.

وهذا أيضاً نداء قرآنى للمسلمين وكافّة البشر بالانقياد لمحمّد صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام بمعنى الخضوع لهم والتوجّه بهم إلى اللَّه عزّ وجلّ فى مقام العبادة، وهذا هو النمط الثانى لفرض ولايتهم وطاعتهم عليهم السلام، مضافاً إلى النمط الأول وهو معرفتهم والإيمان بهم.

والحاصل: أن ما اقترحه إبليس على اللَّه عزّ وجلّ من السجود المباشر من دون توسيط وليّ اللَّه تعالى وهو آدم عليه السلام عين الشرك والكفر؛ لأنّه تكبّر وتجبّر

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۶۸

وتمرّد على اللَّه عزّ وجلّ، وهو ينافى العبادة والعبودية التى مدارها على الطوعانية والانصياع.

والملائكة فى سجودهم لآدم موحّدون فى العبادة؛ لكونهم خاضعين منقادين لأمر اللَّه عزّ وجلّ، وهو معنى العبادة والاستسلام لإرادة البارى عزّ وجلّ.

وكان سجودهم وخضوعهم وانقيادهم لآدم عبادة للَّه‌تعالى وطاعة له؛ لكونها ناشئة عن أمره عزّ وجلّ، ولذا ورد فى الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال فى سجود الملائكة: «لم يكن سجودهم عبادة له، وإنما كان سجودهم طاعة لأمر اللَّه عزّ وجلّ» «۱».

وهذا هو الفارق الأساس الذى يفصل بين التوجّه لأحجار الكعبة الشريفة وبين التوجّه للأصنام، مع أن كلّ منهما حجر، فهذا شرك وذاك توحيد، ومداره وجود الأمر الإلهى وعدمه.

ثمّ إنّ السجود لآدم والسجود تجاه الكعبة والتبرّك بالحجر الأسود وغير ذلك ليس عبادة لها، بل هى عبادة لصاحب الأمر، وهو اللَّه عزّ وجلّ، فهو الذى أمر بذلك، والعباد منقادون مطيعون لأمره تبارك وتعالى.

الإمامة ركن التوحيد ...: ص: ۶۸

ومن المعالم المهمّة أيضاً، والتى استعرضتها الآيات القرآنية فى قصّة آدم هى الولاية والخلافة، فالتوحيد فى العبادة لا يكون إلّابالانصياع والتذلّل لخليفة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۶۹

اللَّه تعالى المنصوب من قبله عزّ وجلّ، فإبليس الذى استكبر على الخلافة والإمامة فى الأرض كافر بنصّ القرآن الكريم، والملائكة الذين خضعوا وسجدوا لخليفة اللَّه تعالى موحّدون فى العبادة.

فالإمامة معلم من معالم توحيد اللَّه تعالى فى الطاعة، والمطيع والخاضع لوليّ اللَّه ووسيلته، هو الموحّد الحقيقى، وبذلك يكون الكون بأجمعه مأموراً بالطاعة والانقياد لمقام الخلافة والإمامة فى الأرض، بما فيهم كبار الملائكة المقرّبين، حيث أخذ اللَّه عزّ وجلّ الولاية للإمام والخليفة على جميع الملائكة، فمن يأبى ذلك يندرج تحت قوله تعالى: «أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ».

ولا شكّ أن الإيمان بهذه العقيدة من مختصّات المذهب الإمامى، الذى آمن بأن السبب المتّصل بين الأرض والسماء لم ينقطع بعد وفاة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وأن الولاية الفعلية للَّه‌تعالى والحاكمية السياسية والقضائية والتنفيذية والتشريعية، لا زالت قائمة بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فولاية اللَّه تعالى فى تدبير النظام الاجتماعى بشكل مطلق غير معطّلة.

وبذلك كلّه نخلص إلى: أنّ إنكار الواسطة المنصوبة من اللَّه عزّ وجلّ هو ما قام به إبليس، حيث يدّعى التوحيد فى العبادة، لكن باطن دعواه الشرك، فلابدّ أن يُلتفت إلى أن العبادة فى جوهرها وروحها ليست بهيئة السجود أو الركوع أو تحريك اللسان أو بالقصد إلى بيت اللَّه الحرام فيما إذا كان المكلّف يحمل فى طيّات نفسه الإباء والاستكبار على ربّه، فإن هذا هو محطّ الكفر والصنمية والفرعنة.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۷۰

ضابطة العبادة ...: ص: ۷۰

ومن هنا قد ينبثق إشكال أشرنا إليه سابقاً وأجبنا عنه إجمالًا نحاول أن نجيب عنه بشىء من التفصيل.

وحاصل الاشكال: هو أن البحث انتهى بنا إلى أن المدار فى العبادة على قصد الأمر وعدمه، فلو كان كذلك فهل يعقل أن البارى يأمر بعبادة غيره؟!

فإذا كان ذلك غير معقول فلا يكون المدار على وجود الأمر وعدمه، بل المدار على تخصيص العبادة باللَّه تعالى وعدم تخصيصها به.

وبعبارة أخرى: لو كان المدار على وجود الأمر وعدم الأمر لكان من المعقول أن اللَّه تعالى يأمر بعبادة غيره، والحال أن القرآن الكريم فى آيات عديدة ينهى عن الكفر والشرك وعبادة غير اللَّه تعالى.

وحينئذٍ يكون المدار على ذات الفعل وذات الخضوع، فإن كان لغير اللَّه فلا يعقل أن يؤمر به من قبل اللَّه عزّ وجلّ، وإن كان للَّه‌عزّ وجلّ فهو العبادة التوحيدية، فالخضوع والفعل العبادى لا يقبل التوسيط، بل لابدَّ من توجيهه وتخصيصه وإضافته إلى اللَّه عزّ وجلّ، ولا يعقل أن يتوجّه إلى غير اللَّه عزّ وجلّ فى الفعل.

فالضابطة ليس على وجود الأمر فقط، بل على اسناد الفعل أيضاً، فإذا تمحّض الفعل فى الإضافة إلى اللَّه عزّ وجلّ يكون توحيداً فى العبادة، وإذا امتزج الفعل فى الإضافة إلى غير اللَّه تعالى يكون شركاً، فالمدار على إثبات الواسطة ونفيها.

والجواب: هو أن المدار على وجود الأمر لا غيره، والذى يُحقّق كون العبادة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۷۱

والخضوع مضافتين إلى اللَّه عزّ وجلّ دون غيره هو نفس وجود الأمر وامتثاله.

وذلك كما ذكرنا فى الفارق بين التوجّه إلى الكعبة وهى أحجار وبين التوجّه إلى الأصنام من قبل الوثنية، وهو وجود الأمر وعدمه.

وبعبارة أخرى: مع وجود الأمر الإلهى لا يكون الخضوع والعبادة للواسطة، بل لأمر اللَّه محضاً، ومع عدم وجود الأمر لا يكون الخضوع للَّه‌وإن نفيت الواسطة، بل يكون خضوعاً لهوى النفس واستكبارها.

فإن العبادة بتسالم علماء الإسلام ليس تحقّقها بالهيئة فقط، وإنما جوهر العبادة وروحها بالخضوع والطوعانية والسلم والاستسلام.

ومن الواضح أن الهيئات والأفعال البدنية، من السجود والركوع وألفاظ الدعاء، من درجات العبادة النازلة فى القوى الإنسانية، وأما درجات ذات الانسان العالية كقوة عقله وقلبه فإن عبادته بالتسليم والانقياد والإذعان، وهى المعرفة الإيمانية، ومن ثم ورد أن «الأعمال بالنيّات» أى أن قيمة العبادة بلحاظ النيّة، والنيّة هى التوجّه القلبى المتولّد من الإيمان.

وعليه فما اشتهر من تقسيم التوحيد إلى توحيد الذات والصفات والأفعال وتوحيد العبادة لا يخلو من مسامحة، لأن التوحيد فى مقام المعرفة هو توحيد عبادة أيضاً، حيث أن إذعان القلب والعقل والروح وتسليمها بتوحيد الذات والصفات والأفعال خضوع للبارى تعالى، وإخبات وتسليم، فهى عبادة للّهمن العقل والقلب والروح، ولا يمكن أن يكون للبدن والنفس عبادة للّهولا يكون للعقل والقلب والروح عبادة للّهبالإيمان والإذعان والتسليم والإخبات وعدم الجموح والتمرّد على اللّه تعالى، إذ أن جوهر العبادة هو التسليم والإنقياد

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۷۲

والطاعة والطوعانية وكون العبد طيعاً مطاوعاً.

فإذا أمر البارى تعالى بهيئة معينة فى العبادة فطاعة ذلك الأمر هو العبادة التوحيدية، وإن كان لهيئة العبادة المأمور بها علاقة وإضافة إلى وسيلة وواسطة معيّنة، فقوله تعالى: «فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» «۱».

إنما هو جعل إلهى للواسطة والوسيلة وهى الكعبة، وهذا لا يعنى أن اللّه تعالى يأمر بعبادة الكعبة والسجود والخضوع لها، بل إنما السجود والخضوع له تبارك وتعالى، وباب التوجّه إليه عزّ وجلّ هى الكعبة، فهى وجه اللّه عزّ وجلّ، حيث أطلق البارى على الكعبة والمسجد الحرام بأنه وجه اللّه؛ لأنه تعالى قال:

«وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» والوجوه إنما يقابلها وجه يكون واسطة بين العبد والمعبود، ثم بعد ذلك يُعقّب اللّه عزّ وجلّ بأننى عندما أقول توجّهوا إلى الكعبة واجعلوها قبلة ووجهاً لا يعنى انحصار الوجه الإلهى بالكعبة، بل «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» «۲»

، وإنما الوجه الأساس الذى جعل فى التوجّه إلى اللّه عزّ وجلّ فى الصلاة هو الكعبة الشريفة.

فإذا كانت الكعبة تستحقّ أن تكون وجهاً للّهتعالى، فكيف لا يكون سيّد الرسل صلى الله عليه و آله وجهاً من وجوه اللّه عزّ وجلّ، بل أعظم الوجوه للّهتعالى؟!

مع أن الكعبة المشرّفة عبارة عن أحجار.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۷۳

نعم المجسّمة يقولون إن وجه اللّه تعالى هو العضو الجسمانى منه، وهو قول باطل بالضرورة؛ إذ لا وجه ولا يد ولا رجل للّهعزّ وجلّ بمعنى أنه عين ذاته، نعم يده من مخلوقاته بمعنى القدرة والتصرّف، ووجهه بمعنى التوجّه إليه تعالى بآياته، التى هى علامات ودلالات مخلوقة للّهتعالى لابدّ من الاستدلال بها على ذى الآية.

وحينئذٍ فالمدار على وجود الأمر، وهو الذى يخصّص الخضوع بكونه للّه تعالى لا لغيره وإن أضيف إلى الواسطة، إذ ليست هى إضافة خضوع وعبادة، بل إضافة وسيلة وتوجّه بحسب ما هو الأمر الإلهى، والأمر هو مقام الآمرية والمولوية للّهعزّ وجلّ، وإعمال سلطنة على العبد، وانقهار العبد واستسلامه لإرادة مولاه يُعدّ عبادة لمولاه لا لغيره، فمع وجود الأمر لا يعقل أن تكون العبادة لغير اللّه، لأن العبادة التى هى الطاعة لغير اللّه لا يتحقّق معناها مع وجود الأمر من اللّه تعالى، ومع عدم وجود الأمر لا يكون الإتيان بالفعل طاعة وعبادة للّهوإن حذفت الوسائط، بل يكون شركاً وطاعة لهوى النفس وتكبّراً واستكبار على آيات اللّه تعالى وحججه.

والحاصل: إن المدار فى العبادة ليس على هيئة الأفعال والطقوس فحسب، كما تسالم على ذلك علماء المسلمين من فقهاء ومحدثين

ومتكلّمين ومفسّرين، فإن اللّاعب الرياضى قد يتخذ هيئة خاصة كالسجود والركوع وغيرهما، ولكن قصده الرياضة من شدّ عضلات الظهر أو الركبتين أو غيرها، وكذا دفع الخمس أو الزكاة بقصد الرشوة أو السمعة والرياء، فإن ذلك كلّه ليس من العبادة، وإن كانت هيئته هيئة عبادية، وليس ذلك إلّالكونه خارجاً عن إطار

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۷۴

الأوامر الإلهية.

ولذا كان امتثال الأمر الإلهى بالسجود أو الركوع إلى الكعبة والاعتكاف فى المسجد والوقوف بعرفة والسعى بين الصفا والمروة والازدلاف إلى منى والطواف حول البيت الحرام ليس عبادة للكعبة أو المسجد أو عرفة أو غيرها، وإنما إضافة تلك الهيئات العبادية إليها إضافة امتثال وطاعة وتوسّل وتوجّه إلى اللّه تعالى انقياداً لأمره، ولا يعنى ذلك صنمية أو عبادة لتلك البقاع الطاهرة؛ إذ مع وجود الأمر الإلهى يكون الامتثال انقهاراً واستسلاماً من العبد لربّه، ولا يمكن أن تكون عبادته عبادة لغير اللّه تعالى، بل قد تكون أفعال ونسك الحج والصلاة إلى الكعبة شركاً، كما كان فى عهد الجاهلية قبل الإسلام، وتكون توحيداً إذا كانت بولاية ولى اللّه وهو الرسول كما فى أفعال الحج بعد الإسلام، فالسجود والخضوع لمن أمر اللّه عزّ وجلّ بالخضوع له طاعة للّهبالأصالة، وليس المسجود له إلّاواسطة فى العبادة، وآية فى المعرفة والانقياد.

۳- الآيات البينات فى المسجد الحرام ...: ص: ۷۴

اشارة

قال تعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» «۱»

، فالآية تتحدّث عن بناء البيت الحرام وأنه أوّل بيت وأشرف بيت وضع للناس لأجل عبادة اللّه تعالى، فهو إمام المساجد وأوّلها، ومنه تتشعّب بقيّة بيوت اللّه تعالى، التى وضعت للعبادة، ففى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۷۵

الآية الكريمة مزج بين حقيقتين:

الأولى: أن البيت الحرام هو أوّل بيت وضع للعبادة وللحجّ.

الثانية: ما يحويه هذا البيت المبارك من آيات بيّنات، وهى مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً.

فعندما أراد اللّه تعالى أن يبيّن حقيقة بيته المبارك وأنه وضع للعبادة والتوحيد والتطهير من الشرك والهداية للعالمين، ذكر سبب ذلك، وهو أنه فيه آيات بيّنات.

إذن الركن الركين فى ماهية البيت الإلهى وفى كونه هداية للعالمين ومحلّاً للعبادة والتوحيد ونفى الشرك هو كونه فيه آيات بيّنات، فالذى يُعضّم شأنه ويجعل العبادة فيه عبادة توحيدية توفّره على تلك الآيات البيّنات، والعطف فى الآية المباركة عطف بيان، فالآيات المقصودة فى الآية المباركة هى مقام إبراهيم عليه السلام أوّلًا، ومن دخله كان آمناً ثانياً، وهاتان الآيتان فى البيت الحرام ذُكرا على سبيل التمثيل لا الحصر؛ ولذا جاء التعبير فى الآية بلفظ الجمع وهو (آيات بيّنات).

فالبيت الذى وضع للناس من أجل العبادة والهدى ونفى الشرك ميزته التى جعلته كذلك هى أنه فيه آيات بيّنات، والحجّ الذى هو شرعاً القصد إلى بيت اللّه الحرام للوفود على اللّه تعالى جُعل مقروناً بالآيات، وهى مقامات الأنبياء وقبورهم ومناسكهم؛ ليكون دليلًا

وشاهداً على أن التوجّه والسير إلى اللّه عزّ وجلّ لا يتمّ إلّابالتوجّه بأنبيائه وأصفيائه والتوسّل بهم إلى اللّه تعالى.

فلا ينفكّ توحيد اللّه وعبادته عن التمسّك بالآيات البيّنات، كما مرّ ذلك فى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۷۶

سورة الأعراف، وهو قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ» «۱»

، حيث ربطت بين التمسّك بالآيات وبين استجابة الدعاء والتقرّب وقبول الأعمال والنجاة من النار.

وفيما يلى نحاول استعراض بعض هذه الآيات البيّنات الموجودة فى البيت الحرام، وهى:

۱- مقام إبراهيم عليه السلام.

۲- الأمن والأمان بالنسبة إلى داخليه من الحجّاج والمعتمرين وغيرهم.

۳- المستجار أو الملتزم.

۴- حجر إسماعيل وقبره وقبر امه وقبر سبعين نبيّ.

۵- الصفا والمروة.

۶- الحجر الأسود.

۷- مشاعر الحجّ ومناسكه، كالمزدلفة ومنى والجمرات وعرفة.

مقام إبراهيم ...: ص: ۷۶

هذه الآية الإلهية من أبرز معالم وآيات المسجد الحرام، وقد نصّت على ذلك الآية التى هى محلّ البحث، وقد ورد فى سورة البقرة أيضاً قوله تعالى:

«وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۷۷

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» «۱»

، والتعبير ب (مقام) فى كلا الآيتين للدلالة على التفخيم والتعظيم لذلك المكان وهو حجر من الأحجار كما فى قوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» «۲»

وقوله تعالى:

«عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا» «۳»

، وليس ذلك إلّالكونه لامس بدن إبراهيم عليه السلام، حيث كان يقف عليه عند بنائه للبيت الشريف.

فهذا الحجر عظّمه اللّه تعالى وفخّمه وسمّاه مقاماً، وأمرنا أن نتّخذه مصلّى، أى نتّخذه قبلة بالاتجاه إليه وإلى الكعبة أثناء صلاة الطواف وغيرها فى شعيرة الحجّ والعمرة، التى هى القصد والتوجّه إلى اللّه عزّ وجلّ، فالحاج عندما يريد أن يقصد ويتوجّه إلى ربّه بعمرة أو حجّ فى الطواف وفى بيت التوحيد ومعقله، لابدّ له من التوجّه بالحجج والوسائط والآيات إلى اللّه تعالى، وهو مقام إبراهيم والكعبة المشرّفة، وليس ذلك كلّه إلّالتبرّك الحجر بملامسة بدن إبراهيم عليه السلام، فيتوجّه به إلى اللّه فى الصلاة، فلا يستطيع المسلم أن يتجنّب أو يستبعد آيات اللّه وحججه فى أبرز معالم التوحيد وهو الحجّ.

وإذا كان الحجر بملامسته بدن إبراهيم عليه السلام هذه حاله، فكيف بك بنفس النبيّ إبراهيم؟ ألا- يتوجّه به إلى اللّه عزّ وجلّ

بالأولوية، فيقال: يا وجيهاً عند اللّه اشفع

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۷۸

لنا عند اللّه؟!

وقد جاء فى دعاء الندبة ما يقرب من هذه المضامين.

والحاصل: إن هناك رمزاً آخر بالاضافة إلى رمزية الكعبة، لابدّ من التوجّه إليه واستقباله فى الصلاة، ومن لم يصلِّ صلاة الطواف إلىالمقام والكعبة معاً فصلاته باطلة، وبالتالى يكون نُسكه باطلًا وقصده إلى البارى تعالى لم يتحقّق، لعدم إتيان البيوت من أبوابها.

بيان آخر للآية الكريمة ...: ص: ۷۸

ثبت فى علم الأصول أن الحكم معلول لموضوع نفسه ولا يمكن أن يكون علّة له، ففرض الموضوع سابق ومتقدّم على فرض الحكم، والحكم فى قوله تعالى، «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» هو وجوب اتخاذ المقام مصلّى، والموضوع هو مقام إبراهيم عليه السلام، ومتعلّق الحكم هو استقبال مقام إبراهيم عليه السلام فى الصلاة.

وحيث أن الموضوع سابق على الحكم سبق العلّة على معلولها، فلابدّ من فرض المفروغية عن جعل سابق لتحقّق الموضوع فى نفسه، وهو كون مقام إبراهيم عليه السلام محلّ للقربات والتعبّد والبركة والقداسة، وحينئذٍ وبعد الفرغ عن ذلك يأتى المحمول، وهو وجوب اتخاذه مصلّى باستقباله فى الصلاة إلى جهة الكعبة.

فالحكم دالّ على أن للموضوع أسبقية فى القداسة وكونه معلماً من معالم الدين، وليس المقام المذكور إلّاصخرة لامست قدمى إبراهيم عليه السلام فتقدّست بذلك وأصبحت ذات حرمة يتولّد منها وجوب اتخاذه مصلّى، بأن يجعل قبلة مع الكعبة، فيستقبل فى صلاة الحجّ والطواف فى بيت اللّه الحرام، ويتقرّب بالاتجاه به إلى اللّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۷۹

فالمثابة إلى بيت اللّه الحرام من دون اتخاذ مقام إبراهيم مصلّى يكون وثناً وشركاً كعمل المشركين ومناسكهم.

ومن ذلك يتّضح أن البيت الحرام إنما يجب أن يقصد بشرط، وهو أن تُقرن العبادة التوحيدية للحجّ بولىّ اللّه إبراهيم عليه السلام، والمقامات المقدّسة والمشاهد المشرّفة، التى حلّ فيها أو لامست بدنه المبارك، فالمسلم يقصد فى حجّه إلى اللّه عزّ وجلّ الوصول إلى آثار الأنبياء ومقاماتهم؛ لكونها مواطن شعّرها اللّه عزّ وجلّ وجعلها أسباباً ووسائط لنيل القربى والزلفى إليه تعالى.

وإذا كانت صخرة لامست قدمى إبراهيم عليه السلام لها تلك القداسة والعظمة والبركة، فكيف بك بمشاهد النبىّ الأعظم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، الذين هم أفضل وأعظم من إبراهيم وجميع الأنبياء عليهم السلام، حيث نصّ القرآن على كون على عليه السلام بمنزلة نفس النبى صلى الله عليه و آله، وهذا مقام لم يحظَ به أحد من الأنبياء والمرسلين، وكذلك قرنهم اللّه تعالى بنبيّه فى مواطن عديدة كما سيأتى بيانه، إختصهم بذلك دون بقية الأنبياء والمرسلين، كما نعتهم بأنهم أوتوا علم الكتاب كلّه فى قوله: «لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» «۱»

وهم أهل آية التطهير، وكذا ما فى قوله تعالى:

«قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» «۲»

بينما لم يثبت اللّه تعالى علم الكتاب كلّه لأحد من الأنبياء، ففى النبى عيسى عليه السلام قال تعالى على لسانه: «وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ» «۳»

وفى شأن النبى موسى عليه السلام:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۸۰

«وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً» «۱»

فلم يكن من مقامهما عليهما السلام أن يبيّنا كلّ ما يختلف فيه بنى إسرائيل ولم يكتب فى ألواح موسى عليه السلام كلّ شىء، بل من كل شىء؟! وعلى هذا كلّه ألا تكون مشاهدهم والأماكن التى حلّوا فيها محلّاً للبركة والقداسة وموجبة للزلفى إلى اللَّه عزّ وجلّ؟!

إذن هذه الآية المباركة تفيد عموم التبرّك بمواضع الأنبياء والأولياء وأنه من صميم التوحيد ونبذه من صميم الوثنية والجاهلية.

وليس ذلك إلّالكونها من شعائر اللَّه، فيجب تعظيمها تعظيماً للَّه‌تعالى، فهذه الآية الكريمة دالّة بالنصّ على تشعير مواطن الأنبياء والمصطفين للقربى والعبادة.

ثم إنه لا يخفى ما فى التعبير ب (المقام) فى الآية المباركة من الدلالة على ما تقدّم؛ لأن التعبير ب (مقام) له دلالة شرعية أديانية بكون ذلك المكان محلّاً يتبرّك به.

وهكذا إضافة المقام إلى إبراهيم مُشعر بالعليّة، فليس ذلك الحكم حكماً لكلّ حجر، بل الحجر المنتسب إلى إبراهيم عليه السلام.

بل قد حكى القرطبى فى تفسيره عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء أن مقام إبراهيم الحج كلّه، وعن عطاء أنه عرفة ومزدلفة والجمار وقاله الشعبى، النخعى: الحرم كلّه مقام إبراهيم، وقاله مجاهد «۲»، فعلى هذه الأقوال فى تفسير

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۸۱

مقام إبراهيم يتّضح جليّاً أن الحج والحرم كلّه قد مُلأ ببصمات وإضافات منتسبة إلى النبى إبراهيم عليه السلام وأنه لأجل ذلك استأهلت تلك الأماكن أن تكون مواطن لعبادة اللَّه، وأن الحج جعل عبادة توحيدية عظيمة بوسيلة التوجّه بأنبياء اللَّه فى الأعمال والنسك التى يؤتى بها، حيث أضيفت إليهم عليهم السلام، وسيأتى مزيد من الإيضاح لذلك فى بقية مقامات الحج.

ولأجل ذلك كلّه ورد الحثّ عن أهل البيت عليهم السلام لأصحابهم بالتواجد فى الأماكن التى شهدها النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وتشرّفت بحلوله صلى الله عليه و آله فيها.

من ذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال لعبد الأعلى: «إذا مررت بوادى محسّر فاسعَ فيه، فإن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سعى فيه» «۱».

وعن عقبة بن خالد قال: سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام إنا نأتى المساجد التى حول المدينة فبأيها أبدأ؟ فقال: «ابدأ بقبا فصلِّ فيه وأكثر، فإنه أوّل مسجد صلّى فيه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى هذه العرصة، ثم إئت مشربة أم إبراهيم فصلِّ فيها، فإنها مسكن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومصلّاه» «۲».

كذلك عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال لمعاوية بن عمّار: «لا تدع إتيان المشاهد كلّها، مسجد قبا فإنه المسجد الذى أسّس على التقوى من أوّل يوم، ومشربة أمّ إبراهيم، ومسجد فضيخ، وقبور الشهداء ومسجد الأحزاب وهو مسجد الفتح» «۳».

والروايات فى هذا المجال كثيرة جدّاً نكتفى منها بهذا المقدار.

هذه هى الآية الأولى من الآيات البيّنات فى المسجد الحرام.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۸۲

حجر إسماعيل ...: ص: ۸۲

لقد ورد فى الروايات أن حجر إسماعيل يضمّ قبره وقبر أمه هاجر وقبر سبعين نبيّاً أو تسعة وتسعين.

ففى الكافى عن معاوية بن عمّار قال: «سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شىء من البيت؟ فقال: لا ولا

قُلامة ظفر، ولكن إسماعيل دفن أمه فيه فكره أن توطأ، فحجّر عليه حجراً، وفيه قبور أنبياء» «۱».

وقال السيوطى فى الدرّ المنثور: (وتوفّى إسماعيل بعد أبيه فدفن داخل الحجر مما يلى الكعبة مع امه هاجر) «۲».

وأخرج القرطبى فى تفسيره، عن عبد اللَّه بن ضمرة السلولى: (ما بين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعة وتسعين نبيّاً) «۳».

وفى الطبقات لابن سعد، عن أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: (لما بلغ إسماعيل عشرين سنة توفيت أمه هاجر وهى ابنة تسعين سنة فدفنها إسماعيل فى الحجر) «۴».

وأخرج أيضاً عن أبى جهم بن حذيفة بن غانم قال: (أوحى اللَّه على إبراهيم عليه السلام أن يبنى البيت وهو يومئذٍ ابن مائة سنة وإسماعيل يومئذٍ ابن ثلاثين سنة فبناه معه، وتوفّى إسماعيل بعد أبيه فدفن داخل الحجر مما يلى الكعبة مع

أمه هاجر) «۱».

وفى كتاب فضائل مكّة للحسن البصرى، عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «إن حول الكعبة قبر ثلثمائة نبىّ، وما بين الركن اليمانى والركن الأسود قبر سبعين نبيّاً» «۲».

ثم إن من طاف حول الكعبة بإخراج حجر أسماعيل فطوافه باطل، وقد نصّ على ذلك الفقهاء من الفريقين، أما فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام فهو واضح، وقد صرّحت بذلك روايات أهل البيت عليهم السلام، وأما فقهاء أهل سنّة الجماعة، فقد صرّحوا بهذه الحقيقة أيضاً، ففى مواهب الجليل للرعينى، قال: (وقال ابن مسدى فى منسكه: وأما قولنا ويطوف من وراء حجر إسماعيل فهو الاجماع، ثم اختلفوا، فقال أصحاب الرأى: يطوف من وراء الحجر استحباباً، وقال جمهور العلماء بالوجوب إلى أن قال- ثم اتفقوا على أن من طاف ببناء البيت الظاهر ولم يُدخل الحجر فى طوافه أنه يعيد الطواف ما دام بمكّة، ثم اختلفوا، فقال أبو حنيفة ومن تبعه: يعيد استحباباً، وقال جمهور العلماء: يعيد وجوباً؛ لأنه كمن لم يطف، فإن لم يذكر حتى انصرف إلى بلاده، فقال ابن عباس: هو كمن لم يطف، وإليه ذهب مالك والشافعى وأبو ثور وأحمد بن حنبل وإسحاق وداود وغيرهم من أهل العلم، وقالوا: عليه أن يرجع من حيث كان، يطوف من وراء الحجر) «۳».

وقال الشافعى: (وإكمال الطواف بالبيت من وراء الحجر ووراء شاذروان

الكعبة، فإن طاف بالبيت وجعل طريقه من بطن الحجر أعاد) «۱».

وعن ابن عباس: (من طاف بالبيت فليطف من وراء الحجر) «۲».

وليس ذلك إلّالكون الحجر من تلك الآيات التى عرّف اللَّه عزّ وجلّ بيته المبارك بها، والطواف فيه نوع من المدارية والمحورية للكعبة الشريفة، فحينما يتمحور الحاج ويدور ويطوف حول الكعبة التى تشرّفت بحجج اللَّه وآياته، فإن ذلك معناه أن تلك الآيات هى الأبواب إلى اللَّه عزّ وجلّ وبها يعبد ويقصد ويتوجّه إليه.

فإسماعيل وهو نبىّ من الأنبياء على ملّة أبيه إبراهيم حنيفاً مسلماً، ويعلم أن الكعبة أوّل بيت وضع للناس كافّة ولجميع الأجيال مناراً للعبادة والطهارة والتوحيد، مع ذلك قام ببناء قبر لأمّه، وهى وليّة من الأولياء، مع سبعين نبياً من الأنبياء، وجعل الطواف كما هو طواف بالكعبة طواف بقبر أمه وكذا قبره وقبر سبعين أو أكثر من الأنبياء.

والقرآن يأتى بعد ذلك ويقرّ هذه الحقيقة ويجعلها من الأمور التربوية للمسلمين، فيقول إن هذا البيت معرفته وشرفه أنه فيه آيات بيّنات، هى قبور الأنبياء والأولياء.

ففى تشريع الملّة الحنيفية أن قبور الأنبياء تقصد ويتوجّه إليها ويطاف بها، وهذا من التوحيد التام، لا سيما وأن اللَّه عزّ وجلّ أمر إبراهيم وإسماعيل بتطهير

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۸۵

البيت من الشرك والمشركين، قال تعالى: «وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» «۱»

ومن تشريعات الملّة الحنيفية، التى توجب الطهارة من الشرك والتشرف بمعالم التوحيد ويكون ذلك البيت أعظم وأطهر مسجد فى الأرض يُعبد فيه اللَّه تعالى، هى الآيات البيّنات، قبر إسماعيل وهاجر وعدد كبير من الأنبياء، ويكون الطواف كما هو طواف بالكعبة طواف بالقبور والآيات، التى بها كان البيت طاهراً من الشرك ومباركاً وهدى للعالمين.

إذن الطواف الذى هو صلاة لابدّ أن يتوجّه فيه إلى القبور، ولابدّ من الدخول إلى البيت من أبوابه وإلّا كان الطواف باطلًا، ولم يكن البيت هدى للعالمين، هذه هى الملّة الحنيفية.

المستجار أو الملتزم ...: ص: ۸۵

هذه هى الآية الثالثة من آيات المسجد الحرام، وهذه الآية الإلهية فى نفس جدار الكعبة مما يقرب من الركن اليمانى ويقابل من جهته الأخرى باب الكعبة، الذى يقرب من الحجر الأسود، وفى نصوص الفريقين يستحب التزام الكعبة وأن يستجير الداعى باللَّه تعالى فى ذلك المكان.

أما الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فهى كثيرة جدّاً:

فعن معاوية بن عمّار قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: «إذا فرغت من طوافك وبلغت مؤخّر الكعبة وهو بحذاء المستجار دون الركن اليمانى بقليل فابسط يديك وألصق بدنك وخدّك البيت، وقل: اللّهمّ البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مكان

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۸۶

العائذ بك من النار، ثم أقرّ لربّك بما عملت، فإنه ليس من عبد مؤمن يقرّ لربّه بذنوبه فى هذا المكان إلّاغفر اللَّه له إن شاء اللَّه» «۱».

كذلك عنه عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «لما طاف آدم بالبيت وانتهى إلى الملتزم، قال له جبرئيل: يا آدم أقرّ لربّك بذنوبك فى هذا المكان- إلى أن قال- فأوحى اللَّه إليه يا آدم قد غفرت لك ذنبك، قال: يا ربّ ولولدى أو لذريتى، فأوحى اللَّه عزّ وجلّ إليه: يا آدم من جاء من ذريتك إلى هذا المكان وأقرّ بذنوبه وتاب كما تبت ثم استغفر غفرت له» «۲».

وغيرها من الروايات فى هذا المجال.

وقال الشربينى فى مغنى المحتاج: (الدعاء يستحبّ فى خمسة عشر موضعاً بمكة: فى الطواف، والملتزم، وتحت الميزاب، وفى البيت، وعند زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفى السعى، وخلف المقام، وفى عرفات، ومزدلفة، ومنى، وعند الجمرات الثلاث) «۳».

وفى حواشى الشروانى، أخرج ذلك عن الحسن البصرى «۴».

والمضمون ذاته جاء فى مواهب الجليل للحطّاب الرعينى «۵».

وقال الشافعى: (وأُحبّ له إذا ودّع البيت أن يقف فى الملتزم، وهو بين الركن والباب، فيقول: اللّهمّ إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۸۷

حملتنى على ما سخّرت لى من خلقك، حتى سيّرتنى فى بلادك وبلّغتنى بنعمتك، حتى أعنتنى على قضاء مناسككك، فإن كنت رضيت عنّى فازدد عنّى رضاً، وإلّا فمن الآن قبل أن تنأى عن بيتك دارى) «۱»، وقال النووى بعد ذكره لهذا الدعاء: (واتفق الأصحاب على استحبابه) «۲».

وقال النووى أيضاً عندما ذكر الملتزم: (سمّى بذلك لأن الناس يلزمونه عند الدعاء) «۳».

وقال أيضاً: (قال القاضى أبو الطيّب فى تعليقه: قال الشافعى فى مختصر كتاب الحجّ: إذا طاف للوداع استحبّ أن يأتى الملتزم فيلصق بطنه وصدره بحائط البيت ويبسط يديه على الجدار، فيجعل اليمنى مما يلى الباب واليسرى مما يلى الحجر الأسود، ويدعو بما أحب من أمر الدنيا والآخرة إلى أن قال وعن ابن عباس: أنه كان يلتزم ما بين الركن والباب، وكان يقول ما بين الركن والباب يُدعى الملتزم، لا يلزم ما بينهما أحد يسأل اللَّه عزّ وجلّ شيئاً إلّاأعطاه إيّاه) «۴».

وأخرج البيهقى فى سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه: (رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يُلزق وجهه وصدره بالملتزم) «۵».

وكذا أخرج الطبرانى عن ابن عباس عن النبىّ صلى الله عليه و آله قال: «ما بين الركن والمقام

ملتزم ما يدعو به صاحب عاهة إلّابرأ» «۱».

فالمستجار والملتزم معلم من معالم الطواف والكعبة، وهو الموضع الذى انشقّ الجدار منه لفاطمة بنت أسد رضوان اللَّه عليها، عندما أخذها الطلق بسيّد الأوصياء عليه السلام، حيث استجارت بالكعبة الشريفة من ذلك الموضع، فانشقّ لها الجدار ودخلت الكعبة وولدت أمير المؤمنين عليه السلام فيها، كما نصّت على هذه الملحمة التأريخية كتب الحديث والسير والتواريخ من الفريقين:

أخرج الصدوق فى علل الشرائع بسنده عن سعيد بن جبير قال: (قال يزيد بن قعنب كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزّى بإزاء البيت الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملة به تسعة أشهر، وقد أخذها الطّلق، فقالت: ربّ إنى مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنى مصدّقة بكلام جدّى إبراهيم الخليل عليه السلام وإنه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذى بنى هذا البيت وبحقّ المولود الذى فى بطنى لما يسّرت علىّ ولادتى، قال يزيد بن قعنب فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من اللَّه تعالى، ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام إلى آخر القصة-) «۲».

وقال الحاكم النيسابورى فى مستدركه: (تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد

ولدت أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم اللَّه وجهه فى جوف الكعبة) «۱».

وقال ابن الصباغ المالكى: (ولد علىّ عليه السلام بمكة المشرّفة بداخل البيت الحرام إلى أن قال: ولم يولد فى البيت الحرام قبله أحد سواه، وهى فضيلة خصّه اللَّه تعالى بها إجلالًا له وإعلاءً لمرتبته وإظهاراً لتكرمته) «۲».

وهذه آية أخرى وشعيرة أخرى من شعائر البيت الحرام، حيث يتأسّى الطائف ويتوسل ويتبرّك بموضع له صلة بأمير المؤمنين وأمه فاطمة بنت أسد، من أجل قبول الدعاء وغفران الذنوب.

السعى بين الصفا والمروة ...: ص: ۸۹

قال اللَّه عزّ وجلّ: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» «۳»

، والصفا والمروة محلّ هبوط آدم وحوّاء ولبركة هبوطهما جُعلا من شعائر اللَّه وآياته، وسمّيا بهذين الاسمين، لهبوط آدم وحوّاء عليهما، حيث ورد فى الروايات أن آدم لما نزل على الصفا وهو صفىّ اللَّه تعالى سُمّى الصفا، ولما نزلت حوّاء على المروة سُمّيت مروة؛ لأنها مرأة فاشتقّ منها مروة.

وأما فى تشريع السعى بين الصفا والمروة فورد أن هاجر سعت بين الصفا والمروة لاستطلاع وجود الماء سبع مرات فشرّع كذلك.

وإليك بعض تلك الروايات:

عن أبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام قال: «إن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض أُهبط على

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۹۰

الصفا ولذلك سُمّى الصفا؛ لأن المصطفى هبط عليه، فقطع للجبل اسم من اسم آدم، يقول اللَّه عزّ وجلّ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» «۱»

، وأُهبطت حوّاء على المروة، وإنما سُمّيت المروة لأن المرأة هبطت عليها، فقطع للجبل اسم من اسم المرأة، وهما جبلان عن يمين الكعبة وشمالها» «۲».

كذلك عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «إن إبراهيم عليه السلام لما خلّف إسماعيل بمكّة عطش الصبى، وكان فيما بين الصفا والمروة شجر، فخرجت امه حتى قامت على الصفا، فقالت: هل بالوادى من أنيس؟ فلم يجبها أحد، فمضت حتى انتهت إلى المروة، فقالت: هل بالوادى من أنيس؟ فلم يجبها أحد، ثم رجعت إلى الصفا، فقالت كذلك حتى صنعت ذلك سبعاً فأجرى اللَّه ذلك سنّة» «۳».

وعن ابن عباس فى حديثه عن هاجر أم اسماعيل قال: (ثم جاء بها إبراهيم عليه السلام وبابنها إسماعيل وهى ترضعه، حتى وضعهما عند البيت وليس بمكّة يومئذٍ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً إلى أن قال:

فجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجاع، وجعلت تنظر إليه يتلوّى أو قال: يتلبّط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۹۱

بلغت الوادى رفعت طرف درعها، ثم سعت سعى الانسان المجهود، حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم ترَ أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، قال النبىّ صلى الله عليه و آله: فلذلك سعى الناس بينهما) «۱».

إذاً بسبب الأنبياء والأصفياء والأولياء، كآدم وإسماعيل وحوّاء وهاجر جعل منسك السعى بين الصفا والمروة من مناسك الحجّ والتوحيد.

والبارى تعالى عبّر عن هذه الآية بأنها من شعائر اللَّه، وهو ذات التعبير بكونها آيات بيّنات، أى محلّ هداية للعالمين وآية وعلامة وشعيرة بيّنة من معالم التوحيد.

فالمسجد الحرام والبيت الشريف بورك به وكانت له تلك المنزلة الرفيعة؛ لما حلّ فيه من الوسائل والوسائط والآيات والشعائر الهادية إلى التوحيد، وهم الأنبياء والأصفياء ومقاماتهم، التى أصبحت أقرب الوسائل إلى اللَّه عزّ وجلّ ببركتهم؛ لكونهم كلمات اللَّه وأسمائه التى يتوجّه بها إليه عزّ وجلّ.

بئر زمزم ...: ص: ۹۱

من الأمور التى سنّها اللَّه عزّ وجلّ بعد طواف الحجّ الشرب من ماء زمزم، الذى نبع ببركة هاجر وإسماعيل عليه السلام، فأصبح من أعمال الحجّ الندبية.

فهو من توابع البيت الحرام وآية من آياته؛ لما له من الصلة بهاجر وإسماعيل.

أخرج البخارى عن ابن عباس فى معرض حديثه عن هاجر أمّ إسماعيل:

(فإذا هى بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو قال بجناحه- حتى ظهر

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۹۲

الماء فجعلت تحوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها عيناً معنياً، قال: فشربت وأرضعت ولدها) «۱».

وأما من طرقنا فقد أخرج القمى فى تفسيره، أن هاجر لما سعت سبعة أشواط: (فلمّا كان فى الشوط السابع وهى على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجله، فعادت حتى جمعت حوله رملًا، فإنه كان سائلًا فزمّته بما جعلته حوله؛ فلذلك سُمّيت «زمزم») «۲».

أعمال الحجّ ومناسكه ...: ص: ۹۲

لا ريب أن من لاحظ روايات الفريقين يجدها متّفقة على أن أعمال الحجّ كلّها لها صلة وثيقة فى تشريعها بأنبياء اللَّه ورسله، فسُمّيت عرفة بهذا الإسم لاعتراف النبىّ آدم وإبراهيم عليه السلام بذنوبهما «۳»، وما يأتى به الحجّاج فى يوم عرفة تأسّياً بما جاء به الأنبياء، كآدم وإبراهيم عليه السلام، وكذا سمّيت المزدلفة بذلك؛ لأن آدم وإبراهيم ازدلفا من عرفات ليقتربا إلى البيت الحرام ويكون ذلك قُرباً حسّياً كناية عن القرب المعنوى، ومنى أيضاً سُمّيت بهذا الاسم، إما لدعاء آدم وإبراهيم عليهما السلام وطلبهما لما يأملان، أو لأجل طلبهما التطهّر من الأمانى الباطلة،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۹۳

كذلك الجمرات جعلت منسكاً لرمى آدم وإبراهيم عليهما السلام الشيطان فى تلك المواضع.

إذن الحجّ بكلّ أجزائه ومناسكه ومواطنه متعلّق ومتلوّن بأفعال الأنبياء والأولياء وأسمائهم، فهم أبواب بيت اللَّه وآياته البيّنات وشعائره الباسقات، فإذا أراد الحاج والموحّد أن يسلك السبيل إلى اللَّه عزّوجلّ لابدّ أن يسلك ما سلكه أنبياء اللَّه ورسله ويحاذى فى فعله سيرهم وسلوكهم، ويتوسل إلى اللَّه عزّ وجلّ فى تلك المواضع التى سُمّيت بأسماءالأنبياء وأفعالهم، تذكيراًبهم وإحياءاً لأمرهم وتأكيداً على أن القصد والتوجّه إلى اللَّه عزّ وجلّ لا يُسلك إلّا بحجج اللَّه ورسله.

والحاصل: أن الحجّ بمجموعه آية بيّنة على أن العبد لا يمكنه أن يفد على اللَّه تعالى إلّابالتوسل بذوات الأنبياء وأفعالهم وما يتصل بهم؛ لكونهم شعائر اللَّه وأبوابه، التى لا سبيل للقصد إلى اللَّه عزّ وجلّ إلّابها.

فائدة ...: ص: ۹۳

مما ذكرنا سابقاً من ضرورة التمسّك بالآيات والحجج، لحصول البركة والطهارة والهداية والوفود على اللَّه تعالى، يظهر المعنى المراد من الروايات، التى نصّت على أن زيارة النبىّ صلى الله عليه و آله وزيارة المعصوم والإقرار بالولاية له بعد إتمام مناسك الحجّ هى الطهارة العظمى، وأن قضاء التفث له معنى تأويلى غير المعنى التنزيلى هو لقاء الإمام المفروض الطاعة والإقرار له بالولاية، وذلك لأنه باب اللَّه الذى منه يؤتى والآية البيّنة التى لا يقبل عمل إلّابالتوسل بها.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۹۴

أخرج الصدوق بسنده عن عبد اللَّه بن سنان عن ذريح المحاربى، قال: «قلت لأبى عبد اللَّه عليه السلام: إن اللَّه أمرنى فى كتابه بأمر فأحبّ أن أعلمه، قال عليه السلام: وما ذاك؟ قلت: قول اللَّه عزّ وجلّ: «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ» «۱»

قال: «لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» لقاء الإمام «وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ» تلك المناسك» «۲».

قال عبد اللَّه بن سنان: «فأتيت أبا عبد اللَّه عليه السلام فقلت: جعلت فداك قول اللَّه عزّ وجلّ: «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ»؟ قال عليه السلام: أخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك، قال: قلت: جعلت فداك فإن ذريحاً المحاربى حدّثنى عنك أنك قلت له: «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» لقاء الإمام «وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ» تلك المناسك؟ فقال: صدق ذريح، وصدقت، إن للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح؟» «۳».

فلابدّ من الورود على الإمام المعصوم المفروض الطاعة، للطهارة من الشرك والهداية إلى التوحيد.

۴- التوجّه إلى القبلة طاعة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله ...: ص: ۹۴

قال تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» «۴».

فإن هذه الآية المباركة صريحة فى أن استقبال الكعبة المكرمة أو بيت

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۹۵

المقدس، لم يكن الغرض منه نفس بيت المقدس أو الكعبة بما هى، بل من أجل استعلام الطوعانية والانصياع إلى سيّد الرسل صلى الله عليه و آله، وهى بدورها تؤدّى إلى طاعة اللَّه تعالى.

إذن لابدّ من توسيط ولاية النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وطاعته فى قبول العبادة، والاستكبار عليه وعدم الانصياع إلى أوامره بالاعتراض على القبلة التى يأمر بالتوجّه إليها فى العبادة اعتبرته الآية المباركة كفراً وارتداداً وانقلاباً على الأعقاب، كما فعلت ذلك قريش عندما اعترضت على النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله بجعله بيت المقدس قبلة يتوجّه إليها فى العبادة، واتهمته بأنه هوّد فتيان قريش.

۵- المودّة لذريّة إبراهيم ۷ من شرائط الحجّ وغاياته ...: ص: ۹۵

اشارة

قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ* رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» «۱».

هذه الآية المباركة من آيات الحجّ، التى تتعرّض لبيان ركن هامّ من أركان مناسك الحجّ أو العمرة.

بيان ذلك:

إن هذه الآيات القرآنية المباركة نصّت على أن إبراهيم عليه السلام جاء بذريّته

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۹۶

وأسكنها البيت الحرام بكلّ ما أحاط بذلك الإسكان من ملابسات وعناء ومشقّة ووحشة وغربة وجوع وعطش بلا أنيس أو كفيل لتلك الذريّة الطاهرة سوى اللَّه تعالى امتثالًا لأمر اللَّه عزّ وجلّ؛ لغايتين إلهيتين شريفتين، اقتضتهما الحكمة الإلهية من ذلك الإسكان، إحداهما غاية متوسّطة والأخرى غاية قصوى ونهائية تترتب على إسكان الذريّة إلى جنب المسجد الحرام:

الغايـة الأولى: قول إبراهيم عليه السـلام: «رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ»، والمراد من ذلك عمارة المسـجد الحرام وتشـييد معالم الـدين وأركان التوحيد، وذلك بإقامة الصـلاة والطواف والسـعى وبقيّة مناسك الحجّ وكافّة العبادات وجميع الشـعائر الإلهية، والصلاة إنما ذكرت فى الآية المباركة مثالًا لهذه الغاية.

وحاصل هذه الغاية هو جعل المركزية للكعبة المشرّفة فى التوجّه إلى اللّه تعالى لإقامة الدين ومناسك العبادة.

ولكن هذه الغاية غير كافية ولا مقبولة عند اللّه عزّ وجلّ ما لم تتحقّق الغاية النهائية، التى أراد اللّه تعالى تحقّقها من ذلك الإسكان.

الغاية الثانية: قول إبراهيم عليه السلام: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ» «۱»

فإن الفاء فى قوله عليه السـلام «فَاجْعَلْ» للتفريع، وذلك لبيان أن لعمارة المسجد الحرام وإقامة الصلاة والحجّ وشعائر الدين غاية أخرى لابدّ من تحقّقها، وهى أن تهوى القلوب تلك الذريّة الطاهرة، التى أسكنها عند المسجد الحرام.

إذن لابـدّ أن يكون التوجّه إلى اللّه تعالى فى العبادات والشـعائر الدينيـة بالكعبة المشـرّفة، التى جعل إبراهيم عليه السـلام لها المركزية والمحورية، بإسكان ذريّته فيها

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۹۷

لإقام الصلاة، وكذا بالذريّة الطاهرة عن طريق هوىّ القلب ومحبّتهم ومودّتهم والرجوع إليهم.

فالنـاس إذا توجّهـوا إلى بيـت اللّه الحرام وجعلـوه قبلـة ومركزاً ومحـوراً فى مناسـكهم العباديـة، لابـدّ أن يتوجّهـوا أيضـاً إلى الـذريّة ويستعرضوا لهم المودّة والنصرة والطاعة والموالاة.

ومن ذلك يتضـح أن هـذه الآية المباركة من آيات المودّة فى القربى، ولا يمكن فصل هذه الآية الكريمة عن الآيات التى ترسم ماهية الحجّ، فغاية الحجّ ومركزية مكّة لمعالم الدين محبّة تلك الذريّة وولايتهم، والمحبّة والولاية من شـرائط الحجّ الغائية وكذا من شـرائط استقبال الكعبة وقبول العبادات، فالولاية ركن من معالم الدين.

وإن عزل الحج عن مبدأ الولاية والمودّة فى القربى يكون وثناً من الأوثان وشركاً من فعال الجاهلية.

والحاصل: إن الغايـة من إسـكان الذريّـة المباركـة فى البيت المحرم جعل المحورية والمركزية إلى مكّة المكرمة والذريّة الطاهرة، فلا صلاة ولا حجّ من دون التوجّه إلى الكعبة، ولا قيمة للتوجّه إلى الكعبة ما لم يعقبة الإزدلاف إلى الذريّة والمودّة فى القربى.

من هم الذريّة الذين تهواهم أفئدة الحجاج والطائفين والركّع السجود ...؟ ص: ۹۷

بعـد أن تبين من الآيـة المـذكورة أن مودّة وولاية الذريّة التى أسـكنها إبراهيم عند المسـجد الحرام ركن من أركان الدين وشـرط فى قبول العبادات، لابدّ من

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۹۸

التعرّف على تلك الذريّة لكى يحرز الشخص دينه وعبادته بالتوجّه إليها ومودّتها.

وفى هذا المجال نقول:

إن هذه الذريّة من نسل إسـماعيل، وهى الأمة المسـلمة، التى جعلها اللّه عزّ وجلّ كلمة باقية فى عقب إبراهيم وإسماعيل عليه السلام لا تشرك باللّه عزّ وجلّ طرفة عين فى كلّ زمان.

قال تعالى: «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» «۱»

، ولا شك أن هذه دعوة مستجابة من إبراهيم وإسـماعيل عليه السلام تكشف عن وجود بعض من ذريتهما وهى الأمة المسلمة بدرجة

من الإسلام والتسليم التى نالها إبراهيم وإسماعيل، وهى ذرية باقية فى عقبهما لا تشرك باللّه تعالى أبداً، معصومة لها الولاية والإمامة على الناس؛ لأنها هى الذريّة الإبراهيمية التى طلب إبراهيم عليه السلام لها الإمامة، كما فى قوله تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى قَالَ لَايَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ» «۲».

وهذه الأمة المسلمة هى التى يُبعث فيها خاتم النبيين، الذى هو دعوة إبراهيم وإسماعيل، حيث قالا: «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۹۹

أخرج ابن المغازلى فى كتابه المناقب، بإسناده إلى عبد اللّه بن مسعود، قال:

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «أنا دعوة أبى إبراهيم»، قلت: يا رسول اللّه وكيف صرت دعوة إبراهيم أبيك؟ قال: أوحى اللّه عزّ وجلّ إلى إبراهيم «إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» فاستخفّ إبراهيم الفرح، فقال: يا ربّ ومن ذريتى أئمة مثلى؟ فأوحى اللّه عزّ وجلّ إليه: أن يا إبراهيم إنى لا أُعطيك عهداً لا أفى لك به، قال: يا ربّ ما العهد الذى لا تفى لى به؟ قال: لا أعطيك عهداً لظالم من ذريتك، قال: يا ربّ ومن الظالم من ولدى الذى لا ينال عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دونى لا أجعله إماماً أبداً ولا يصلح أن يكون إماماً، قال إبراهيم: «وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ» «۱»

قال النبىّ صلى الله عليه و آله: فانتهت الدعوة إلىّ وإلى أخى علىّ لم يسجد أحدنا لصنم قطّ، فاتخذنى اللّه نبيّاً واتخذ عليّاً وصيّاً» «۲».

وأخرج العياشى فى تفسيره عن أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السلام، قال: «قلت له: أخبرنى عن أمة محمّد عليه الصلاة والسلام مَن هم؟

قال: أمة محمّد بنو هاشم خاصّة، قلت: فما الحجّة فى أمّة محمّد أنهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم؟

قال: قول اللّه: «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» «۳»

، فلما أجاب اللّه إبراهيم

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۰۰

وإسماعيل وجعل من ذريّتهم أمة مسلمة وبعث فيها رسولًا منها، يعنى من تلك الأمة، يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة، ردف إبراهيم عليه السلام دعوته الأولى بدعوته الأخرى، فسأل لهم تطهيراً من الشرك ومن عبادة الأصنام ليصح أمره فيهم ولا يتبعوا غيرهم، فقال: «وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» «۱»

، ففى هذه دلالة على أنه لا تكون الأئمة والأمة المسلمة التى بعث فيها محمّداً صلى الله عليه و آله إلّامن ذرية إبراهيم لقوله: «اجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ»» «۲».

ولذا قال الإمام الباقر عليه السلام فى قوله تعالى: «إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ»: «نحن منهم، ونحن بقية تلك الذريّة» «۳».

ويشير إلى الذرية أيضاً قوله تعالى: «هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» «۴»

فهذه الأمة التى هى بعض من ذرية إبراهيم وإسماعيل التى بعث فيها خاتم النبيين وهم على صلة منه وقد سمّاهم النبى إبراهيم وإسماعيل قبل ولادتهم بالمسلمين.

والحاصل: إن الآيات والروايات تصرّح بأن ذريّة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام طائفة خاصّة طهّرها اللّه عزّ وجلّ وأذهب عنها

الرجس وجعل فيها الإمامة، وطلب إبراهيم عليه السلام لهذه الذريّة المودّة والمحبّة وهوىّ الإفئدة إليها، وهذه

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۰۱

الذريّة هم الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، فبهم يتقرّب ويتوسل إلى اللّه عزّ وجلّ، وبمودّتهم وولايتهم تقبل الطاعات، ومحبّتهم ركن ركين فى الدين، لا يعرض عنه إلّاكافر أو مشرك، ومن هنا جعل النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله عدل الرسالة وأجرها المودّة فى القربى كما فى قوله تعالى: «قُلْ لَاأَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى» «۱».

ومن ذلك كلّه يتضح أن من تمام الحجّ وسائر العبادات لقاء الإمام وإظهار المودّة والنصرة والتولّى له، وإلّا فلا حجّ ولا طواف ولا صلاة مقبولة عند اللّه تعالى، فالتوحيد فى العبادة هو الإقرار بولاية أهل البيت عليهم السلام.

ومن هنا أيضاً يتضح المراد من قول الإمام الباقر عليه السلام: «تمام الحجّ لقاء الإمام» «۲».

وكذا قول الإمام الصادق عليه السلام: «ابدؤوا بمكّة واختموا بنا» «۳».

وقول الإمام الباقر عليه السلام: «إنما أمروا أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم» «۴».

وكذا قال عندما رأى الناس يحجّون بمكّة: «فعال كفعال الجاهلية، أما واللّه ما أمروا بهذا، وما أمروا إلّاأن يقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم فيمرّوا بنا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم» «۵».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۰۲

۶- الولاية من شرائط المغفرة ...: ص: ۱۰۲

اشارة

قال تعالى: «وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» «۱»

، فلا تحصل المغفرة ولا التوبة ولا الإيمان ولا يقبل العمل الصالح إلّابشرط الهداية، والمراد من الهداية فى هذه الآية المباركة مقام الإمامة؛ لأنها تعنى الإيصال إلى المطلوب، وهى مرحلة بعد مقام النبوّة الذى هو إراءة الطريق فقط.

فإن مجرّد إراءة الطريق شأن النبىّ والرسول، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ» «۲».

وأما مقام الإمامة فنجد أن القرآن الكريم كلّما تعرّض إليه تعرض معه لذكر الهداية بياناً وتفسيراً، قال تعالى: «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ» «۳»

، وقال أيضاً عزّ وجلّ: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» «۴»

، فوصف اللّه عزّ وجلّ الإمامة بالهداية وصف بيان وتعريف وتفسير، هذا فى إمامة الحقّ.

كذلك فى إمامة الباطل والكفر، فإن فرعون الذى هو من أئمة الكفر، قال تعالى فى حقّه: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» «۵»

، فإمامة الكفر أيضاً فيها

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۰۳

هداية وإيصال، ولكن إلى الضلال وخلاف المقصود من الكمال الإنسانى؛ ولذا قال تعالى: «وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى» «۱».

فإمامة الحقّ هى الهداية والإيصال إلى المطلوب وولاية على الناس فى أعمالهم بأمر ملكوتى من اللّه عزّ وجلّ، كما يستفاد من قوله تعالى: «يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا».

وإمامة الباطل أيضاً هداية وإيصال، ولكن إلى الضلال وخلاف المقصود.

والحاصل: أن مقام الهداية الإلهية الحقّة بقول مطلق يساوق مقام الإمامة والخلافة الربّانية.

وهذا يعنى أن هناك مقاماً ثالثاً غير الشهادة الأولى والشهادة الثانية لابدّ أن يعتقد به المسلم، لكى يكون مهتدياً مؤمناً، فقوله تعالى: «آمَنَ» إشارة إلى الشهادة الأولى والثانية، وقوله «وَعَمِلَ صَالِحًا» إشارة إلى الإيمان والعمل بالشريعة الذى هو مقام النبوّة، وقوله: «ثُمَّ اهْتَدَى» إشارة إلى ذلك المقام الثالث والشهادة الثالثة، وهى الولاية والإمامة.

سورة الحمد وإمامة أهل البيت عليهم السلام ...: ص: ۱۰۳

وإذا لم يعتقد بها الشخص ولم يجعلها واسطة بينه وبين ربّه لا يتحقّق منه الإيمان ولا العمل الصالح، فولاية وإمامة أهل البيت عليهم السلام واسطة ووسيلة يتوسل بها العبد إلى اللَّه عزّ وجلّ لقبول عقيدته وعبادته، وهذا ما صرّحت به سورة الحمد، التى يقرؤها المسلم فى اليوم والليلة عشر مرّات على أقل تقدير.

فإن سورة الحمد تعرّضت للشهادة الأولى والشهادة الثانية والشهادة الثالثة،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۰۴

فقوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» «۱»

إشارة إلى الشهادة الأولى، وهى كلمة (لا إله إلّااللَّه)، وقوله تعالى: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» «۲»

إشارة إلى أصل المعاد، الذى هو من أصول الدين، وقوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» «۳»

إشارة إلى مقام التشريع والنبوّة؛ لأن العبادة لا تتحقّق إلّابالسير على خطى النبوّة والرسالة.

وقوله تعالى: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» «۴»

، إشارة إلى مقام الإمامة فى الأمة، فهناك مجموعة فى الأمة الاسلامية ندعو اللَّه عزّ وجلّ فى اليوم والليلة أن يهدينا صراطهم المستقيم، المنزّه عن الغضب فى العمل وعن الضلال فى العلم، أى صراط المعصومين علماً وعملًا، وهؤلاء الهداة الهادون إلى الصراط المستقيم وصفهم اللَّه تعالى بثلاثة نعوت:

الأول: أنهم منعم عليهم بنعمة خاصّة دون بقية الأمة وسائر البشر، نظير ما أنعم اللَّه على النبيين.

الثانى: أنهم لا يغضب اللَّه عليهم قطّ، وإلّا لما كانت لهم صلاحية الهداية لجميع الأمة.

الثالث: أنهم لا يضلّون قط، وإلّا لم يكونوا هداة هادين لكل الأمة.

ولم يحدّثنا القرآن عن ثلّة عن هذه الأمة قد خصصوا بنعمة وحظوة وحبوة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۰۵

إلهية خاصة دون بقية الأمة إلّاأهل البيت عليهم السلام كما فى ولاية الفىء فى قوله تعالى:

«مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى» «۱»

وكما فى ولاية الخمس فى قوله تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى» «۲»

، وكذا التطهير فى قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۳»

والمودّة والولاية فى قوله تعالى: «قُلْ لَاأَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى» «۴»

وقوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» «۵»

وعلم الكتاب فى قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» «۶»

وغيرها من الآيات المخصصة لهم عليهم السلام بمقامات دون سائر الأمة إلى يوم القيامة، فلا توجد مجموعة فى الأمة الإسلامية معصومة عن الغضب والضلال سوى أهل البيت عليه السلام، الذين أنعم اللَّه عزّ وجلّ عليهم بالطهارة من الرجس والغواية فى العلم والعمل، كما قال تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۷».

ويتحصّل من ذلك: أن سورة الحمد اشتملت على أصول الدين من التوحيد والمعاد والنبوّة والإمامة، وقارئ الحمد يطلب من اللَّه تعالى الهداية إلى الصراط

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۰۶

المستقيم وأن يجعل له هداة وأئمة يهتدى بهم، وهذا يعنى أن ضمّ الشهادة الثالثة بالإمامة إلى الشهادة الثانية بالرسالة والنبوّة للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله يوجب الخروج عن الشرك وقبول الإيمان والعبادة.

ومن ذلك كلّه يتضح المراد من قول الإمام الباقر عليه السلام لسدير وهو مستقبل البيت: «يا سدير إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا، وهو قول اللَّه: «وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» «۱»

ثم أومأ إلى صدره إلى ولايتنا» «۲».

إذن تمام الحجّ وسائر العبادات بالهداية إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام والتوسّل والتوجّه بهم إلى اللَّه عزّ وجلّ.

۷- الوفود على ولى اللَّه من شرائط الحجّ ...: ص: ۱۰۶

قال تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَاتُشْرِكْ بِى شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ* وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» «۳».

فهذه الآية المباركة تنصّ على أن اللَّه عزّ وجلّ جعل مكان البيت مبوّءاً وسكناً لإبراهيم عليه السلام، وأن إبراهيم عليه السلام هو المتكلّم الأوّل والناطق الرسمى عن اللَّه تعالى فى الندبة إلى الحجّ، فهو يأمر الناس بحجّ بيت اللَّه الحرام كما نصّت على ذلك روايات الفريقين.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۰۷

ثم إن التعبير الآخر فى الآية المباركة بعد الأذان فى الناس بالحجّ «يَأْتُوكَ رِجَالًا» فالمجىء ليس إلى البيت ولا إلى اللَّه عزّ وجلّ مباشرة، بل المجىء أوّلًا إلى إبراهيم عليه السلام.

فالإتيان إلى الحجّ تلبية وإجابة للنداء الإلهى إنما يتمّ بالوفادة على وليّ اللَّه، ويكون الحجّ الذى هو القصد إلى اللَّه عزّ وجلّ بواسطة الإتيان إلى إبراهيم عليه السلام، الذى هو وجيه عند اللَّه تعالى، يتوجّه إليه ويقصد لإقامة الصلاة والطواف وسائر مناسك الحجّ العبادية، فلابدّ من الوفود على إبراهيم عليه السلام ومحبّته وهوىّ الأفئدة إليه.

وهذه الآية المباركة تتوافق فى المضمون مع ما تقدّم من قوله تعالى:

«رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ» «۱»

، فإبراهيم عليه السلام وذرّيته أسكنهم اللَّه عزّ وجلّ البيت الحرام وبوّأهم فيه لإقامة الصلاة وتشييد الدين وتطهير البيت للطائفين والقائمين والرّكع السجود، والإيذان فى الناس بالحجّ، ولكن لا قيمة للحجّ ولا مقبولية عند اللَّه عزّ وجلّ إلّابالمجىء إلى إبراهيم عليه السلام وذرّيته من ولد إسماعيل عليه السلام، وهوىّ القلوب والأفئدة إليهم ومحبّتهم ومودّتهم وتولّيهم وإبراز الطاعة لهم وجعلهم واسطة فى القصد إلى اللَّه تعالى.

فتبوى اللَّه عزّ وجلّ لإبراهيم البيت، وإسكان إبراهيم ذريته فيه من أجل الوفود عليهم ومودّتهم، هو الذى جعل من البيت الحرام مكاناً ومقصداً لإقامة العبادة فيه، والأحجار بما هى أحجار لولا ذلك تكون وثناً يعبد من دون اللَّه

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۰۸

عزّ وجلّ، كما كان الحجّ فى الجاهلية.

ولذا ورد أن من المستحبّات عند الدخول إلى البيت الحرام إلقاء التحيّة والسلام على سيّد الأنبياء محمّد صلى الله عليه و آله ثم السلام على النبيّ إبراهيم عليه السلام «۱».

فعن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «فإذا انتهيت إلى باب المسجد فقم وقل: السلام عليك أيها النبيّ ورحمة اللَّه وبركاته، بسم اللَّه وباللَّه ومن اللَّه وما شاء اللَّه، والسلام على أنبياء اللَّه ورسله والسلام على رسول اللَّه، والسلام على إبراهيم والحمد للَّه رب العالمين» «۲».

فالمجيء إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله ثم إلى إبراهيم عليه السلام مجيء وإتيان وقصد إلى اللَّه عزّ وجلّ، وكذا أهل البيت عليهم السلام؛ لأنهم الذريّة والأمة المسلمة الذين دعا إبراهيم والنبيّ الأكرم إلى مودّتهم ومحبّتهم.

إذن الأنبياء والأوصياء هم أبواب اللَّه التى يتّجه إلى اللَّه تعالى بها، ولولا ذلك لا يكون الحجّ حجّاً إبراهيمياً بل حجّ الجاهلية.

۸- الأنبياء مصدر البركة ...: ص: ۱۰۸

قال تعالى حكاية عن قول عيسى عليه السلام: «وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَوةِ مَا دُمْتُ حَيًّا» «۳».

وهذا يعنى أن عيسى عليه السلام جعله اللَّه عزّ وجلّ مصدر البركة والتبرّك أين ما حلّ؛ ولذا كان ببركته يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن اللَّه تعالى، فهو

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۰۹

وجيه وواسطة فى قضاء الحوائج فى كلّ مكان حلّ فيه، فما بالك بخاتم الأنبياء عليه السلام وأهل بيته الأطهار ومن يصلّى عيسى خلفه عند نزوله ويكون وزيراً له؟!

وكذا ورد فى الآيات المباركة أن الماء مصدر البركة والخيرات كما فى قوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ» «۱»

، فإذا كان اللَّه تعالى ببركة الماء المنزل من السماء ينبت الجنان ويحيى الأرض بعد موتها، فكيف بك بأنبياء اللَّه ورسله وخلفائه الأوصياء؟!

۹- البقعة المباركة ...: ص: ۱۰۹

وهى الطائفة من الروايات التى تعرّضت لذكر البقعة المقدّسة والمباركة التى كلّم اللَّه عزّ وجلّ فيها موسى عليه السلام:

كقوله تعالى: «وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى* إِذْ رَأَ نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ يَا مُوسَى* إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى» «۲».

وقوله تعالى: «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى* إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى» «۳»

. وكذا قوله تعالى: «وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا* وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا» «۴».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۱۰

وقوله عزّ وجلّ: «فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ مِنْ شَاطِىءِ الْوَادِى الْأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» «۱».

وقد أقسم اللَّه عزّ وجلّ بهذه البقعة المباركة، لعظمتها بالإضافة إلى بقع ثلاث أخرى، وذلك فى قوله تعالى، «وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ* وَطُورِ سِينِينَ* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ» «۲»

، وهذا قسم من اللَّه عزّ وجلّ ببلد التين وهو المدينة، وبلد الزيتون وهو بيت المقدس، وطور سينين الكوفة، والبلد الأمين وهو مكّة، كما ورد ذلك عن الإمام الكاظم عليه السلام، حيث قال: «واختار من البلدان أربعة فقال عزّ وجلّ: «وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ* وَطُورِ سِينِينَ* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ» «۳»

فالتين المدينة والزيتون بيت المقدس وطور سنين الكوفة وهذا البلد الأمين مكّة» «۴».

هذا من طرقنا.

وكذلك من طرق السنّة، ولكن بتفسير التين بالبيت الحرام، وتفسير الطور بأنه الجبل الذى كلّم اللَّه عزّ وجلّ فيه موسى عليه السلام «۵»، ولا تنافى فى ذلك إذ لعلّ ذلك هو الوادى المقدّس بين جبل طور والكوفة، كما ذكر ذلك بعض

المفسّرين.

وقد ورد فى الحديث أن محلّ قبر أمير المؤمنين عليه السلام أوّل طور سيناء، عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: «كان فى وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام: أن أخرجونى إلى الظهر [أى ظهر الكوفة] فإذا تصوّبتْ أقدامكم واستقبلتكم ريح فادفنونى، وهو أوّل طور سيناء، ففعلوا ذلك» «۱».

والحاصل: إن القرآن يؤكّد أن هناك بقعة مقدّسة مباركة، فيها هبطت الملائكة بالوحى على موسى عليه السلام، ولابدّ أن تقدّس وتُعظّم ويُتقرّب فيها إلى اللَّه عزّ وجلّ ويكلّم اللَّه تعالى فيها الأنبياء.

قال القرطبى فى تفسيره: (قوله تعالى: «إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى» «۲».

المقدّس: المطهّر، والقدس: الطهارة، والأرض المقدّسة أى المطهّرة إلى أن قال: وقد جعل اللَّه تعالى لبعض الأماكن زيادة فضل على بعض، كما قد جعل لبعض الأزمان زيادة فضل على بعض) «۳».

وهذا يعنى أن هناك أماكن مقدّسة فيها ينزل الوحى وتفتح أبواب السماء، وفيها يزداد الأجر ويقبل الدعاء ويتوجّه إلى اللَّه عزّ وجلّ.

۱۰- وجوب تعظيم الأنوار الإلهيّة: خلقة الأنوار الخمسة لأصحاب الكساء فى سورة النور ... ص: ۱۱۱

اشارة

قال تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا

شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ* فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» «۱».

إن هذه الآية المباركة تنصّ على وجود بيوت خاصّة أذن اللَّه أن ترفع وتعظّم ويذكر فيها اسمه، وفى تلك البيوت يسبّح للَّهعزّ وجلّ وتقبل العبادة ويسمع الذكر، وتحت قبّتها يرفع الدعاء وتفتّح أبواب السماء وتحصل القربة إلى اللَّه تعالى، فهى بيوت مباركة ومقدّسة

جعلها اللَّه تبارك وتعالى وسيلة وواسطة ومحلّاً لقبول العبادة والذكر والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار.

ومن الجدير بالذكر أن تلك البيوت بيوتاً خاصّة وهى مهبط الوحى والقداسة والطهارة.

والشاهد على ذلك أن الجار والمجرور فى قوله تعالى: «فِي بُيُوتٍ» متعلّق بذلك النور الذى ضربه اللَّه عزّ وجلّ مثلًا للناس، فالنور فى بيوت أذن اللَّه أن ترفع، وقد ذكرت الآية المباركة أن هذا النور نور السماوات والأرض، أى محيط بهما ومهيمن عليهما وأشرف منهما فى الخلقة والرتبة الوجودية.

ثمّ إن ذلك النور مخلوق من مخلوقات اللَّه تعالى، أُضيف إليه عزّ وجلّ فى الآية إضافة الفعل إلى فاعله، وهو عبارة عن أنوار خمسة شامخة، ضرب اللَّه تعالى لكلّ واحد منها مثلًا حسّياً لتقريب الفكرة وتنزيل الحقيقة إلى رقيقة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۱۳

يفهمها البشر، وليس هذا النور عين الذات الإلهية، لأنها أحدية المعنى لا تعدّد ولا تكثّر فيها، والنور المذكور فى الآية المباركة متعدّد منشعب إلى خمسة أنوار، مستقل بعضها عن البعض الآخر.

والأنوار الخمسة التى ضُربت مثلًا هى:

أولًا: المشكاة.

ثانياً: المصباح.

ثالثاً: الزجاجة.

رابعاً: الكوكب الدرىّ.

خامساً: الشجرة المباركة.

ثم تقول الآية الكريمة بعد ذلك: «نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ».

وفى اللغة العربية يقول علماء البلاغة كل تشبيه جملة مستقلة برأسها، وتفيد معنىً ومغزىً مستقلًا، فالآية بصدد التعرض إلى خلقة النور، وأن أحد مراحل الخلقة الإلهية هى المخلوقات النورية، وهى أنوار خمسة، تعظم فى الخلقة الملائكة والروح والجنّ والإنس ومطلق الموجودات الأخرى، وهى أنوار مشتقّ بعضها من بعض، ومرتبط بعضها بالبعض الآخر كما هو ظاهر الآية المباركة.

وهذه الأنوار المباركة المحيطة بالسماوات والأرض، هى الأسماء والكلمات التى لم تعلم بها الملائكة، مع أن الملائكة ملأت أركان السماوات والأرض؛ لأنها هى التى تدبّرها وتدير شؤونها، وهو المشار إليه فى تعليم آدم الأسماء وعرض اللَّه تعالى لها على الملائكة، فلم يعلموا بها، فأنبأهم آدم بها،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۱۴

ووصفها اللَّه بأنها غيب السماوات والأرض «۱»، وكما ورد هذا المعنى فى روايات الفريقين «۲».

ولو كانت تلك الأسماء من عالم السماء والأرض لعلمت بها الملائكة، ومن ذلك يعلم أن الأسماء التى علّمها اللَّه عزّ وجلّ آدم وجهلتها الملائكة، كانت مخلوقات محيطة بعالم السماوات والأرض.

وهذا نوع من أنواع التشاهد بين الآيات القرآنية، فالأنوار الخمسة المذكورة فى سورة النور هى الأسماء التى خفيت عن الملائكة وعلّمها اللَّه تعالى آدم، وهى كما سيأتى موجودات حيّة عاقلة شاعرة من عالم النور، كما عبّر عنها فى سورة البقرة بضمير (هم) واسم الاشارة (هؤلاء) وهما لفظتان لا تستعملان فى الذوات الجامدة، بل فى الذوات الحيّة الشاعرة العاقلة.

ويتحصّل من ذلك وجود مخلوقات خمسة نورية محيطة بالسماوات والأرض، أفضل من الملائكة ولا تحيط الملائكة بها علماً، بل إن اللَّه تعالى شرّف آدم على جميع مخلوقاته، بما فيهم المقرّبين من كبار الملائكة، كجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل بفضل تلك الأنوار، وبفضلها أيضاً استحقّ مقام الخلافة الإلهية، وسجد له الملائكة كلّهم أجمعون.

ومن ذلك يتضح أن هذه الأنوار الخمسة هى باطن (غيب) وملكوت السماوات والأرض؛ لأن نور كلّ شىء بمنزلة الروح له، ومن دونه يكون ظلمانياً، والنور فى المقام ليس هو النور الحسّى الذى يظهر الصفات العارضة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۱۵

على الشىء، بل هو نور الخلقة الذى يوجد الشىء ويكوّنه ويظهره من كتم العدم إلى الوجود، فنور السماوات والأرض أى ملكوتهما وباطنهما ومظهرهما من ظلمة العدم إلى نور الوجود، وهو اسم اللَّه الأعظم الذى هو غير المسمّى، يفوق فى القدرة والعظمة كافّة المخلوقات فى السماوات والأرض.

وسيأتى أن تلك الأنوار الخمسة المباركة- وهى الأسماء التى علّمها اللَّه تعالى آدم وتاب بفضلها عليه من خطيئته، وابتلى بها إبراهيم لنيل مقام الإمامة- هم خمسة أصحاب الكساء وأهل آية المباهلة، محمّد صلى الله عليه و آله وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فهم أهل البيت، وهم النور الإلهى الذى حلّ فى بيوت أذن اللَّه أن ترفع، لتكون محلّاً للذكر والتسبيح والعبادة والتوجّه إلى اللَّه عزّ وجلّ وتشييد معالم الدين.

ولذا أخرج السيوطى فى الدرّ المنثور عن ابن مردويه عن أنس ابن مالك وبريدة، قال: «قرأ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هذه الآية «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ» فقام إليه رجل فقال: أى بيوت هذه يا رسول اللَّه؟ قال: بيوت الأنبياء، فقام إليه أبو بكر، فقال: يا رسول اللَّه هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت علىّ وفاطمة عليهم السلام، قال:

نعم من أفاضلها» «۱».

وعن أبى بصير قال: سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن قول اللَّه عزّ وجلّ: «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ» قال: «هى بيوت النبىّ صلى الله عليه و آله» «۲».

كذلك عن جابر عن أبى جعفر الباقر عليه السلام، فى قوله: «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۱۶

تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» قال: «هى بيوت الأنبياء، وبيت على منها» «۱».

وقد تقدّم رواية الحاكم فى المستدرك أن من الكلمات التى تاب اللَّه بها على آدم، وهى الأسماء التى شُرّف آدم بها على الملائكة كخليفة، لأن الكلمات أعظم مقاماً من آدم؛ إذ بها تاب اللَّه عليه، أن من أعظم تلك الكلمات والأسماء هو خاتم النبيين صلى الله عليه و آله، وقد ورد فى المستدرك أنه لولاه لما خلق آدم ولا الجنة ولا النار «۲» ويتشاهد هذان الحديثان النبويان على أن أوّل الأنوار الخمسة والأسماء التى تعلّمها آدم وتوسّل بها هو خاتم النبيين صلى الله عليه و آله.

هذا بالنسبة إلى الأنوار الخمسة المباركة.

الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام فى آية النور ...: ص: ۱۱۶

وأما قوله تعالى: «نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» فهو إشارة إلى استمرار وديمومة قانون الإمامة والخلافة الإلهية بعد تلك الأنوار الخمسة إلى يوم القيامة، نور على نور يهدى اللَّه لنوره من يشاء و (على) أى على إثر وعقب لغة فى أحد المعانى المستعملة فى لفظ (على) بالتضمين لمعنى الإثر.

والشاهد على ذلك ما تقدّم من أن الهداية هى الإيصال إلى المطلوب، وقد جاء ذكر الهداية تفسيراً وبياناً لمقام الإمامة والولاية، كما فى قوله تعالى:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا»، فالتعبير بالهداية فى الآية المباركة يراد منه الإمامة وهو مقتضى معنى النور أيضاً؛ إذ هو الهادى إلى

صراط اللّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۱۷

ولـذا ورد عن الإمام محمّد بن على بن الحسين عليه السـلام فى قوله تعالى: «نُورٌ عَلَى نُورٍ» قال: «يعنى إماماً مؤيّداً بنور العلم والحكمة فى إثر إمام من آل محمّد صلى الله عليه و آله، وذلك من لدن آدم إلى يوم القيامة» «۱».

وعن الفضيل بن يسار عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السلام، قال: (قلت: «نُورٌ عَلَى نُورٍ»؟ قال: «الإمام فى أثر الإمام» «۲».

وورد أيضاً عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام فى قوله تعالى: «يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» قال: «يهدى لولايتنا من أحبّ» «۳».

بيان آخر للآية المباركة ... ص: ۱۱۷

هناك بيان آخر للآية الكريمة التى نحن بصدد الاستدلال بها، أدقّ وأعمق وأدلّ على المطلوب من البيان الأول، وهو:

بعد أن تبيّن أن قوله تعالى: «فِى بُيُوتٍ» متعلّق بالنور، وأن النور فى بيوت أذن اللّه أن ترفع، نقول:

إن الآيـة الثالثة التى ذكرناها فى المقام، وهو قوله تعالى: «رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» هـذه الجملـة من المبتدأ والخبر كلّها بدل من قوله تعالى ذكره «فِى بُيُوتٍ»، أى أنها فى محلّ جرّ بدل من البيوت.

ويكون المعنى على ذلك! أن البيوت رجال لا تلهيهم تجارة، وليست هى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۱۸

بيوت حجارة ولا طين.

والشواهد على ذلك من نفس الآيات المباركة كثيرة نشير إلى‌بعضها:

أ- قوله تعالى: «رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ» ليس فاعلًا لقوله عزّ وجلّ «يُسَبِّحُ» وذلك طبقاً لقراءة أهل البيت عليه السـلام، حيث أن قراءتهم لكلمة (يسبَّح) بفتح الباء مبنى للمجهول، وبناءً على هذا لا تكون كلمة «رِجَالٌ» فاعلًا ل (يسبَّح) وإنما تكون مبتدءاً والجملة التى بعدها خبر، والجملة بتمامها عطف بدل على بيوت، فالبيوت هى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع، وإلى ذلك يشير قول الإمام محمّد بن علىّ الباقر عليه السلام إلى قتادة البصرى فقيه أهل البصرة عندما سأله قائلًا:

(أصلحك اللّه، واللّه لقد جلست بين يدى الفقهاء، وقدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبى قدّام واحدٍ منهم ما اضطرب قدّامك؟

فقال أبو جعفر عليه السـلام: «ويحك أتـدرى أين أنت؟ أنت بين يدى «بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْـمُهُ يُسَـبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوةِ» فانت ثَمَّ، ونحن أولئك»، فقال له قتادة: صـدقت واللّه جعلنى اللّه فداك، واللّه ما هى بيوت حجارة ولا طين» «۱».

وكـذلك ما ورد عن أبى عبـد اللّه الصادق عليه السـلام، حيث قال: «إنّه من أتى البيوت من أبوابها اهتـدى ومن أخذ فى غيرها سـلك طريق الردى، وصل اللّه طاعة ولىّ أمره بطاعة رسوله صـلى الله عليه و آله وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع اللّه ولا رسوله، وهو الإقرار بما نزل من عنـد اللّه «خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْـجِدٍ» والتمسوا البيوت التى أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسـمه، فإنه

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۱۹

أخبركم أنهم «رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ»» «۱».

ثم إن تلك القراءة بفتح الباء فى (يسبَّح) قرأ بها أيضاً ابن عامر وأبو بكر وابن شاهى عن حفص «۲».

إذن يتحصّل أن النور فى بيوت هى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع.

أهل البيت عليهم السلام معصومون بأعالى درجات العصمة ...: ص: ۱۱۹

ب- قوله عزّ وجلّ: «لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوةِ» فإن هذا المقطع من الآية المباركة يشير إلى أن هؤلاء الرجال معصومون بأعلى درجات العصمة، وهى عصمة السرّ التى هى فوق عصمة الجوارح، إذ لا يلهون برهة من حياتهم عن ذكر اللَّه، فهم فى ذكر دائم، وهذا يعنى أن أولئك الرجال ثلّة خاصة فى الأمة الإسلامية يتميّزون عن بقيّة المسلمين وأصحاب النبىّ صلى الله عليه و آله، الذين انفضّ أكثرهم من حوله وتركوه قائماً عندما سمعوا بالتجارة، كما نصّت على هذه الحادثة سورة الجمعة، وذلك فى قوله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» «۳».

ففى الروايات لم يبقَ مع النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلّاإثنى عشر أو ثمانية رجال،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۲۰

وانفضّ الباقون إلى اللّهو والتجارة «۱».

وفى بعض الروايات لم يبقَ إلّاعلى عليه السلام «۲».

ولا شك أنه لا يوجد ثلّة معصومة فى هذه الأمة غير أهل آية التطهير، الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فنالوا بذلك أعلى درجات العصمة والطهارة.

وهذا يعنى أن تلك الأنوار الخمسة المباركة فى بيوت وأبدان طاهرة، وهم رجال معصومون من الغفلة عن ذكر اللَّه عزّ وجلّ، يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.

وتلك البيوت والرجال أذن اللَّه أن يرفع ذكرهم، كما قال اللَّه تعالى لنبيّه:

«وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ»، ولا شك أن معنى ذلك هو وجوب التعظيم والطاعة لهم والإنقياد لولايتهم والتوجّه بهم إلى اللَّه تعالى فى العبادة، كما أمر اللَّه عزّ وجلّ الملائكة بالخضوع والسجود لآدم، وجعل الخضوع واسطة للإنقياد إلى الأوامر الإلهية.

إذن لا يقبل اللَّه عزّ وجلّ من العباد الطاعة، إلّابرفع تلك البيوت وتعظيم أولئك الرجال، والإتيان بالطاعات امتثالًا لأمر اللَّه وأمر رسوله وأمر اولى الأمر من هذه الأمة.

قال تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۲۱

التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۱».

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاء ابن الكوّا، فقال: ياأمير المؤمنين مَنْ البيوت فى قول اللَّه عزّ وجلّ: «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» «۲»

؟

قال علىّ عليه السلام: «نحن البيوت التى أمر اللَّه بها أن تؤتى من أبوابها، نحن باب اللَّه وبيوته التى يؤتى منه، فمن تابعنا وأقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا وفضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها» «۳».

ج- قوله تعالى: «يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ».

وقد بيّن القرآن الكريم فى آيات أخرى الذين يخافون من ربّهم، كما فى سورة الدهر، قال تعالى: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا* وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا» «۴».

فقد روى الفريقان أن هذه الآيات نزلت فى أهل البيت عليهم السلام، وقصة هذه الآيات المباركة مفصّلة تعرّضت لها كتب التفاسير «۵».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۲۲

وهذا يكشف عن حقيقة أولئك الرجال الذين اختصّهم اللَّه عزّ وجلّ بنوره، وهم أهل بيت العصمة والطهارة، والبيوت التى أذن اللَّه أن ترفع وتعظّم ويتوسل بها إلى اللَّه عزّ وجلّ، ويذكر فى حضرتها اسمه، ويسبّح له بالغدو والآصال.

لا يتبادر إلى الذهن أن من أهل البيت فاطمة عليها السلام، فكيف تكون من الرجال المقصودين فى الآية المباركة؟

فإن الجواب عن ذلك واضح؛ لأن كلمة الرجل والرجال فى الآية المباركة بمعونة القرائن والشواهد التى احتفّت بها يراد منها الشخصية العظيمة، الثابتة الأقدام فى المقامات الشامخة، فيراد من الرجال فى الآية المباركة تلك الشخصيات التى تسنّمت بأرجل القدرة المقامات العالية والدرجات الرفيعة فى مجال العصمة والتقوى، وقد جاء التعبير القرآنى بالرجل عن الأعم من الذكر فى آيات عديدة، كقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: «وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» «۱»

، فالمراد فى هذه الآية الكريمة الإقدام بأرجل الإيمان إلى دعوة إبراهيم عليه السلام للحجّ أعم من كون القادم ذكراً أو أنثى، ونظير ذلك أيضاً قوله تعالى: «رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» «۲»

فوصفهم بالرجولية هنا للثبات والاستقامة والصدق.

ولا شك أن هذا كلّه مع القرينة لا مطلقاً، والقرائن الدالّة على إرادة الأعمّ من

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۲۳

الذكر والأنثى فى الآية التى هى محلّ بحثنا كثيرة جدّاً، منها ما ذكرناه سابقاً من القرائن الدالّة على أن المقصود بالرجال فى الآية هم أهل البيت عليهم السلام ومنهم فاطمة الزهراء عليها السلام.

خلقة أهل البيت عليهم السلام النورية ...: ص: ۱۲۳

ونختم الحديث فى هذه النقطة بذكر بعض الشواهد الدالّة على أن اللَّه تعالى خلق أهل البيت أنواراً مضافاً إلى ما تقدّم فى آية النور:

الأول: قوله تعالى لرسوله الأكرم صلى الله عليه و آله: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» «۱»

، فهذه الآية المباركة صريحة فى أن اللَّه عزّ وجلّ أوحى إلى نبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله نوراً وهو الروح من أمره، ولا شك أن الإيحاء الخفىّ إنما هو إلى ذات وحقيقة النبىّ الأكرم المباركة، فيتّحد ذلك النور بشخص النبىّ صلى الله عليه و آله؛ ولذا قالت الآية المباركة أن من آثار ذلك النور «نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» ثم جعلت ذلك الأثر بعينه لخاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله، حيث قالت:

«وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» وهذا صريح فى اتحاد الذات النبويّة الطاهرة مع ذلك النور فى الحقيقة والأثر.

وإذا كانت ذات النبىّ الأكرم نوراً يهدى إلى صراط مستقيم، فكذلك أهل بيته عليهم السلام الذين هم نفس النبىّ صلى الله عليه و آله بنصّ آية المباهلة وآية التطهير، بل وبنص نفس هذه الآية المباركة فى المقام، حيث ذكر فيها أن هذا الروح الأمرى الذى أوحى

إلى النبى صلى الله عليه و آله يهدى به اللَّه ويوحيه إلى من يشاء ويجتبيه من عباده، فلم

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۲۴

يخصص ذلك بالأنبياء أو بكونهم أنبياء أو رسل، ونظير ذلك قوله تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۱» فذكر لفظ العباد ولم يخصص بلفظ الأنبياء أو الرسل ويدلّ على أن الذين يشائُهم اللَّه وتتعلّق مشيئته بهم ويجتبيهم لذلك غير منحصر بالأنبياء والرسل، بل يعم من يصطفيهم للعصمة والطهارة والوصاية، وهكذا الأحاديث المتواترة فى كون فاطمة عليها السلام بضعة منه صلى الله عليه و آله «۲»، وكون الحسن والحسين عليهما السلام من النبىّ صلى الله عليه و آله وهو منهم «۳»، وكذا قوله صلى الله عليه و آله: «علىّ منى وأنا منه» «۴».

الثانى: قول النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله: «كنت أنا وعلى بن أبى طالب نوراً بين يدى اللَّه قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق اللَّه آدم قسم ذلك النور جزئين، فجزء أنا وجزء علىّ بن أبى طالب» «۵».

الثالث: الروايات المتضافرة التى دلّت على أن النبىّ صلى الله عليه و آله كان نوراً يتنقل من الأصلاب الشامخة إلى الأرحام المطهّرة، وقد أضاء منه صلى الله عليه و آله نوراً عند ولادته ملء الخافقين، كما نقلت ذلك آمنة بنت وهب (سلام اللَّه عليها) أم النبىّ صلى الله عليه و آله حين ولادته، قالت: (إنّى رأيت حين ولدته أنه خرج منى نور أضاءت منه قصور بصرى من أرض الشام) «۶».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۲۵

إلى غير ذلك من الشواهد الدالّة على الخلقة النورية للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام.

۱۱- بناء المساجد على قبور الأولياء معالم الدين ...: ص: ۱۲۵

كما فى قوله تعالى فى قصّة أصحاب الكهف: «وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَارَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا» «۱».

ذكر المفسرون: أن أصحاب الكهف لما بعثوا بأحدهم إلى المدينة بورقهم لجلب الطعام عثر عليهم أهل المدينة وعلموا بأمرهم جاءوا إلى الكهف، فلما دخل الذى هو من أصحاب الكهف دعا اللَّه تعالى مع أصحابه أن يميتهم لئلا يكونوا فتنة للناس، فأماتهم اللَّه تعالى، وخفى على أهل المدينة مدخل الكهف، فلم يهتدوا إليه، فقال المشركون: نبنى عليهم بنياناً ونحوطهم بجدار نجعلهم وراءه، وقال المسلمون: بل نحن أحقّ بهم، هم منّا، نبنى عليهم مسجداً نصلّى فيه ونعبد اللَّه فيه «۲».

وقال المفسّرون أيضاً: إن قوله تعالى: «قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا» دلّ على أن الغلبة كانت للمؤمنين بقرينة ذكر اتخاذ المسجد «۳».

ثم إن القرآن الكريم فى استعراضه لهذه الواقعة أقرّ المؤمنين على رأيهم، ولم يفنّد اتخاذهم المسجد على قبور أصحاب الكهف من أجل التبرّك والعبادة،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۲۶

خصوصاً وأن القرآن الكريم إنما عرض لنا قصّة أصحاب الكهف، لأجل تعميق مبدأ الإيمان والتوحيد، والقرآن يذكر القصّة فى ضمن بيان مآثر ومعالم أهل الكهف المشيدة والخالدة، وأنهم بُنى على قبورهم مسجداً لإظهار معجزتهم، وليبقى ذكرهم خالداً فى أذهان البشر ويكون ذلك موعظة للمؤمنين، فلو كان بناء المسجد على قبورهم والتبرّك بهم والتعبّد عندهم شركاً ووثناً من الأوثان، لكان ذلك على خلاف المطلوب، ومنافياً للحكمة التى أرادها اللَّه عزّ وجلّ من سرد القصّة.

إذن قبور الأولياء وبناء المساجد عليها والتبرّك بها وجعلها واسطة فى التوجّه إلى اللَّه عزّ وجلّ فى العبادة من المبادئ القرآنية الصريحة والشعائر الإلهية، التى يوجب تخليد ذكرها تخليد الدين ومعالم التوحيد، التى شيّدوها بسيرتهم المباركة ونهجهم التوحيدى،

وهـذا عين الأمر الإلهى باتخاذ مقام إبراهيم مصلّى، فإن تشعير مقام إبراهيم وتخليـد ذكره بـذلك، يكون سـبباً لخلود التوحيـد وباعثاً للناس على التمسّك بهديه.

ومن ذلك أيضاً قول النبىّ صلى الله عليه و آله: «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنّة» «۱»

فإن ذلك تشعيراً لقبره صلى الله عليه و آله وجعله محلّاً للعبادة ونيل القربان والمقامات عند اللَّه تعالى.

وذلك كلّه يعنى أن مقامات الأنبياء والأولياء والحجج من الحرىّ بها أن تعمّر وتشعّر محلّاً للعبادة والتقرّب إلى اللَّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۲۷

ولا شك أن الآيات والوسائط علامات على عظمة الصـفات الإلهية، ففعل الذات العظيمة عظيم أيضاً، فلابدّ أن يعظّم، وتعظيمه تعظيماً للَّهعزّ وجـلّ، والـذى يحقّر آيـات اللَّه ويهينهـا بكلّ نوع من أنواع الإهانات يكون قـد هتك الحرمـة والحريم الإلهى، ولـذا قال اللَّه عزّ وجلّ: «ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» «۱».

والحاصل: أن ترك تعظيم وليّ اللَّه والإعراض عن التوسّل والتوجّه به إلى اللَّه تعالى إخفاق فى عقيدة التوحيد.

۱۲- حبط الأعمال وقبولها ...: ص: ۱۲۷

قـال تعـالى: «يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لَـاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ وَلَـا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَاتَشْعُرُونَ* إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ» «۲».

هـذه الآيـة المباركة صـريحة أيضاً فى أن الخضوع للنبىّ الأكرم والإقبال عليه والتوجّه إليه وتوقيره وتعظيمه وحفظ الأدب فى حضـرته سبب وواسطة فى قبول الأعمال، وموجب لتحقّق التقوى والمغفرة والقرب من اللَّه تعالى ونيل الأجر العظيم؛ وذلك لأن الخضوع للنبىّ صلى الله عليه و آله تعظيم له بما هو آية كبرى من آيات اللَّه عزّ وجلّ وشعيرة من شعائره ومعلماً من أعلام دينه، وقد سبق قوله تعالى:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۲۸

«ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ».

وأما الذين لا يخضـعون للنبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله ولا يحافظون على التزام الآداب فى ساحة الحضـرة النبويّة، برفعهم الأصوات فوق صوته، والتعامل معه كأحـدهم، فقـد توعّـدهم اللَّه تعالى بحبط أعمالهم؛ لأن ذلك يوجب الإعراض عن الآيات الإلهية والوسائط الربانيـة التى نصبها لعباده والاسـتكبار عنها، فلا يكون لأعمالهم حينئـذٍ وزن عنـد اللَّه تعالى، بما فى ذلك العقيـدة، التى هى عمل من الأعمال الجوانحية.

۱۳- آيات القسم الإلهى بشخص النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ...: ص: ۱۲۸

لقد وردت آيات عديدة يُقسم فيها اللَّه تعالى بالنبىّ صلى الله عليه و آله نذكر بعضاً منها:

۱- قوله تعالى: «لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ» «۱»

، والقسم بعمر النبىّ الأـكرم صـلى الله عليه و آله من قبـل اللَّه تعـالى يـدلّ على تعظيمه وتشـريفه، خصوصـاً وأن المفسّـرين ذكروا أن البارى تعالى لم يقسم بعمر أحد فى القرآن الكريم، سوى القسم بعمر خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين صلى الله عليه و آله.

۲- قوله تعالى: «لَاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ* وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ* وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ» «۲»

، قـال بعض المفسّـرين أن (لا) فى قوله تعـالى: «لَاأُقْسِمُ» أصـلية نافيـة، والمعنى هو أن اللَّه تعالى لا يقسم بمكّة والنبىّ حلّ وحالّ فيها وذلك تعظيماً له صلى الله عليه و آله، وأنه مع وجوده فى مكّة هو الأحرى أن يقسم به دون غيره، ذكر

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۲۹

ذلك أبو البقاء العكبرى فى إملائه، حيث قال:

(وقيل: لا أقسم به وأنت حلّ فيه، بل أقسم بك) «۱».

وفى فتح القدير للشوكانى قال: (وقيل: المعنى لا أقسم بهذا البلد وأنت حالّ به ومقيم فيه وهو محلّك، فعلى القول بأن «لا» نافية غير زائدة يكون المعنى لا أقسم به وأنت حالّ به، فأنت أحقّ بالإقسام بك) «۲».

والبعض الآخر من المفسّرين قال إن (لا) أصلية أيضاً، ولكن المعنى هو: لا أقسم بهذا البلد وأنت لا حرمة لك فى هذا البلد، يستحلّون دمك وقتالك، وفى ذلك دلالة واضحة على عظمة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله؛ وذلك لأن القسم لأجل عظمة المقسوم به والنبيّ صلى الله عليه و آله له عظمة فوق ذلك، فهو صلى الله عليه و آله موضع قسم أيضاً؛ إذ لو كان ما هو دونه من موارد القسم ولا يقسم به لعظمة النبيّ صلى الله عليه و آله، فكيف بك بذات النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، الذى هو أعظم من الكعبة؟ وعلى هذا يكون فى هذه الآية مديح له صلى الله عليه و آله بأنه أكرم الخلق على اللَّه تعالى.

ذكر هذا المعنى عدد وافر من المفسّرين:

منهم: على بن إبراهيم القمّى، حيث قال فى تفسيره: («وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» كانت قريش لا يستحلّون أن يظلموا أحداً فى هذا البلد، ويستحلّون ظلمك فيه) «۳».

ومنهم: الطبرسى فى مجمع البيان، قال: (وقيل: معناه لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ فيه، منتهك الحرمة، مستباح العرض، لا تحترم، فلم يبن للبلد حرمة،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۳۰

حيث هتكت حرمتك، عن أبى مسلم، وهو المروى عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال:

كانت قريش تعظّم البلد، وتستحلّ محمّداً صلى الله عليه و آله فيه، فقال: لا أقسم بهذا البلد، وأنت حلّ بهذا البلد، يريد أنهم استحلّوك فيه، فكذّبوك وشتموك ... فاستحلّوا من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ما لم يستحلّوه من غيره، فعاب اللَّه ذلك عليهم) «۱».

ومنهم: ابن الجوزى فى زاد المسير، حيث ذكر لقوله تعالى: «لَاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» ثلاث معانٍ، قال: (والثالث: أنت حلّ عند المشركين بهذا البلد يستحلّون إخراجك وقتلك ويحرّمون قتل الصيد، حكاه الثعلبى) «۲».

وبعض ثالث قال إن (لا) زائدة، ولكن مع ذلك هى دالّة على أفضلية النبيّ صلى الله عليه و آله على الكعبة، وأن شرفها لحلول النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فيها، والقسم بها لأجل ذلك، فإذا كان القسم بها لأجل حلول النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فيها يكون القسم بذات النبيّ صلى الله عليه و آله أولى وأدلّ.

وقد ذكر هذا المعنى أيضاً كثير من المفسّرين:

منهم: الشيخ الطوسى، حيث قال بعد تصريحه بأن (لا) زائدة: (وقيل: معناه أنت حلّ بهذا البلد أى أنت فيه مقيم وهو محلّل، والمعنى بذلك التنبيه على شرف البلد بشرف من حلّ فيه من الرسول الداعى إلى تعظيم اللَّه وإخلاص عبادته المبشِّر بالثواب والمنذر بالعقاب) «۳».

ومنهم: الشوكانى فى فتح القدير، قال: (وعلى القول بأنها زائدة، يكون المعنى: أقسم بهذا البلد الذى أنت مقيم به تشريفاً وتعظيماً لقدرك؛ لأنه قد صار

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۳۱

بإقامتك فيه عظيماً شريفاً وزاد على ما كان فيه من الشرف والعظم) «۱».

كذلك ذكر بعض المفسّرين أن قوله تعالى: «وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ» المقصود منه إبراهيم والولد هو النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، قال ابن الجوزى: (والثانى: أن الوالد إبراهيم وما ولد محمّد، قاله الحسن أبو عمران الجونى) «۲».

وهذا قسم آخر بالنبيّ صلى الله عليه و آله، كما نصّ على ذلك القاضى عياض «۳».

ثمّ إن هذه الآية المباركة دالّة على أن إنكار ولاية الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وكونه واسطة ووسيلة بينهم وبين اللَّه تعالى مع تعظيم الكعبة من عمل المشركين، وأن تعظيم البيت الحرام بضمّ تعظيم النبيّ الأكرم وببركة وجوده فيه.

۳- قوله تعالى: «ص وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ» «۴».

۴- قوله تعالى: «ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» «۵».

۵- قوله تعالى: «يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» «۶».

۶- قوله تعالى: «الرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ» «۷».

۷- قوله تعالى: «طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ» «۸».

وقد ورد عن الإمام السجّاد عليه السلام فى الصحيفة السجّادية بأن كلّ قسم فى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۳۲

القرآن الكريم بالقرآن والكتاب يسبقه اسم فهو من أسماء النبيّ صلى الله عليه و آله، قال عليه السلام فى دعائه: «وقلت جلّ قولك له حين اختصصته بما سمّيته من الأسماء «طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى» وقلت عزّ قولك: «يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» وقلت تقدّست أسماؤك: «ص وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ» وقلت عظمت آلاؤك: «ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» فخصصته أن جعلته قسمك حين أسميته وقرنت القرآن به، فما فى كتابك من شاهد قسم والقرآن مردف به إلّاهو اسمه، وذلك شرف شرّفته به، وفضل بعثته إليه، تعجز الألسن والأفهام عن وصف مرادك به» «۱».

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يس اسم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» «۲».

ذكر بعض المفسّرين أن صاد وقاف وغيرهما من أسماء النبيّ صلى الله عليه و آله.

وقال ابن الجوزى: (والثالث: أن معناها جيس ج يامحمّد، قاله ابن الحنفيّة والضحّاك) «۳».

كانت هذه هى بعض الموارد التى أقسم اللَّه عزّ وجلّ بنبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله تعظيماً له، وتبياناً لعلوّ مقامه ومكانته عند اللَّه عزّ وجلّ، وأنه أكرم مخلوقاته.

والقسم بالشىء نحو توسيط له؛ وذلك لأن القسم نوع من الذمّة والتوثيق، وهو نحو من أنحاء الشفاعة، لأن أحد أشكال القسم هو قسم المناشدة كما فى المقام، وفى المناشدة يُذكر القسم لأجل التشفّع وجعل الشفيع والوسيط، فإذا صحّ القسم بذات النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فيقسم على اللَّه تعالى به فى قضاء الحوائج فى الدنيا والآخرة، إذاً القسم كما يستخدم للاستيثاق من الخبر، يستخدم أيضاً

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۳۳

فى الاستيثاق من التشفّع والتوسّل كما لو كان القسم على إنشاء، كقولك: (واللَّه لتفعلنّ كذا)، وإذا صحّ التشفّع به صلى الله عليه و آله بالقسم صحّ التوسّل به والتشفّع مطلقاً، وهذا نوع من الاستدلال بالدلالة الالتزامية البيّنة.

۱۴- الآيات الآمرة بالتوسل بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وسائر الأنبياء والأوصياء ...: ص: ۱۳۳

الآيات القرآنية الواردة فى هذا المجال عديدة نشير إلى بعضها:

۱- قوله تعالى «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» «۱».

فإن هذه الآية المباركة ناصّة وصريحة فى أن التوجّه إلى اللَّه عزّ وجلّ والإقبال عليه بالاستغفار والتوبة والأوبة لابدّ أن يكون عن طريق

التوجّه والمجيء إلى الباب الذى نصبه اللَّه تعالى لذلك، وهو النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، حيث قال تعالى: «جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ» أى يأتونك ويتوجّهون إلى اللَّه بك، فالمجيء إلى النبيّ صلى الله عليه و آله مجيء إلى اللَّه تعالى.

إذن استغفارهم لأنفسهم عند اللَّه تعالى لا يغنيهم عن التوجّه بالنبيّ صلى الله عليه و آله، ومعنى ذلك أن للمجيء عند النبيّ ثم الاستغفار موضوعية فى حصول المغفرة.

ولا شك أن الاستغفار وطلب المغفرة عبادة من العبادات ونوع خاص من أنواع الدعاء وحالة من الارتباط بين العبد وربّه، وللكون عند النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والمجيء عنده دخالة فى قبول تلك العبادة وتوثيق الدعاء والارتباط بين العبد

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۳۴

وربّه والإقبال على اللَّه تعالى.

وهذا هو معنى أن للَّهعزّ وجلّ مواضع ومواطن مشرّفة يُقبل الدعاء بالكون فيها والمثول تحت قبّتها، كما فى الكون فى عرفة وتحت الميزاب وعند الملتزم والمستجار وغيرها، وكما ورد من أن الصلاة فى البيت الحرام تعدل كذا ألف ركعة، وهذا يعنى أن للكون فى البيت الحرام دخالة فى توثيق الارتباط بين العبد وبين اللَّه تبارك وتعالى.

والحاصل: إن اللَّه عزّ وجلّ يخاطب المذنبين الظالمين لأنفسهم أن تكون عبادتهم فى طلب المغفرة بالقصد إلى النبيّ صلى الله عليه و آله والمجيء عنده، لأن ذلك من مواطن استجابه الدعاء وتفتّح أبواب السماء وقبول التوبة وتحقّق المغفرة، وهذا نوع من أنواع التوسّل والتشفّع به صلى الله عليه و آله إلى اللَّه عزّ وجلّ، فمجيئهم عند النبيّ والاستغفار فى حضرته نوع من أنواع التوسّل، واستغفار النبيّ صلى الله عليه و آله بعد توسلهم به نوع من أنواع الشفاعة؛ ولذا قال عزّ وجلّ: «وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ»، وبعد التوسّل والشفاعة قال تعالى: «لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا».

۲- قوله تعالى: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ» «۱».

وهذا أمر من اللَّه عزّ وجلّ لنبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله بأن يتشفّع للمؤمنين ويكون وسيلة وواسطة لهم فى المغفرة.

۳- قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۳۵

إن فى هذه الآية المباركة أمر إلهى لعصاة هذه الأمة، بأن يأتوا إلى النبيّ صلى الله عليه و آله ويتوسلون به ليستغفر لهم اللَّه عزّ وجلّ.

والبارى تعالى يقول إن الإباء عن المجيء عند النبيّ صلى الله عليه و آله صدود واستكبار على اللَّه تعالى، وهو نفس الجرم الذى وقع به إبليس عندما أبى عن السجود لوليّ اللَّه وخليفته آدم، حيث قال تعالى: «أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»، كذلك الفسق وصَفَ به اللَّه عزّ وجلّ المنافقين كما وصف به إبليس، وليس ذلك إلّا لأنهم لوّوا رؤوسهم وأبوا زيارة النبيّ صلى الله عليه و آله وتوسيطه والتوجّه به إلى اللَّه تعالى فى الاستغفار، وذلك سواء قبل وفاة النبيّ صلى الله عليه و آله أو بعدها؛ لأن الرسول الأكرم حيّ بالآيات وبروايات الفريقين، تُعرض عليه الأعمال ويسمع السلام ويردّه وهو شهيد على جميع الأمم.

۴- قوله تعالى: «وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» «۱».

وفى هذه الآية المباركة والآيات التى سبقتها تأكيد على أن هذه الأمة لا ترحم إلّا بنبيّها صلى الله عليه و آله، وهو شفيع هذه الأمة ووسيلتها، وإن اللَّه عزّ وجلّ أمره بذلك وأمر الأمة بالرجوع إليه لنيل الرحمة والمغفرة.

۵- قوله تعالى حكاية لكلام إبراهيم عليه السلام مع عمّه آزر: «قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا» «۲».

وهذه الآية المباركة صريحة فيما نحن بصدد اثباته؛ إذ أن النبيّ إبراهيم عليه السلام يعلّل شفاعته ووساطته فى الاستغفار بأن اللَّه كان به حفيّاً، فالحفاوة والحظوة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۳۶

والحبوة والوجيه والوجاهة التى يوليها اللَّه عزّ وجلّ لإبراهيم عليه السلام وسيلة وباباً ووجهاً يتوجّه به إلى اللَّه عزّ وجلّ، كما تقدم ذلك فى الآيات التى صرّحت بأن موسى وعيسى عليهما السلام وجيهان عند اللَّه تعالى ومن المقرّبين، فكلّ مقرّب ووجيه وحبيب لدى اللَّه ومن له كرامة وعزّة عنده عزّوجلّ يتوجّه ويتوسّل به إلى اللَّه ويجعل شفيعاً فى قول القائل: «إنّا توسّلنا وتوجّهنا واستشفعنا بك إلى اللَّه يا وجيهاً عند اللَّه اشفع لنا عند اللَّه».

والتعليل المذكور فى هذه الآية الكريمة عامّ، وقد أقرّ اللَّه تعالىإبراهيم عليه، فيكون هذا التعليل دليلًا عامّاً على أن كلّ من كان له حفاوة وقرباً عند اللَّه عزّ وجلّ يتوسل به ويتشفّع به عند اللَّه تعالى.

وهذه هى الملّة الإبراهمية الحنيفية التى نحن عليها، «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» «۱».

۶- قوله تعالى حكاية لقول موسى عليه السلام: «قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» «۲».

فالنبىّ موسى عليه السلام فى هذه الآية المباركة يستغفر لنفسه ويتوسّط فى طلب الاستغفار لأخيه هارون عليه السلام، وهذا معناه أن الوسيلة والشفاعة قد تكون أيضاً من الولىّ الذى هو أقرب وأكثر حظوة عند اللَّه تعالى للولىّ الذى هو دونه فى القرب، كما ورد ذلك فى شفاعة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله لبقيّة الأنبياء بل ولخصوص الأئمة الاثنى عشر من أهل بيته عليهم السلام فى الكينونة معه فى مقامه.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۳۷

وإذا كان النبىّ موسى عليه السلام واسطة ووسيلة رحمة وغفران بين هارون النبى وبين اللَّه تعالى وهو نبىّ من الأنبياء فكيف ظنّك بسائر البشر؟!

۷- قوله تعالى حكاية عن قول يعقوب عليه السلام وولده: «قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» «۱».

وهذا توسّل من أبناء يعقوب بأبيهم عليه السلام، ونفس فعلهم هذا هو توبة وندامة وأوبة وإنابة إلى اللَّه عزّ وجلّ، ففى التوبة التى هى من العبادة للَّهتعالى توجّهوا إلى أبيهم؛ لحفاوته عند اللَّه تعالى، والنبىّ يعقوب عليه السلام أقرّهم على فعلهم هذا، وقال لهم: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى» فقوله هذا شفاعة منه عليه السلام لأبنائه عند اللَّه تعالى، وقولهم وتوجّههم إليه توسّل منهم بأبيهم وتوسيط له بينهم وبين اللَّه عزّ وجلّ؛ وذلك بحسب ما تقدّم ويأتى أيضاً من الرابطة الوثيقة بين التوسّل والشفاعة، وجاء فى ذيل سورة يوسف قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِى الْأَلْبَابِ» «۲»

أى أن ما ذكر فى الآيات عبرة لمن يقرأ القرآن ليتخذها سنّة ينتهجها.

۸- قوله تعالى: «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ» «۳».

وهذه الآية المباركة تبيّن وساطة حملة العرش فى غفران الذنوب، وقد روى الفريقان أن حملة العرش يوم القيامة ثمانية، أربعة من الأولين وأربعة من

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۳۸

الآخرين، أما الأولون فهم الأنبياء أولو العزم، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأما الآخرون فهم النبىّ صلى الله عليه و آله وثلاثة من هذه الأمة، وهم الامام علىّ عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام، أخرج الكلينى فى الكافى عن يحيى بن سليمان المازنى عن أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة الذين هم من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأما الأربعة من الآخرين فمحمّد وعلىّ والحسن والحسين صلوات اللَّه عليهم» «۱».

وسواء كان حملة العرش من الملائكة أم من الأنبياء والأوصياء، فإنهم شفعاء ووسيلة يستغفرون للذين آمنوا.

۹- قوله تعالى على لسان بنى إسرائيل: «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ» «۲».

فإن سؤال بنى إسرائيل فى هذه الآية المباركة لم يكن بالخطاب فى الدعاء مباشرة للَّه‌تعالى، وإنما سألوا اللَّه تعالى وتوجّهوا إليه بنبيّه، وموسى عليه السلام أجابهم على ما سألوا بقوله: «فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ» ولم ينكر عليهم توسيطه فى قضاء الحاجة وطلب ونيل المقصود، وكذلك اللَّه عزّ وجلّ لم ينكر عليهم ذلك فى القرآن الكريم، وإنما أنكر عليهم استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير.

۱۰- قوله تعالى على لسان نبيّه سليمان عليه السلام: «قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى

بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ* قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ» «۱»

، حيث توسّل النبىّ سليمان عليه السلام للإتيان بعرش بلقيس بمن عنده علم من الكتاب، وهو وصيّه آصف بن برخيا.

والحاصل: إن هذا الوجه القرآنى الذى ذكرناه بطوائفه المتعدّدة من الآيات، حصيلته أن هناك أمراً إلهياً للنبىّ صلى الله عليه و آله بأن يكون وسيلة وشفيعاً لهذه الأمة، وأمر الناس بأن يأتوه ويقصدوه ويزوروه طلباً للشفاعة وقضاءً للحوائج، وأن مجرّد الندامة والتوبة لا تكفى، بل لابدّ من التوجّه إلى الواسطة، كما فعل أولاد يعقوب، الذين كان فى قصصهم عبرة لهذه الأمة، وهذه كلّها أوامر تعظّم مبدأ التوسّل وتحثّ عليه وتهدّد من يستكبر عليه، وأن مصيره يكون كمصير إبليس.

۱۵- آيات التوسّل بمخلوقات كريمة أضيفت إلى الأنبياء والأولياء ...: ص: ۱۳۹

اشارة

هناك آيات عديدة تنصّ على مشروعية التوسّل بغير الأنبياء والرسل من المخلوقات الكريمة على اللَّه تعالى، والتى أُضيفت إلى الأنبياء والأولياء، فهى توجب تحقيق المقصود وإنجاح بعض الحوائج، نشير إلى بعضها:

۱- ما هو مذكور فى قصة يوسف عليهما السلام، حيث أمر إخوته أن يُلقوا قميصه على وجه أبيه ليرتدّ بصيراً ببركة ذلك القميص، وذلك فى قوله تعالى: «إِذْهَبُوا

بِقَمِيصِى هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ* وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ* قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ* فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَاتَعْلَمُونَ» «۱»

، فالمشافى فى هذه الآيات المباركة نبىّ كبير من الأنبياء، وهو يعقوب عليه السلام، والشفاء حصل بتوسّط قميص لامس بدن يوسف عليه السلام، وهذا نوع من التوسّل والتوسيط فى إفاضة الشفاء من اللَّه عزّ وجلّ، فإن الشفاء حقيقة من اللَّه تعالى والفيض كلّه منه تعالى؛ لأنه الخالق الحقيقى لكلّ الممكنات بما فيها الشفاء والاستشفاء، كما فى قول إبراهيم عليه السلام: «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» «۲»

إلّاأن ذلك لا يمانع جعل الوسائط وأن يتوسل الشخص بوسيلة منصوبة من اللّه عزّ وجلّ ومجعولة لإفاضة الشفاء منه تعالى، كالأشياء المضافة إلى الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، والسرّ فى ذلك أن اللّه عزّ وجلّ جعل عالم الخلقة محكوماً بقانون الأسباب والمسببات، لتكون مواطن ومجارى فيضه إلى المراتب النازلة من الوجود.

إذن إذا كان نبيّ من الأنبياء يتوسل بجاه نبيّ آخر من الأنبياء، وهو ابنه يوسف عليه السلام، وذلك ببركة قميصه بجعله واسطة فيض فى الشفاء، فكيف بنا نحن؟

ثم إنه ليس فى المورد وهو القميص خصوصية، بل ذلك شامل لكلّ ما له نسبة وإضافة إلى نبيّ من الأنبياء أو وصيّ من الأوصياء بما يوجب حصول

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۴۱

البركة فيه، وذلك لأن الفعل يحمل فى طيّاته الطبيعة العامة والسنّة الإلهية الشاملة؛ ولذا قال اللّه عزّ وجلّ فى نفس سورة يوسف: «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ» «۱»

، وقال تعالى أيضاً فى السورة ذاتها: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى» «۲».

إذن آية الاستشفاء ومشروعيته عامّة والمورد لا يخصّص الوارد.

هل الآية دليل على مشروعية الاستشفاء فقط ...؟ ص: ۱۴۱

لابدّ من التنبيه هنا على أن الاستشفاع والتوسّل والاستغاثة والتبرّك والاستشفاء كلّها من باب واحد، وتندرج تحت طبيعة واحدة وإن تعدّدت عناوينها، فهى أصناف لطبيعة واحدة عامّة، وهى توسيط الواسطة لنجح المسؤول ونيل المطلوب.

فالتبرك مثلًا هو طلب البركة، أى طلب الحاجة بواسطة ما جعله اللّه عزّ وجلّ من الحظوة والبركة فى ذوات الأنبياء والأولياء المقدّسة أو ما يتعلّق بهم وينتسب إليهم.

وكذا الاستغاثة طلب قضاء الحاجة بواسطة المستغاث به فى حالة خاصة، وهكذا بقيّة العناوين الأخرى كما ستأتى الإشارة إلى بعضها عند ذكر الفرق بين التوسّل والاستشفاع والشفاعة فى الفصل الرابع.

وبناء على هذا يكون الاستشفاء بقميص يوسف عليه السلام المذكور فى الآية

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۴۲

المباركة توسيط وتبرّك وتوسّل بالقميص إلى اللّه عزّ وجلّ.

وتكون هذه الآية الكريمة دالّة على مشروعية مطلق التوسيط بكلّ أصنافه، وليست الآية خاصة بالاستشفاء فقط، وهذا من الاستدلال على مشروعية النوع أو الجنس بمشروعية الصنف أو النوع.

هذا تمام الكلام فى هذه الآية.

۲- قصة البقرة، الواردة فى قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» «۱»

، فإن هذه القصة تتحدّث عن إحياء شخص من بنى إسرائيل، قتل ظلماً واختلفوا فى قاتله فأمرهم اللّه تعالى للكشف عن قاتله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها، لتعود إليه الحياة ويتكلّم بذكر قاتله، قال عزّ وجلّ: «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَاتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» «۲»

، فهنا البارى تعالى مع كون الإحياء من فعله وليس هو بالأمر الهين، بل هو من الأمور العظيمة والكمالات الأولية لا الثانوية، مع ذلك

جعل الوسيلة إليه الضرب بلحم بقرة مذكّاة، فكيف بك بالأنبياء والأوصياء، ألا يستدرّ بهم رحمة اللَّه عزّ وجلّ؟!

ويجدر الاشارة إلى أن البقرة لم تكن بقرة عادية، بل كانت محلّ العناية الإلهية، وقد ذُكرت لها أوصافاً خاصّة فى الآيات المباركة، وإن كان الاستقرار عليها بعناد من بنى إسرائيل.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۴۳

والفرق بين ما هو مذكور فى هذه الآيات المباركة وبين تقديس البقر وعبادتها، هو وجود الأمر الإلهى وعدمه، وقد جعل اللَّه عزّ وجلّ البقرة سبباً من الأسباب الإلهية وموضعاً من مواضع قدره وإبرام قضائه فى القصة المذكورة.

ويشهد على ما ذكرنا قوله تعالى فى ذيل الآية الكريمة: «وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

ومعنى ذلك أن اللَّه عزّ وجلّ جعل البقرة آية وواسطة لاحياء الموتى بإذنه ومشيئته.

۳- قصة التابوت، التى وردت فى قوله تعالى: «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» «۱».

فالتابوت الذى فيه سكينة وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون جُعل آية معجزة لمُلك طالوت وإمامته، فتلك التركة بسبب علقتها بآل موسى وآل هارون واكتسابها البركة لإضافتها إليهم تصل إلى درجة الاعجاز والآية البيّنة لاثبات مطالب حقّة، وهى إمامة طالوت وتوجب بروز ظواهر خارقة للعادة للتابوت تكوّن منه معجزة، كما ورد فى روايات الفريقين.

فهذه الواسطة تجاوزت حدّ الكرامة والبركة لتصل إلى درجة الحجّية

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۴۴

والإعجاز؛ ولذا قال اللَّه عزّ وجلّ فى ذيل الآية الكريمة: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» وذلك لبيان أن التابوت آية وعلامة وواسطة يتوسّط ويتوسل بها لإثبات مُلك طالوت وإمامته.

۴- قصة السامرى صاحب العجل، التى وردت فى قوله تعالى فى بنى إسرائيل عندما ذهب موسى عليه السلام إلى ربّه: «قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ* فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ» «۱»

إلى أن قال اللَّه عزّ وجلّ حكاية عن لسان موسى عليه السلام: «قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ* قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي» «۲»

، والرسول فى الآية الكريمة كما فى بعض الروايات هو جبرئيل عليه السلام، عندما هبط وتمثّل على حصان ليستنقذ موسى عليه السلام وبنى إسرائيل من فرعون وجنوده ويرشدهم إلى الطريق، من أجل العبور من مصر إلى الطرف الآخر، فكان على حصان نوريّ تمثّلى، وكان السامرى من خواصّ النبيّ موسى عليه السلام، فلاحظ أن حافر حصان جبرئيل عليه السلام عندما كان يخطو الحصان ينبت الزرع دفعة واحدة من تحته، فقبض قبضة من أثر حصان الرسول فنبذها فى العجل فإذا هو له خوار.

وقد وردت هذه القصة فى روايات الفريقين:

ففى تفسير القمى عن أبى جعفر عليه السلام قال: (وكان السامرى على مقدّمة موسى يوم أغرق اللَّه فرعون وأصحابه، فنظر إلى جبرئيل وكان على حيوان فى صور

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۴۵

رمكة «۱» فكانت كلّما وضعت حافرها على موضع من الأرض تحرك ذلك الموضع، فنظر إليه السامرى وكان من خيار أصحاب

موسى، فأخذ التراب من تحت حافر رمكة جبرئيل وكان يتحرك، فصرّه فى صرّة، وكان عنده يفتخر به على بنى إسرائيل، فلما جاءهم إبليس واتخذوا العجل قال للسامرى هات التراب الذى معك، فجاء به السامرى فألقاه إبليس فى جوف العجل، فلما وقع التراب فى جوفه تحرك وخار) «۲».

وفى جامع البيان للطبرى قال: (وقوله: فقبضت قبضة من أثر الرسول، يقول:

قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرئيل) ثم أخرج عن ابن عباس قوله: (لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون فى النار وتكسّرت، ورأى السامرى أثر فرس جبرئيل عليه السلام فأخذ تراباً من أثر حافره، ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها، وقال: كن عجلًا جسداً له خوار، فكان للبلاء والفتنة) وفى حديث آخر عنه أيضاً: (فألقى القبضة على حُليّهم فصار عجلًا جسداً له خوار).

وأخرج أيضاً عن مجاهد فى قول اللّه تعالى: «فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا» قال: (من تحت حافر فرس جبرئيل، نبذه السامرى على حلية بنى إسرائيل فانسبك عجلًا جسداً له خوار) «۳».

فإذا كان أثر التراب الذى لامس حافر فرس جبرئيل عليه السلام له ذلك التأثير مع أن السامرى استخدمه فى طريق الضلالة والغواية فما بالك بمن هو أشرف من جبرئيل عليه السلام؟! ألا تكون المواضع التى وقف فيها الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وقبره

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۴۶

والمواطن التى لامست بدنه الشريف ذات بركة وتأثير خارق لما هو المعتاد، لا سيما إذا كان فى طريق الهداية والانصياع للأوامر الإلهية؟!

۵- عصا موسى عليه السلام، حيث كانت وسيلة وواسطة للعديد من المعاجز الإلهية كانقلابها أفعى، وضرب البحر بها فكان كلّ فرق كالطود العظيم، وضرب الحجر بها فانفجرت إثنتا عشرة عيناً، كلّ ذلك لكونها مضافة إلى موسى عليه السلام، فهى مباركة ببركة موسى عليه السلام وواسطة للكثير من المعاجز، فكيف بك بنفس موسى ومن هو أفضل من موسى، ألا يكون واسطة ووسيلة لقضاء الحوائج التى هى لا تصل فى العظمة والخطورة إلى حدّ المعجزة؟!

۶- البيت الحرام حيث جعله اللّه عزّ وجلّ مباركاً تُطلب فيه البركة ويدعى فيه لقضاء الحوائج، وهو نوع توسيط لأجل طلب البركة، وذلك ما جاء فى قوله تعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ» «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۴۷

الفصل الثالث/ شرطية التوسّل وضرورته فى مقامات ثلاث ...: ص: ۱۴۷

اشارة

/ قبول التوبة/ وقبول العبادات/ ونيل المقامات الإلهيّة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۴۸

الدليل الأول: معطيات الشهادة الثانية

الدليل الثانى: التوسّل ضرورة عقلية

الدليل الثالث: عموم وجوب طاعة اللّه ورسوله وأولى الأمر.

الدليل الرابع: اقتران اسم النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام بأعظم العبادات.

الدليل الخامس: ابتغاء الوسيلة ضرورة قرآنية.

الدليل السادس: شرطية الاستجارة بالنبىّ صلى الله عليه و آله فى طلب المغفرة.

الدليل السابع: التوسّل بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام ميثاق مأخوذ على الأنبياء.

الدليل الثامن: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِم».

الدليل التاسع: الاستكبار والصدّ عن آيات اللَّه تعالى موجب لحبط الأعمال.

الدليل العاشر: خضوع الملائكة لوليّ اللَّه وخليفته.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۴۹

شرطية التوسّل وضرورته فى مقامات ثلاث ... ص: ۱۴۹

اشارة

نريد أن نبيّن تحت هذا العنوان دور التوسّل وشرطيته فى مقامات ثلاث، وهى كالتالى:

المقام الأول: إن من شرائط التوبة وقبولها التوسّل بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام.

المقام الثانى: إن من شرائط قبول وصحة الإيمان (العقيدة) والعبادات مطلقاً التوسّل والتوجّه بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام.

المقام الثالث: إن أى توجّه إلى الحضرة الربوبية فى صدد نيل مقام من المقامات الإلهية أو حظوة عند اللَّه تعالى لابدّ فيه من التوجّه بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام والتوسّل بهم.

فإن فقهاء الإمامية وغيرهم أيضاً ذكروا أن ولاية أهل البيت عليهم السلام شرط فى تلك المقامات الثلاث، بمعنى معرفتهم والإيمان بإمامتهم.

وليس هذا ما نريد إثباته هنا؛ إذ هو مع وضوحه خارج عن محلّ البحث.

إذن ما نريد بيانه هنا هو شرطية التوسّل بالنبيّ الأعظم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام فى تلك المقامات الثلاث.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۵۰

ولأجل اشتراك ما ادّعيناه فى المقامات الثلاث فى طبيعة الأدلّة نستعرضها ببيان واحد، يكون صالحاً لإثبات المدّعيات الثلاثة فى المقامات المذكورة.

وإليك فيما يلى استعراض الأدلّة:

الدليل الأول: معطيات الشهادة الثانية ... ص: ۱۵۰

إن المعرفة والعقيدة والإيمان الذى هو من العبادات، بل أعظم الفرائض الإلهية؛ لأنه إذعان وإخبات وتسليم وخضوع وانقياد للَّه‌تعالى، وهذه المعرفة الإيمانية للعقل والقلب هى عبادتهما وطوعانيتهما للَّه‌نوع توجّه ولقاء للَّه‌تعالى ووفود على الحضرة الربوبية وزلفى وقرب بتوسّط الإيمان القلبى، وهذه العبادة القلبية العظيمة ممتنعة بلا واسطة، وذلك لعظمة اللَّه عزّ وجلّ، فلا اكتناه ولا إحاطة ولا مماسّة ولا ملامسة ولا مواجهة جسمية أو عقلية أو نفسية؛ إذ لا يُجابه الجسم إلّاما يماثله فى الجسمية، ولا يُجابه النفس أو العقل إلّاما يماثلهما، واللَّه تعالى منزّه عن كونه جسماً أو نفساً أو عقلًا؛ لكونها من الممكنات المحدودة بحدود الماهية والفقر والحاجة.

إذن لابدّ من الوسيلة والواسطة فى الإيمان، الذى هو أعظم العبادات وأعظم أنواع التوجّه إلى اللَّه تعالى، والواسطة هى الإيمان بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والإقرار بالشهادة الثانية فى مقام الإدلاء بالشهادة التوحيدية المقبولة عند اللَّه تعالى، والموجبة للخروج من حظيرة الشرك إلى التوحيد الإسلامى الخالص؛ لأنه أعظم آية للحقّ سبحانه.

وإذا كان للوسيلة هذا الدور الخطير فى المعرفة وأن التوجّه إليها فى المعرفة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۵۱

توجّهاً إلى اللَّه تعالى، والمعرفة أعظم شأناً من سائر العبادات، فكيف لا يكون التوجّه فى عبادة البدن والنفس إلى اللَّه تعالى بالوسيلة؟! وكيف لا يسوغ التوجّه فى الخطاب الكلامى بألفاظ الدعاء إلى الوسيلة، ويكون دعاؤها دعاء بها إلى اللَّه تعالى؟!

ففى حاقّ وعمق عبادة الإيمان والتوجّه القلبى لابـدّ من التوجّه بالنبىّ صـلى الله عليه و آله للوفود على اللَّه عزّ وجلّ، فلا يتحقّق التوحيد ولاـ يكون المرء مؤمنـاً، إلّاإذا توجّه بقلبه إلى اللَّه تعالى بالشـهادة الأولى والشـهادة الثانيـة، ومن ينفى أى إسم أو واسـطة مع اللَّه تعالى عند التوجّه إليه فهو واقع فى مغبّة الشرك والوثنية من حيث يشعر أو لا يشعر، نظير وثنية قريش، حيث كانوا لا يدينون اللَّه تعالى بطاعة وولاية نبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله.

وإذا كان الإيمان والمعرفة كذلك فكيف بباقى العبادات التى هى أقلّ شأناً وخطورة؟!

والحاصل: أن المعرفة والإيمان والتوحيد الذى يتضـمّن الدين بأجمعه لا يحصل إلّابالتوسل بآيات اللَّه الكبرى، ومزاوجة الشهادة الثانية بالشـهادة الأـولى، وهـذا يعنى أن أى شأن من الشؤون الدينيـة كالتوبـة أو العبادة أو نيل مقام من المقامات الإلهيـة لا يمكن أن يتحقّق إلّابالمحافظة على الشـهادة الثانية، والإقرار بها وبمعطياتها وتداعياتها ومقتضـياتها فى كافّة أصول وفروع المعارف التوحيدية، ولا شك أن الإيمـان بالشـهادة الثانيـة توجّه قلبى بـالنبىّ الأكرم للَّهعزّ وجلّ، إذ الإيمان كما أسـلفنا طلب للقرب والزلفى ولقاء اللَّه تعالى، وهـذا القرب إنما يتحقّق بتوسيط الشهادة الثانية، وهى شهادة أن محمّداً رسول

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۵۲

اللَّه ووليّه وخليفته فى أرضه.

فالإسـلام يدعو إلى التوجّه بالنبىّ صـلى الله عليه و آله فى الإيمان والاعتقاد وهو أفضل عبادة، فضـلًا عن بقيّة العبادات الأخرى، والإباء عن التوجّه فى العبادة بخاتم الأنبياء إنكار للشـهادة الثانية، ودعوة إلى الشرك باسم التوحيد، وهذا ما أخفق فيه السلفيون، حين جحدوا التوسّل بالنبى صـلى الله عليه و آله، فلا تراهم يقرنون لون الشـهادة الثانية ومؤداها ومعطياتها بلون الشهادة الأولى فى رسم بناء التوحيد فى أدبيات كتبهم، فيقتصـرون على تفسير الشـهادة الأولى فى التوحيـد، من دون أن يهتدوا إلى كيفية ركنية مؤدّى الشـهادة الثانية فى أركان التوحيـد، وكيفية ضـرورة الربط والارتباط بين مؤدّى كل من الشـهادتين فى رسم أصل التوحيد، ومنه يظهر أن التوسّل والتوجّه بالنبى صلى الله عليه و آله ضرورة وليس مجرد خيار مشروعية.

الدليل الثانى: التوسّل ضرورة عقلية ... ص: ۱۵۲

اشارة

على الرغم من أن هناك من أعلام السـنّة من أكّد على رجحان التوسّل ومشـروعيّته، كالقاضـى عياض فى كتابه الشـفا بتعريف حقوق المصـطفى والسُبكى فى شفاء السقام والسيف الصقيل والسمهودى فى وفاء الوفا وتقى الدين الحصنى الشافعى فى كتابه دفع الشبه عن الرسول والرسالة وغيرهم.

إلّا أن ما نرمى إليه فى هـذه الأبحاث أبعد من ذلك؛ إذ أن الرجحان والمشـروعية لا يثبتان سوى التخيير وكون التوسّل أمراً مرغوباً فيه يجوز للمكلف تعاطيه وله تركه أيضاً، وما نريـد التأكيـد عليه هنا هو أن مبـدأ التوسّل أمر ضـرورى يحكم العقل بلابدّيته وعدم إمكان المحيص عنه، وذلك لأن نفى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۵۳

الواسطة والوسيلة بين العبد وبين ربّه فى مقام التوجّه إليه تعالى لا يخرج عن أحد فروض ثلاثة كلّها باطلة:

الأول: فرض المجابهة والمواجهة المباشرة للّه‌تعالى حين التوجّه إليه فى الدعاء والعبادة، وبطلان هذا الفرض واضح، إذ يلزم منه التشبيه للذات الإلهية، وقد ثبت بطلانه فى الأبحاث العقائدية؛ لتنافيه مع الصفات الكمالية اللّامتناهية لواجب الوجود.

بيان الملازمة ...: ص: ۱۵۳

إن مجابهة ومواجهة البشر العاديين المباشرة للذات الإلهية المقدّسة إما أن تكون حسّية جسمانية أو نفسانية روحية أو عقلية، وهذه الأقسام الثلاثة من المجابهة المباشرة هى التشبيه الباطل بعينه، وذلك لأن الارتباط المواجهة الجسمية إنما تفرض مع ما هو جسم، لقانون التضايف بين المتجابهين، وهكذا التوجّه المواجهة الروحية والقلبية لما هو روح والمواجهة العقلية لما هو عقل أيضاً، فكلّ هذه الأقسام المفروضة للمواجهة المباشرة للّه‌تعالى لم تخرج عن دائرة التشبيه للذات المقدّسة بكونها جسماً أو روحاً أو عقلًا، وهو الشرك بعينه، لكونه موجباً لسلب واجب الوجود عن واجبيّته وكماله المطلق اللّامتناهى، ووصفه بصفات المخلوق المحدود بحدود الإمكان والماهية والفقدان والاحتياج والافتقار.

وحاصل هذا الفرض هو مواجهة البشر العاديين المباشرة للّه‌تعالى، وهو فرض التشبيه الباطل بكلّ مراتبه.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۵۴

الثانى: القول بالتعطيل وعدم السبيل إلى اللّه تعالى ومعرفته والتوجّه إليه، وهو باطل، لأن معرفة اللّه تعالى واجبة والتى هى نوع لقاء للّه‌عزّ وجلّ وتوجّه إليه وزلفى.

الثالث: دعوى أن الناس بأجمعهم لهم ارتباط مباشر مع اللّه تعالى فوق الجسم والروح والقلب والعقل بما لا يستلزم التشبيه، وهذا باطل بالوجدان، وقد رفض القرآن الكريم أيضاً الإيحاء والوحى إلى جميع البشر واستنكر ذلك على المشركين، كما فى قوله تعالى: «بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً» «۱».

وردّ اللّه عزّ وجلّ فى آيات أخرى على هذه المقالة الباطلة، حيث قال: «وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِىَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ» «۲».

ومع بطلان هذه الفروض الثلاثة تكون النتيجة ضرورة الإيمان بالوسائل والوسائط والآيات، والرجال المؤهّلين للإرتباط باللّه تعالى، وهم الأنبياء والأولياء والمصطفين، الذين اصطفاهم اللّه عزّ وجلّ وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه فى كلّ ما يحتاج الخلق إليه وفى كلّ توجّه وطلب ودعاء وزلفى إلى اللّه تعالى، سواء كان على مستوى التوبة أو سائر العبادات أو نيل مقام من المقامات الإلهية، وليس ضرورة التوسيط إلّالعظمة اللّه عزّ وجلّ وعلوه عن التجسيم

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۵۵

والتشبيه والتعطيل.

ثم إن آيات اللّه الكبرى وأسمائه العظمى التى جعلها واسطة فى التوجّه إليه هى أيضاً لا تتوجّه إلى اللّه عزّ وجلّ بالمباشرة ولا تجابهه إلّابذواتها، فتوجّه الوسائط أيضاً إلى اللّه تعالى إنما يكون بذواتها التى هى آية لمعرفة اللّه عزّ وجلّ، ولا توجد أى مجابهة بالمباشرة لأىّ مخلوق من المخلوقات.

التوسّل فى كل النشآت ولأصناف المخلوقات ...: ص: ۱۵۵

والحاصل: أن اللَّه تعالى لعظمته وعظيم صفاته لا يجابه ولا يواجه إلّا بالوسائل والآيات، ولا يستثنى من ذلك القانون وتلك السنّة الإلهية التكوينية أى مخلوق من المخلوقات فى كلّ شأن من شؤونه المعرفية والعبادية فى هذه النشأة وفى جميع النشآت، ولذا قالت الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام فى مستهل خطبتها المعروفة فى هذا المجال: «فاحمدوا اللَّه الذى بعظمته ونوره ابتغى من فى السماوات ومن فى الأرض إليه الوسيلة، فنحن وسيلته فى خلقه، ونحن آل رسوله، ونحن حجّة غيبه وورثة أنبيائه» «۱».

وكذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وبعظمته ونوره ابتغى من فى السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة» «۲».

إذن قانون ومبدأ التوسّل ضرورة يدركها العقل ويُقرّ بها، لعظمة اللَّه تعالى، وليس التوسّل أمراً تخييرياً ولا مشروعاً فحسب.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۵۶

الدليل الثالث: عموم طاعة اللَّه ورسوله وأولى الأمر ... ص: ۱۵۶

اشارة

إن ضرورة المسلمين قائمة على أن جميع العبادات فيها ما هو فرائض قرآنية إلهية ومنها ما هو سنن نبويّة، كما فى الصلاة والصيام والحجّ والزكاة والجهاد وغيرها، إذ هى فرائض إلهية فى أصل وجوبها فى الدين، وأما تفاصيلها وأجزائها وشرائطها وأقسامها فهى سنن نبويّة وصلتنا عن طريق أمر النبىّ صلى الله عليه و آله لكلّ المسلمين بتلك التفاصيل والتشريعات الخاصة، ومن أمثلة ذلك ما ورد فى روايات الفريقين من أن الصلوات كان فرضها من اللَّه تعالى ركعتين لكلّ صلاة وما زاد عليها فى كلّ صلاة كان من سنّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأمره وفرضه «۱» وهكذا بقيّة التفصيلات والتشريعات القانونية النبويّة ضمن الفرائض الإلهية، وكتب الحديث مليئة بالأوامر النبويّة فى مجمل الأبواب الفقهية وغيرها.

إذن فيكون الإتيان بالصلاة والزكاة والحجّ وغيرها طاعة لأمر اللَّه وأمر رسوله صلى الله عليه و آله، ولا تُستعلم طاعة اللَّه عزّ وجلّ من دون طاعة الرسول الأكرم فى أوامره ونواهيه، فهو صلى الله عليه و آله باب طاعته تعالى؛ لأنه هو الدالّ والمبيّن والناطق الرسمى عن أوامر اللَّه عزّ وجلّ ونواهيه.

وهذا ما كنّا نُعبّر عنه بتداعيات ومقتضيات الشهادة الثانية؛ إذ هى تستدعى الإتيان والالتزام بجملة الدين طاعة للَّه‌ورسوله.

وهذا ما تكاثرت ودلّت عليه جملة من الآيات القرآنية، كما فى قوله تعالى:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۵۷

«قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ» «۱».

وقوله تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» «۲».

ثم إن اللَّه عزّ وجلّ حذّر المسلمين من المخالفة لأوامر الرسول الأكرم، وبيّن فى آيات عديدة العواقب الوخيمة التى تترتب على مخالفة النبىّ صلى الله عليه و آله فى أوامره:

كما فى قوله تعالى: «لَاتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» «۳».

وكذا قوله تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا» «۴».

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ» «۵».

وقوله عزّ وجلّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ» «۶».

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى جاءت فى ضمن السلك العام والسنّة الإلهية الشاملة لطاعة الرسل كافّة، كما فى قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» «۷»

، ومن الجدير بالإلتفات أن تتمة هذه الآية المباركة هو قوله

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۵۸

عزّ وجلّ: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» «۱»

والتى سيأتى الاستدلال بها على شرطية التوسّل فى المقامات الثلاث المتقدّمة.

والحاصل: أن أوامر النبيّ صلى الله عليه و آله اقترنت بأوامر اللَّه وفرائضه فى مجمل أحكام الدين الإسلامى، وقد أكّدت الآيات القرآنية على وجوب اقتران طاعة اللَّه تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه و آله، وهذه طاعة عامّة كطاعة اللَّه عزّ وجلّ فى كلّ أبواب الدين برمّته بلا استثناء لأىّ جانب من جوانب الشريعة الإسلامية والدين الإسلامى، ومعنى ذلك أن نيّة القربة إلى اللَّه تعالى وطاعته فى جميع العبادات إنما تتحقّق بتوجّه العبد إلى ربّه بطاعة نبيّه، ففى كلّ عبادة إنما يتوجّه العبد إلى اللَّه تعالى للتقرّب إليه بطاعته وطاعة رسوله.

فذلكة صناعية لأخذ التوسّل فى نية القربة ...: ص: ۱۵۸

ولا شك أن حقيقة العبادات بالنيّة القربيّة، والنيّة القربيّة إنما تحصل بالسبب المؤدّى إلى القربة، والقربى غاية مسبّبة سببها الطاعة لأوامر للَّه‌تعالى، وطاعة اللَّه عزّ وجلّ لا تتحقّق إلّاإذا كانت مقترنة بطاعة رسوله صلى الله عليه و آله، إذ أن النيّة التى هى روح العبادة إنما تحصل بوسيلة وواسطة طاعة النبيّ، ومن لم ينوِ القربة بهذا النحو فى العبادة تكون عبادته شركاً باللَّه تعالى، لعدم التوجّه إلى اللَّه عزّ وجلّ بأبوابه التى أمر بتوسيطها وطاعتها وامتثال العبادات انقياداً لأوامرها.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۵۹

ومن يريد أن يفصل فى صلاته وحجّه وصومه طاعة اللَّه عن طاعة الرسول يكون على الوثنية الجاهلية التى يشنؤها اللَّه عزّ وجلّ وعبّر عنها فى قرآنه الكريم بالشرك والنجس، وطاعة كلّ من لم يأمر اللَّه بطاعته وثن من الأوثان، بل حتى صلاته تصبح وثناً إذا كانت صادرة عن طاعة غير من أمر اللَّه بطاعته، وإن كان ذلك المطاع هو الهوى وتحكيم سلطان الذات على سلطان اللَّه عزّ وجلّ، كما فى الوثنية القرشية التى ذمّها القرآن الكريم.

ومن ذلك يتّضح أن أى عبادة من العبادات أو قربة من القربات أو نيل مقام من المقامات القربية أو الفوز بحظوة عند اللَّه تعالى لا يمكن أن تتحقّق من دون توسيط طاعة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى تلك العبادة أو ذلك المقام.

ففى مقام التقرّب والنيّة والقصد جُعلت القبلة المعنوية طاعة النبيّ صلى الله عليه و آله والتدين بولايته والخضوع له، الذى هو خضوع للَّه‌عزّ وجلّ، كخضوع الملائكة لآدم لأنه باب اللَّه تعالى.

هذا كلّه فى مقتضيات الشهادة الثانية وضرورة اقترانها بالشهادة الأولى.

كذلك أكّدت الآيات القرآنية على ضرورة الشهادة الثالثة واقترانها بالشهادة الثانية تبعاً للشهادة الأولى.

والشهادة الثالثة عبارة عن طاعة أولى الأمر، الذين أمر اللَّه بطاعتهم فى قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» «۱»

، حيث قرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه و آله.

وقد بيّن اللَّه تبارك وتعالى فى قرآنه الكريم المراد من أولى الأمر الذين تجب

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۶۰

طاعتهم، بعد أن بيّن تعالى المقصود من الأمر الذى هم أولياؤه، وأنه أمر ملكوتى من عالم كن فيكون، كما فى قوله تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «۱»

، وقوله تعالى: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» «۲»

، وكذا قوله عزّ وجلّ: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» «۳»

، وقوله تعالى: «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» «۴»

، ثم أفصحت الآيات القرآنية عن كون الأمر عبارة عن تدبير السماوات والأرض، قال تعالى: «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» «۵».

إذن أولو الأمر هم الذين يتنزّل عليهم الأمر فى ليلة القدر وفيها يفرق كلّ أمر حكيم، قال تعالى: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» «۶»

، وقال عزّ وجلّ فى وصف ليلة القدر: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ* رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» «۷»

، ثم بيّن اللَّه عزّ وجلّ أن شريعة النبيّ الأكرم من ذلك الأمر الحكيم الذى يفرق فى ليلة القدر، حيث قال عزّ وجلّ مخاطباً نبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۶۱

مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ» «۱».

وقد صرّحت آيات أخرى بأن الأمر الملكوتى يتنزّل على عباد اللَّه من دون أن تخصّص من لهم الأمر بالأنبياء والرسل، قال عزّ وجلّ: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» «۲».

وحاصل ما ذكرناه من الآيات: أن الأمر من عالم الملكوت والغيب، وأنه مرتبط بتدبير السماوات والأرض وغير مختصّ بالشؤون الدنيوية المادّية، وأن الشرائع وهداية الناس وإنذارهم مرتبطة به، وأنه شامل لأولياء اللَّه الأصفياء المجتبين وليس خاصّاً بمقام النبوّة والرسالة، وذلك لارتباطه المباشر بمقام الهداية والإيصال إلى المطلوب وهو مقام الخلافة والإمامة كما تقدم؛ ولذا قال تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» «۳»

، والصبر واليقين للأئمة من أولى الأمر فى هذه الآية المباركة إشارة إلىالعصمة فى مقام العلم والعمل.

ولا- يوجد أولو أمر فى هذه الأمة بعد رسول اللَّه تجب طاعتهم غير أهل بيته صلى الله عليه و آله، الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ولا- يمكن اقتصار الأمر الإلهى على السياسة والأمور الاجتماعية، بل هو أمر ملكوتى من عالم الغيب لهداية الأمة وتدبير السماوات والأرض يتنزّل فى ليلة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۶۲

القدر على أولياء اللَّه وأصفيائه، وهؤلاء هم أوصياء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والأئمة من بعده الدالّون على أوامره والذين أوكل لهم البيان الشرعى والقانونى للأوامر الإلهية والنبويّة، فكما أن الدالّ على أوامر اللَّه ونواهيه هو النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله بأمره ونهيه، كذلك الدالّ على أوامر الرسول الأكرم ونواهيه أولو الأمر من بعده بأمرهم ونهيهم، فالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله أمر ونهى فى ضمن إطار الفرائض الإلهية، وأولو الأمر أيضاً يأمرون وينهون فى ضمن دائرة السنن النبويّة المباركة، بما يشبه الحالة التراتبية فى التنزّل القانونى الوضعى فى الأدوار والصلاحيات، فهم الدالّون على طاعة الرسول صلى الله عليه و آله كما كان هو دالّا على طاعة

ربّه.

وبعبارة أخرى: إن أصول تشريع اللَّه تعالى وفرائضه يتبعها تشريعات النبيّ صلى الله عليه و آله تفصيلًا وبياناً، ويتبعها تشريع أولى الأمر على نحو التنزّل القانونى، الذى هو الفتق بعد الرتق، والتفصيل بعد الإجمال، والبسط بعد القبض للتشريعات، وهذه لغة قانونية جعلها اللَّه تعالى جسراً لإيصال أحكامه على ما جرى عليه البشر، كالتشريع للفقه الدستورى ثم النيابى ثم الوزارى، على نحو التبعية بلا منافاة، وهذا برهان قانونى على التشريعات التى لابدّ من طاعتها، فالرتق يُفسَّر ويفتق فتقاً قانونياً تابعاً له.

ويتجلّى ذلك المعنى أكثر إذا علمنا أن معظم بيان تشريع الشرائط والموانع وتفاصيل الأجزاء هى من تشريعات أئمة أهل البيت عليهم السلام، فلا تستعلم تلك الأمور مع تركهم والإعراض عنهم وعدم الطاعة لأوامرهم.

إذن الطاعة فى الدين بطاعة اللَّه، وطاعة اللَّه بطاعة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأولى الأمر، فالوليّ بعد اللَّه تعالى رسوله صلى الله عليه و آله وبعد الرسول أولى الأمر، الذين لهم حقّ استنباط الدين وبيانه وتفصيله، قال تعالى: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۶۳

أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» «۱».

والذى يتّضح مما ذكرناه أن طاعة أولى الأمر على حدّ طاعة رسول اللَّه مقترنة بها وشاملة للدين كلّه، كما أن ولاية اللَّه تعالى وطاعته كذلك غير مختصّة ببعض الشؤون السياسية أو الاجتماعية.

فالإتيان بجميع العبادات والطقوس الدينية طاعة لأمر اللَّه وأمر رسوله وأولى الأمر من بعده وهم أهل بيته عليهم السلام، فالعبد ينقاد ويفد على اللَّه تعالى ويتقرّب ويتوجّه إليه بطاعة الرسول وطاعة أولى الأمر، وهذا يعنى أن الشهادة الثانية والثالثة مأخوذتان واسطتين فى حاقّ عبادة اللَّه تعالى بما فيها عبادة المعرفة، التى هى أعظم العبادات.

ومن ثمّ كان الدين عبارة عن ولاية اللَّه وولاية الرسول وولاية أولى الأمر والطاعة لهم، قال اللَّه تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» «۲».

والولاية والطاعة أصالة للَّهوبالتبع للنبيّ وأولى الأمر بإذن وأمر من اللَّه تعالى، كما أخضع اللَّه عزّ وجلّ ملائكته ومن خلق من الجنّ وغيرهم لوليّ اللَّه وخليفته آدم، بما هو النموذج والمصداق لخليفة اللَّه فى الأرض، فكلّ من يتسنّم مقام الخلافة الإلهية لابدّ من الإنقياد والخضوع والطاعة له.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۶۴

وحيث أن التوجّه والقربة والزلفى لا تحصل إلّابالطاعة للَّهوللرسول، كذلك لا تحصل إلّابطاعة أولى الأمر مقترنة مع طاعة اللَّه ورسوله، فلا يمكن قصد القربة فى العبادة ولا يحصل القرب إلى اللَّه تعالى فى العبادات إلّابالخضوع والطاعة لوليّ الأمر والإتيان بالعبادة امتثالًا لأمره، تبعاً لأمر اللَّه والرسول صلى الله عليه و آله، حيث يستعلم أمرهما بأمره.

واتّضح من ذلك البيان أيضاً أن جميع العبادات فرائض من اللَّه تعالى وسنّة من نبيّه ومنهاج وهدى من أهل بيته عليهم السلام وعلى جميع المستويات الاعتقادية والعبادية.

كذلك تبيّن أن من يعبد اللَّه من دون التوجّه بحجّة اللَّه ووليّه، بطاعته وامتثال أمره عمله هباء؛ إذ لا تتحقّق منه القربة لعدم الطاعة فى مقاماتها الثلاث وعدم ضمّ الشهادات الثلاث إلى بعضها البعض، فلا يُصار إلى التوجّه إلى اللَّه تعالى إلّا عن طريق آياته وبيّناته، وهم الوسيلة إليه فى المقامات الثلاث التى ذكرناها فى صدر البحث، بل فى الدين كلّه.

ولو كان إقحام اسم النبيّ صلى الله عليه و آله وذكره والتوجّه القلبى إليه وإلى أولى الأمر موجباً للشرك لَما قرن اللَّه تعالى طاعته بطاعتهم، فليس إنكار التوسّل والواسطة إلّا دعوة إلى التفريق بين اللَّه ورسوله وأولى الأمر، وفصل الشهادات الثلاث وبتر بعضها عن البعض الآخر، وهذه هى عبادة الشرك التى آمن بها إبليس، الذى أراد أن يفرّق بين طاعة اللَّه وطاعة خليفته، بخلاف الملائكة أهل

عبادة التوحيد الذين خضعوا للّه‌ولوليّه آدم عليه السلام.

ثم إن مورد هذه الآية وهى آية «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۶۵

مِنْكُمْ» «۱»

التى حكمت بوجوب الطاعة هو الدين كلّه، فكما أن طاعة اللّه عزّ وجلّ فى الدين كلّه، كذلك ما اقترن بها من طاعة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وأولى الأمر من أهل بيته عليهم السلام.

وما ورد من قوله تعالى: «إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً» لبيان أن محلّ بدن الخليفة هو الأرض، ولكن خلافته ليست خاصّة بالأرض، ومن ثمّ أطوع له جميع الملائكة فى جميع النشآت، والشاهد على ذلك أيضاً تقديم الجار والمجرور (فى الأرض) على الخليفة، فالدين الذى هو معرفة اللّه تعالى عامّ لا يستثنى منه أحد فى جميع النشآت، ومن ثمّ تكون جميع المخلوقات مكلّفة بالطاعة لأولى الأمر؛ ولذا أمر اللّه تعالى الملائكة بالسجود بما فيهم إبليس وهو من الجنّ، فخلافة وطاعة أولى الأمر وولايتهم لا تحدّ بالجنّ والإنس ولا- بأمر سياسى أو اجتماعى، والكلّ يبتغى إلى اللّه الوسيلة ويخضع لولى اللّه فى توجّهه إلى خالقه، والتوجّه إلى اللّه من دون التوجّه إليه بطاعة نبيّه ووليّه نجس وشرك ووثنيّة قرشية.

ونيّة القربة إذا لم تكن على هذا المنوال فى العبادة لا تقبل؛ لعدم تفتّح الأبواب بالآيات.

وبذلك كلّه يتمّ ما ذكرناه من شرطية التوسّل والتوجّه فى المقامات الثلاثة المتقدّمة، استناداً إلى وجوب الطاعة فى مراتبها الثلاث.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۶۶

الدليل الرابع: إقتران اسم النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته: بأعظم العبادات ...: ص: ۱۶۶

لقد رفع اللّه عزّ وجلّ ذكر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وقرنه باسمه فى مجمل العبادات، التى تقع فى مصافّ أسس الدين وأركان الإيمان، من حيث محوريتها فى المنظومة الدينية، ونشير فيما يلى إلى بعض تلك الشواهد فى هذا المجال:

الشاهد الأول: الإتيان باسم النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى تشهّد الصلاة، حيث إن الصلاة على النبىّ وأهل بيته راجحة بإجماع المسلمين «۱»، وهى شرط واجب فى الصلاة عند بعض المذاهب الإسلامية، كمذهب أهل البيت عليهم السلام «۲» وبعض فقهاء المذاهب الأخرى «۳»، تمسّكاً بما روته عائشة من الوجوب، حيث روت عن النبىّ صلى الله عليه و آله أنه قال: «لا- يقبل اللّه صلاة إلّابطهور والصلاة علىّ» «۴».

وقد بيّن النبىّ الأكرم الصلاة عليه عندما سُئل عن كيفيّتها، فقال: «قولوا: اللّهمّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد» «۵»

، كذلك يستحبّ الصلاة على النبىّ محمّد صلى الله عليه و آله وآله بعد القنوت فى الصلاة، جزم بذلك النووى تبعاً للغزالى فى المُهذّب ونسبه إلى الجمهور «۶».

ولا شك أن ذكر الصلاة على النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام نوع دعاء لهم وتحيّة وسلام، ونوع توجّه لهم بالمحيى والدعاء.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۶۷

وهذا يعنى أن المصلّى فى صلاته التى هى الركن الركين فى العبادات، والموجبة للعروج والقربان من اللّه تعالى، إن قبلت قبل ما سواها وإن رُدّت رُدّ ما سواها على النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام يتوجّه بالدعاء وإلقاء التحيّة والسلام، لكى تقبل صلاته وتوجب مزيداً من القرب إلى اللّه تعالى، فالصلاة التى هى من دعائم الدين مقرونة بالوسائط والأبواب الإلهية، لكى تكون صحيحة مقبولة عند اللّه تعالى أو موجبة لمزيد القرب منه، وإذا كانت الصلاة كذلك فكيف بباقى العبادات الأخرى؟!

ولو كان إقحام اسم النبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام فى الصلاة والتوجّه إليهم بالقلب موجباً للشرك لما كان الأمر فيها على هذه الحال، فالفرق بين صلاة المشركين وصلاة الموحّدين فى أن صلاة المشركين تفتقد لذكر النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فيها، بخلاف صلاة المسلمين، حيث يقرن فيها إسم النبيّ الأكرم إلى جانب ذكر اللّه تعالى.

وقد قرن وجوب أو استحباب بعض العبادات الأخرى غير الصلاة باستحباب الصلاة على النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، كاستحباب الصلاة على النبيّ صلى الله عليه و آله إذا فرغ الحاج من التلبية فى الحجّ «۱»، واستحباب الصلاة على النبيّ صلى الله عليه و آله عند ذبح الهدى أو الأضحية «۲»، وقد جعلت الصلاة على النبيّ صلى الله عليه و آله أحد أركان الخطبة فى صلاة الجمعة «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۶۸

كذلك من أركان صلاة الميّت الصلاة على النبيّ صلى الله عليه و آله وآله عليهم السلام «۱»، ويستحبّ أيضاً الصلاة على النبيّ وآله قبل الأذان والإقامة وبعدهما، كما نصّ على ذلك عبد العزيز الهندى نقلًا عن النووى فى شرح الوسيط- فى كتابه الفقهى فتح المعين «۲»، إلى غير ذلك من الموارد التى لا تحصى فى الفقه، والتى قرنت فيها جملة وافرة من العبادات باسم النبيّ المبارك صلى الله عليه و آله وأهل بيته الطاهرين، وليس ذلك إلّاتوجّه وتوسّل بهم عليهم السلام لقبول العبادة وحصول القرب من اللّه تعالى، ولفتح أبواب السماء لصعود العمل.

وهذا ما ورد النصّ عليه فى روايات عديدة ومتضافرة من طرقنا وطرق السنّة، حيث نصّت على أن الدعاء محجوب عن السماء ما لم يصلَّ على النبيّ وآله:

منها: ما ورد عن الإمام على عليه السلام قال: «الدعاء محجوب عن السماء حتى يُتبع بالصلاة على محمّد وآله» «۳».

ومنها: ما ورد عن أبى ذرّ عن النبيّ صلى الله عليه و آله قال: «لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلّى علىّ وعلى أهل بيتى» «۴».

ومنها: ما جاء عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «قال رسول

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۶۹

اللّه صلى الله عليه و آله: صلاتكم علىّ إجابة لدعائكم وزكاة لأعمالكم» «۱».

ومنها: ما ورد أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «إن رجلًا أتى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال: يارسول اللّه، إنى جعلت ثلث صلاتى لك، فقال له خيراً، فقال له:

يارسول اللّه إنى جعلت نصف صلاتى لك، فقال له: ذاك أفضل، فقال: إنى جعلت كلّ صلاتى لك، فقال: إذن يكفيك اللّه عزّ وجلّ ما أهمّك من أمر دنياك وآخرتك، فقال له رجل: أصلحك اللّه كيف يجعل صلاته له؟ فقال أبو عبداللّه عليه السلام: لا يسأل اللّه عزّ وجلّ إلّابدأ بالصلاة على محمّد وآله» «۲».

ومنها: ما رواه فضالة بن عبيد، حيث قال: (سمع رسول اللّه صلى الله عليه و آله رجلًا يدعو فى صلاته لم يمجّد اللّه تعالى ولم يصلِّ على النبيّ صلى الله عليه و آله، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«عجّل هذا»، ثم دعاه فقال له أو لغيره: «إذا صلّى أحدكم فليبدأ بتحميد ربّه عزّ وجلّ والثناء عليه، ثم يصلّى على النبيّ، ثم يدعو بعد بما شاء» «۳».

وعن ابن مسعود قال: (إذا أراد أحدكم أن يسأل فليبدأ بالمدحة والثناء على اللّه بما هو أهله، ثم ليصلِّ على النبيّ صلى الله عليه و آله، ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح) «۴»، قال الهيثمى فى زوائده: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح «۵».

ومنها: ما عن جابر بن عبداللّه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «لا تجعلونى كقدح

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۷۰

الراكب، فإن الراكب إذا أراد أن ينطلق علّق معالقه، وملأ قدح ماء، فإن كانت له حاجة فى أن يتوضّأ توضّأ، وأن يشرب شرب، وإلّا

أهراق، فاجعلونى فى وسط الدعاء وفى أوّله وفى آخره» «۱».

ومنها: ما أخرجه القاضى عياض عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «كلّ دعاء محجوب دون السماء، فإذا جاءت الصلاة علىّ صعد الدعاء» «۲».

ومن الروايات التى من طرقنا أيضاً ما فى موثقة السكونى عن أبى عبداللَّه عليه السلام قال: «من دعا ولم يذكر النبىّ صلى الله عليه و آله رفرف الدعاء على رأسه، فإذا ذكر النبىّ صلى الله عليه و آله رفع الدعاء» «۳».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إذا كانت لك إلى اللَّه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبىّ صلى الله عليه و آله ثم سل حاجتك، فإن اللَّه أكرم من أن يُسأل حاجتين فيقضى إحداهما ويمنع الأخرى» «۴».

كذلك عن أبى عبداللَّه عليه السلام قال: «إذا دعا أحدكم فليبدأ بالصلاة على النبىّ، فإن الصلاة على النبىّ مقبولة، ولم يكن اللَّه ليقبل بعض الدعاء ويردّ بعضاً» «۵».

وعن الإمام الحسن بن على العسكرى عن آبائه عليهم السلام عن النبىّ صلى الله عليه و آله قال: «إن اللَّه سبحانه يقول: عبادى من كانت له إليكم حاجة فسألكم بمن تحبّون أجبتم

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۷۱

دعاءه، ألا فاعلموا أن أحبّ عبادى إلىّ وأكرمهم لدىّ محمّد وعلىّ حبيبى ووليّ، فمن كانت له حاجة إلىّ فليتوسل إلىّ بهما، فإنى لا أردّ سؤال سائل يسألنى بهما وبالطيبين من عترتهما، فمن سألنى بهم فإنى لا أردّ دعاءه، وكيف أردّ دعاء من سألنى بحبيبى وصفوتى ووليّ وحجّتى وروحى ونورى وآيتى وبابى ورحمتى ووجهى ونعمتى؟ ألا- وإنى خلقتهم من نور عظمتى، وجعلتهم أهل كرامتى وولايتى، فمن سألنى بهم عارفاً بحقّهم ومقامهم أوجبت له منّى الاجابة، وكان ذلك حقّاً علىّ» «۱».

وهذه الروايات بمجموعها والأحكام التى سبقت للصلاة على النبىّ وآله فى الصلاة وغيرها من العبادة كاشفة عن اقتران اسم النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته الطاهرين بأعظم العبادات بل معظمها، وهذا يعنى أن اللَّه عزّ وجلّ جعل تلك الأسماء المباركة واسطة لفيضه وشرطاً حقيقياً للتوسل إليه فى التوبة وسائر العبادات القربية والمقامات الإلهية، وأن أبواب السماء مغلقة إلّاعن سبيلهم عليهم السلام وطريقهم، الذى نصبه اللَّه تعالى مناراً لعباده ومحجّة واضحة لخلقه.

هذا كلّه فى الشاهد الأوّل وهو اقتران الصلاة على النبىّ وأهل بيته بالصلاة وغيرها من العبادات.

الشاهد الثانى: وهو كذلك اقتران اسم النبىّ صلى الله عليه و آله المبارك بالصلاة، وذلك بالإتيان به فى جزء التسليم من الصلاة، وهو قول المصلّى: السلام عليك أيها النبىّ ورحمة اللَّه وبركاته، فإن التسليم الذى هو جزء من أجزاء الصلاة ولا تتمّ الصلاة إلّابإتمامه والفراغ منه جُعل شطر منه التسليم على النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۷۲

فقبل إتمام الصلاة وفى حاقّها يستحبّ للمصلّى أن يسلّم على نبىّ الإسلام باتفاق فرق المسلمين.

ولا شك أن هذا التسليم بالكيفية المذكورة نوع زيارة للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وخطاب ونداء عن قرب ب (أيها) وتوسّل واستغاثة وتوجّه إليه وبه إلى اللَّه عزّ وجلّ؛ وذلك لأن اللَّه تعالى عندما شرّع التسليم والتحيّة للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى الصلاة، التى شُرّعت لذكره عزّ وجلّ والتقرّب منه والعروج إليه، فإن ذلك يعنى أن ذكر النبىّ ذكر للَّه‌تعالى‌ونداءه نداء للبارى عزّ وجلّ، وليس ذلك إلّالكون النبىّ صلى الله عليه و آله الآية العظمى والوسيلة المحمودة بين اللَّه وبين خلقه فى الصلاة، التى هى من عظيم العبادات والقربات عند اللَّه تعالى.

إذن طبيعة الزيارة والنداء والندبة والاستغاثة والتوجّه بالنبىّ لنيل مقامات القرب فى الصلاة التى هى قربان كلّ تقى موجودة فى نفس الصلاة التى هى أكبر العبادات التوحيدية ويمارسها الفرد المسلم فى يومه عدّة مرّات.

والحاصل: إذا كانت الصلاة التى هى من دعائم الدين مقرونة بذكر النبيّ صلى الله عليه و آله لنيل مقامات القرب عند اللَّه تعالى فكيف هو الحال بباقى العبادات والقربات الأخرى فى الدين؟!

وعلى هذا كيف يقال: إن ذكر غير اللَّه تعالى فى التوجّه إليه عزّ وجلّ شرك؟!

وهل هذا إلّاطمس لمعالم الشهادة الثانية؟!

الشاهد الثالث: اقتران اسم النبيّ صلى الله عليه و آله باسم اللَّه عزّ وجلّ فى الأذان، الذى هو عبادة من العبادات، ويُعدّ بوابة للصلاة التى إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها، كذلك فى الإقامة، حيث أن الفرد المسلم كما يشهد أن لا إله إلّااللَّه

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۷۳

كذلك يشهد أن محمّداً رسول اللَّه، وليس ذلك إلّالكون إسم النبيّ صلى الله عليه و آله باب اللَّه الأعظم، وأن الصلاة التى هى الركن الركين فى العبادات ومعراج المؤمن إلى ربّه مفتاحها وباب الولوج إليها إسم النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله مقروناً باسم اللَّه تعالى.

ولو كان اسم النبيّ صلى الله عليه و آله وذكره والتوجّه القلبى إليه أثناء العبادة موجباً للشرك لما أمكن تشريع الأمر على هذا الحال، ولما أمر اللَّه عزّ وجلّ بالتوجّه إليه بنبيّه.

الشاهد الرابع: الهجرة التى هى من العبادات العظيمة عند اللَّه تعالى، وأكّدت عليها الآيات القرآنية فى مواطن عديدة، لا يمكن أن تحصل إلّابالهجرة إلى اللَّه ورسوله، فلكى تصحّ عبادة الهجرة لابدّ أن يتوجّه فيها إلى اللَّه وإلى رسوله صلى الله عليه و آله.

قال اللَّه عزّ وجلّ: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» «۱».

والذى يتحصّل من هذه الشواهد وغيرها أن إسم النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وكذا أهل بيته عليهم السلام إقترن باسم اللَّه تعالى فى أعظم العبادات كالصلاة والحجّ وغيرهما، هذا فضلًا عمّا دونها من العبادات، وهو اقتران واجب فى بعض موارده كما تقدّم فى الصلاة، ومعنى ذلك شرطية التوسّل والواسطة فى العبادات كما ادّعيناه فى بداية البحث.

وقد أحصى بعضهم فى هذا المجال جملة من المواطن العبادية التى تقرن باسم النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والصلاة عليه وعلى آله.

منها: فى التشهّد الأول والثانى فى الصلاة وآخر قنوت الصلاة وفى صلاة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۷۴

الجنائز وخطبة العيدين والجمعة والاستسقاء وبعد إجابة المؤذن وعند الإقامة وعند الدعاء وعند دخول المسجد وعند الخروج منه، وعلى الصفا والمروة وعند الفراغ من التلبية وعند استلام الحجر وعند الوقوف على قبره الشريف، وعقيب ختم القرآن الكريم، وعند الهمّ والشدائد وطلب المغفرة وعند تبليغ العلم، وعقب الذنب إذا أراد أن يكفّر عنه وبعد الفراغ من الوضوء وفى كلّ موطن يُجتمع فيه لذكر اللَّه، وعند طلب قضاء الحاجة وعقيب الصلوات فى سائر أجزاء الصلاة غير التشهّد، إلى غير ذلك من المواطن.

وقد ذكر أيضاً للصلاة على النبيّ صلى الله عليه و آله، فوائد كثيرة جدّاً، منها:

۱- أنها سبب لغفران الذنوب.

۲- أنها تُصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين.

۳- أنها سبب لشفاعته صلى الله عليه و آله.

۴- أنها سبب كفاية العبد ما أهمّه.

۵- أنها سبب لقرب العبد منه يوم القيامة.

۶- أنها سبب لقضاء الحوائج.

۷- أنها سبب لتبشير العبد قبل موته بالجنّة.

۸- أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

۹- أنها سبب لتذكّر العبد ما نسيه.

۱۰- أنها سبب لطيب المجلس.

۱۱- أنها سبب لنفى الفقر.

۱۲- أنها سبب لنفى البخل.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۷۵

۱۳- أنها ترمى صاحبها على طريق الجنّة وتخطى بتاركها عن طريقها.

۱۴- أنها تُنجى من نتن المجلس.

۱۵- أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط.

۱۶- أنه يخرج بها العبد من الجفاء.

۱۷- أنها سبب لابقاء اللّه سبحانه الثناء الحسن للمصلّى عليه بين أهل السماء والأرض.

۱۸- أنها سبب للبركة فى ذات المصلّى وعمله وعمره وأسباب مصالحه.

۱۹- أنها سبب لنيل رحمة اللّه له.

۲۰- أنها سبب لدوام محبته للرسول وزيادتها وتضاعفها.

۲۱- أنها سبب لمحبّته صلى الله عليه و آله للعبد.

۲۲- أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه.

۲۳- أنها سبب لعرض اسم المصلّى وذكره عنده، إلى غير ذلك من الفوائد والثمرات.

الدليل الخامس: ابتغاء الوسيلة ضرورة قرآنية ... ص: ۱۷۵

اشارة

إن حقيقة هذا الدليل الخامس عبارة عن مزيد إيضاح وتعميق ونظرة أدقّ لما تقدم من قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «۱».

وفى المقدّمة لابدّ من التنبيه على أن التدبر فى الآية الكريمة يفيد أن الابتغاء

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۷۶

المأمور به جعل متعلّقاً لكلّ من الوسيلة وذى الوسيلة وهو اللّه عزّ وجلّ.

فجعل الابتغاء والقصد والتوجّه إلى كلّ من الوسيلة والذات الإلهية المقدّسة، فكلّ منهما أُمرنا بقصده والتوجّه إليه، إلّاأن القصد والتوجّه إلى الوسيلة ابتداءً هو الذى يؤدّى وينتهى بنا إلى قصد اللّه تعالى، فالغاية القصوى هو اللّه عزّ وجلّ، إلّاأن الذى يقصد ابتداءً هو الوسيلة بداعى القصد إلى منتهى الغاية والأمل وهو اللّه تبارك وتعالى.

بل لعلّ التدبّر الأعمق والنظر الأدقّ فى الآية المباركة يكشف عن أن لفظ «وابتغوا» أُسند إلى الوسيلة فقط، وأن لفظ «إليه» مرتبط بالوسيلة، لا ب «ابتغوا»، أى أن الوسيلة هى إليه، فالابتغاء متوجّه إلى الوسيلة فقط، وصفة الوسيلة أنها إليه.

وبعبارة أخرى:

إن فعل «وابتغوا» عمل فى لفظ «الوسيلة» كمفعول به، وأما لفظ «إليه» فليس متعلّقاً ب «ابتغوا» وإنما الذى يعمل فى الجار والمجرور هو لفظ «الوسيلة»؛ إذ فيها معنى المصدر والحدث، وأن التوسّل والوسيلة هو إلى اللَّه تعالى، فالابتغاء من جهة التركيب الإعرابى يعمل فى الوسيلة فقط ويتعلّق بها، والوسيلة تتعلّق بلفظ إليه وتعمل فيه، وعليه فيكون الابتغاء والتوجّه والقصد بحسب ظاهر الدلالة متعلّقاً بالوسيلة، فهى التى يتوجّه إليها النداء والرجاء والخطاب، وحيث أن صفتها الذاتية أنها تؤدّى إلى اللَّه تعالى فيكون التوجّه إليها توجّهاً إلىاللَّه عزّ وجلّ ونداؤها نداءً بها إليه تعالى، وقصدها قصد بها إليه جلّ ثناؤه، كما فى التوجّه إلى الكعبة واستقبالها، فإنه توجّه بها إلى اللَّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۷۷

ومن ذلك يظهر أن مقتضى مفاد الآية هو أن الإلتجاء وتوجيه الخطاب إنما يكون إلى الوسيلة، كقول الداعى والمتوسل: يامحمّد يانبىّ الرحمة إنى أتوجّه بك إلى اللَّه ربى وربك لقضاء حاجتى، فيوجّه الخطاب والنداء إلى النبىّ صلى الله عليه و آله ويكون ذلك منه ابتغاءً للنبىّ صلى الله عليه و آله كوسيلة إلى اللَّه عزّ وجلّ، وإلّا فإن جعل الخطاب للَّهتعالى فقط من دون التوجّه إلى النبى صلى الله عليه و آله فى الخطاب كوسيلة، لا يكون ابتغاءً وطلباً وتوجهاً إلى الوسيلة، بل ابتغاء مباشرى للَّهتعالى من دون ابتغاء الوسيلة.

وعلى كلا البيانين لدلالة الآية الشريفة تكون الآية نصّ فى الدلالة على الأمر بالتوجّه والنداء ودعاء الوسيلة وأنه دعاء للَّهتعالى.

ثم إن صيغة الأمر فى الآية الكريمة يفيد ضرورة التوسّل بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

حيث أن هذه الآية المباركة ليست فى مقام بيان مشروعية التوسّل فحسب، بل الآية المباركة ترمى إلى بيان حتمية ولابدّية التوسّل، وأنه أمر تعيينىّ عينىّ، وذلك لأن المقصود من ابتغوا الوسيلة أى اقصدوها وتوجّهوا إليها فى مقام توجّهكم إلى اللَّه عزّ وجلّ، ومعنىّ (ابتغوا) أيضاً فى الآية المباركة أن هناك بُعداً بين العبد والبارى تعالى وأن هناك مسافة لابدّ أن تطوى بابتغاء الوسيلة والحضور عندها، ولو كان هناك قُرباً تلقائياً من طرف العبد إلى ربّه فلا- حاجة إلى الوسيلة حينئذٍ للإقتراب من اللَّه تعالى؛ لكونه تحصيلًا للحاصل ولا يكون معنى للوسيلة وابتغائها ولو بنحو التخيير أيضاً.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۷۸

قرب اللَّه وقرب العبد ...: ص: ۱۷۸

فالأمر بابتغاء الوسيلة وقصدها معناه أن هناك بُعداً بين العبد وبين اللَّه تعالى، وهو بُعد من جهة العبد فقط لا من طرف البارى عزّ وجلّ، لأن اللَّه تعالى قريب أقرب إلى العباد من حبل الوريد، كما قال تعالى ذكره: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» «۱»

، لكن العبد من طرفه يحتاج إلى الوسيلة لبُعده؛ لأن قرب اللَّه تعالى إلى العبد ليس قرباً جسمانياً جغرافياً، لكى يكون هناك تلازم تضايفى بين العبد وربه فى القرب والبُعد، وكذا ليس من نوع القرب العقلى أو الروحىّ ليحصل التجانس أو التماثل فى القرب؛ وذلك لما تقدّم من كون اللَّه تعالى منزّه عن التضايف والتقابل الجسمانى أو العقلى أو الروحى، لأنه تشبيه باطل مناف لعظمة ذات البارى تعالى.

إذن القرب الإلهى تجاه العبد قرب القدرة والسلطنة والهيمنة والإحاطة، فالمقتدر والمهيمن والمحيط كلّما كانت قدرته، وهيمنته وإحاطته أشدّ كلّما كان أقرب من المحاط به، وعلى العكس يكون الطرف المقابل الضعيف، فهو يزداد ضعفاً كلّما كان طرفه المقابل أشدّ قوة واقتداراً، كذلك كلّما ازداد المهيمن إحاطة ازداد الطرف الآخر مُحاطيّة وبُعداً عن أن يحيط بالمحيط، فالقوىّ قريب محيط والضعيف بعيد محاط، ويبعد كلّما ازداد القوىّ قوّة وهيمنة؛ لأن الضعيف حينئذٍ بعيد من حيث افتقاده للصفات والكمالات اللّامتناهية

شدّة وعدّة، التى للقوىّ المحيط.

والحاصل: إن هناك نمطاً من التعاكس فى القرب والبُعد، فطرف يكون قريباً

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۷۹

والآخر بعيداً، كلّما ازداد البارى قرباً وإحاطة من حيث الصفات كلّما ازداد المخلوق بعداً من طرفه بالنسبة إلى اللّه تعالى، وذلك من حيث التعاكس فى الصفات.

ومن ثمّ لابدّ من ابتغاء الوسيلة التى هى أشدّ كمالًا وأقرب إلى البارى تعالى، لكى يطوى المخلوق شيئاً من ذلك البُعد وينال درجة من درجات القرب برقيّه فى مدارج الكمال عن طريق الواسطة والوسيلة.

والوسيلة هى الأقرب إلى اللّه تعالى من حيث الكمالات، إذ كلّما تكامل المخلوق فى الصفات ازداد قربه من الحضرة الربوبية، وكلّما عظم المخلوق صفة وكمالًا كلّما كان أقرب من الخالق لازدياد علمه ومعرفته بصفاته تعالى والعلم درجة من درجات القرب والوصول، إذ طالما تجلّت فى المخلوق صفات الخالق أكثر عرف ذلك المخلوق بتلك الكمالات والصفات، صفات الخالق عزّ وجلّ؛ ولذا يكون أكمل المخلوقات أعرفهم بربّه وأقربهم منه وأكثر دلالة عليه وأشدّهم آية وعلامة ترشد إليه وتقرّب منه؛ لأن ما يتجلّى فيه من بديع الكمالات آيات لكمال البارى عزّ وجلّ، على العكس من ذلك ما لو قلّت فى المخلوق الكمالات، فإنه تقلّ فيه الآيات الدالّة على عظمة اللّه تعالى وقلّت بالطبع معرفته.

ومن هنا كان المخلوق الذى يتّسم بالضعف والفقر والحاجة والبعد عن اللّه تعالى بحاجة إلى الوسيلة، التى هى أقرب صفة وكمالًا من اللّه عزّ وجلّ، كى تكون سبباً يقرّبه إلى ربّه.

فالوسيلة والوسائط هى أعاظم المخلوقات، وهى آيات اللّه وأسمائه

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۸۰

وعلاماته الدالّة عليه، والتى يستدلّ الخلق بعظمتها على عظمة البارى، فتزداد المعرفة ويحصل القرب بنيل الكمالات.

ولا شك أن الخطاب الوارد فى الآية المباركة الكاشف عن ضرورة الوسيلة بالبيان المتقدم عامّ وشامل للتوبة ومطلق العبادات وللمعرفة والإيمان أو التوجّه إلى الحضرة الإلهية لنيل مقام أو حظوة عند اللّه تعالى.

الوسيلة معنى الشفاعة ...: ص: ۱۸۰

فللعلاقة بين العبد وربّه ولقطع مسافة البُعد لابدّ من الوسيلة، سواء فى المعرفة والإيمان أو فى قبول التوبة أو العبادات أو نيل المقامات، وقد أُطلق عن مثل هذا المقام فى لسان الشارع بالشفاعة؛ لأن الشفع فى الأصل بمعنى الزوج والاقتران، وهو فى المقام اقتران الذات الربوبية بالآيات والأسماء الإلهية.

ثم إنه سبق أن الآيات العظمى والكلمات التامّات هم النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، وقد وصف اللّه تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه و آله بالعظمة، وذلك فى قوله تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» «۱»

، فهم عليهم السلام الأسماء الحسنى التى أمر اللّه أن يُدعى بها وتاب بها على آدم وامتحن بها إبراهيم عليه السلام لنيل مقام الخلافة والإمامة، وهذا البيان الذى ذكرناه، من ضرورة الواسطة والوسيلة لعظمة اللّه تعالى هدى إليه أمير المؤمنين عليه السلام عند بيانه لقوله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۸۱

مَحْذُورًا» «۱».

حيث بيّن أمير المؤمنين عليه السلام ضرورة الوسيلة، وأن اشتباه وخطأ المشركين إنما هو فى اتخاذهم وسيلة اقتراحية غير مأذون بها، حيث طبّقوا الوسيلة الأعظم كمالًا على غير المصداق والفرد الحقيقى لها، فذمّهم اللَّه عزّ وجلّ على ذلك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام فى هذا المجال: «فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من فى السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة، بالأعمال المختلفة والأديان المشتبهة، فكلّ محمول يحمله اللَّه بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً» «۲»

.فإن الأعمال المختلفة والأديان المشتبهة ناتج اتخاذ الخلق الوسيلة إلى اللَّه تعالى، بسبب عظمته ونوره وتعاليه عزّوجلّ.

ومن ذلك كلّه يتّضح أن من ينكر التوسّل أسوء حالًا من قريش، التى آمنت بالوسيلة وأخطأت المصداق، حيث جعلوا وسائط باقتراحهم من غير سلطان أتاهم؛ لشعورهم بالفطرة التى خلقهم اللَّه عليها بعظمته تعالى عن أن ينال أو يدرك بلا واسطة.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۸۲

ترامى الوسائل وتعاقبها ...: ص: ۱۸۲

ثم إن الآيات الكبرى تتفاوت فيما بينها، فأهل البيت عليهم السلام شفيعهم ووسيطهم إلى اللَّه تعالى النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى نيل المقامات، وبالنسبة للنبيّ ذاته فهو بذاته آية وعلامة عظمى على صفات اللَّه تعالى، فتكون نفسه من حيث هى مخلوقة وفعل للَّه‌تعالى وسيلة لنفسه، نظير ما ورد فى الروايات: (خلق اللَّه المشيّة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيّة) «۱».

فالنبيّ صلى الله عليه و آله مرآة الكمالات والصفات الإلهية له ولغيره فى جميع جهات الإرتباط باللَّه تعالى كقبول التوبة أو بقيّة العبادات أو مطلق نيل مقامات القرب من اللَّه عزّ وجلّ فهو صلى الله عليه و آله أمينه على وحيه وعزائم أمره.

الدليل السادس: شرطية الاستجارة بالنبيّ صلى الله عليه و آله فى طلب المغفرة ... ص: ۱۸۲

هنا أيضاً نريد التعرّض لبيان أدقّ وأعمق ودالّ على المطلوب فى المقام لقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» «۲».

لقد نصّت هذه الآية المباركة على ثلاثة شروط لقبول التوبة والاستغفار من هذه الأمة، وهى:

۱- المجيء إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

۲- ابراز الاستغفار من اللَّه عزّ وجلّ.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۸۳

۳- امضاء النبيّ صلى الله عليه و آله لذلك الاستغفار، واستغفاره للتائبين.

فهذه الآية من ضمن مجموع الآيات التى تعرّضت لذكر شرائط التوبة، وأوّل شرط لقبول توبة المذنب والظالم لنفسه ليس إظهار الندامة من العبد أمام اللَّه تعالى مباشرة، بل الشرط الأوّل هو المجيء إلى الحضرة النبويّة والالتجاء إليه، واللّواذ والاستعاذة والاستجارة به صلى الله عليه و آله، فأولًا لابدّ أن يأتى العبد إلى النبيّ صلى الله عليه و آله ويلوذ به، ثم بعد ذلك يُظهر الندامة والاستغفار؛ إذ الترتيب للشروط فى الآية المباركة ترتيب رتبى ترتيبى، حيث أخذت المراتب بعين الاعتبار، لا أنه ذكرى فقط بقرينة العطف بالفاء.

والمجيء إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله هو عين التوجّه إليه والتوسّل به فى قبول التوبة.

وهذه الآية كشفت النقاب عن شرطية التوسّل بالنبيّ صلى الله عليه و آله فى أكبر خطر مصيرىّ يُحدق بالإنسان وهو الذنب والمعصية، التى قد تؤدّى بالعبد إلى الهلاك والسقوط فى الهاوية، فى مثل هذا الأمر الخطير جعل اللَّه تعالى الملاذ والملجأ هو النبيّ صلى الله

علیه و آله، فلابدّ من الکینونة فی الحضرة النبویة ثم إظهار عبادة الاستغفار، لأنه صلی الله علیه و آله باب اللّه تعالی الذی منه یؤتی، فیکون اللّواذ باللّه عزّ وجلّ باللّواذ بنبیّه الأکرم صلی الله علیه و آله؛ ولذا بعد الاستجارة بالنبیّ صلی الله علیه و آله قال تعالی: «لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِیمًا».

إذن الاستعاذة والاستجارة واللجوء إلی اللّه بنبیّه أُخذ شرطاً فی أخطر موقف للعبد مع ربّه وهو التوبة وغفران الذنوب.

ومن الواضح أیضاً أن الظلم المذکور فی الآیة المبارکة لیس مختصّاً بالذنوب

الامامة الالهیة(۵)، ج۴، ص: ۱۸۴

الفردیة التی بین العبد وربّه، وإنما هو شامل للظلم الاجتماعی السیاسی أو النظام الاقتصادی المعاشی أو التعدّی علی المنظومة الحقوقیة والأخلاقیّة، ومعنی ذلک أن استعلام ومعرفة تلک الأمور الفردیة والاجتماعیة لا یمکن أن یتحقّق إلّاعن طریق الإلتجاء واللّواذ بالنبیّ صلی الله علیه و آله، فکلّ حیف أو زیغ یحصل من الفرد أو المجتمع فی تلک الأمور لابدّ من الرجوع فیها إلی الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله، وفی مقابل تعدّد أنواع الظلم یتعدّد أنواع اللجوء والتولّی والتوجّه للنبی صلی الله علیه و آله.

ثم إن ذکر التوبة والاستغفار فی الآیة المبارکة لا لخصوصیة فیها، وإنما ذکرت بما هی عبادة من العبادات، لکونها أوبة ورجوع إلی اللّه تعالی واقتراب منه وقصد وتوجّه إلیه، فلیست الآیة فی ذکرها لشرطیة التوسّل بالنبیّ صلی الله علیه و آله خاصّیة بالتوبة، بل هی شاملة فی ذلک لکلّ العبادات.

خصوصاً وأن التوبة هی الأوبة، من آب یؤوب، والأوبة الرجوع إلی اللّه تعالی، أی الاقتراب والزلفی منه عزّوجلّ، ولاـ شک أن العبادات بمجموعها طلب الأوبة والقرب والزلفی إلی اللّه تعالی، فهی نوع من أنواع التوبة، وبناءً علی ذلک لا تکون التوبة عملًا منحازاً ومنفصلًا عن سائر العبادات کالصلاة والحجّ وغیرهما، بل هی عمل عام وشامل لکافّة العبادات.

کذلک التوبة نوع من أنواع الدعاء، لأنها طلب المغفرة من اللّه تعالی ودعاء بالغفران، فمضمون هذه الآیة المبارکة مشترک مع ما تقدم من الروایات الدالّة علی أن الدعاء وطلب العبد القرب من اللّه تعالی لا یرتفع إلی السماء ولا تُفتّح له الأبواب ما لم یقترن بذکر النبیّ صلی الله علیه و آله بالصلاة علی محمّد وآل محمّد، وإذا کان کذلک فإن الدعاء وطلب القرب من اللّه عزّ وجلّ شامل للمقامات الثلاث التی

الامامة الالهیة(۵)، ج۴، ص: ۱۸۵

ذُکرت فی صدر البحث، وهو قبول التوبة والعبادة ونیل مقامات القرب، وهو لا یقبل إلّابااللّواذ بالنبیّ صلی الله علیه و آله والتوجّه إلیه والاستعاذة والاستجارة والتوسّل به، بالمجیء فی حضرته المبارکة.

وهذه الآیة الکریمة الدالّة علی شرطیة التوجّه التوسّل وضرورته فی جمیع المقامات لیست خاصّة بحیاة النبیّ صلی الله علیه و آله؛ إذ لیس المراد من المجیء الحضور الفیزیائی لبدن المذنب عند النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله فقط، بل المجیء الفیزیائی والبدنی المکانی أحد المصادیق المقصودة فی الآیة المبارکة، والتعبیر بالمجیء کنائی، یراد به مطلق الاستغاثة والتوسّل والتوجّه القلبی إلی النبیّ صلی الله علیه و آله، والشواهد علی ذلک عدیدة، منها:

۱- إن هذه الآیة المبارکة جاءت لبیان ماهیة التوبة وشرائطها العامة، التی یشترک فیها کافّة المسلمین وفی جمیع الأزمنة، فلا یمکن أن تکون مختصّة بالفترة التی عاشها النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أو بمن زامن وعایش تلک الفترة، فالمراد من المجی مطلق الارتباط بالنبیّ صلی الله علیه و آله، بالتوجّه إلیه والکینونة فی حضرته المبارکة، ثم الاتیان بعبادة الاستغفار، وهذا المضمون متطابق مع مفاد قوله تعالی: «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِیمَ مُصَلًّی»، إذ معنی ذلک أن حضرة الأنبیاء ومحضرهم مشاعر شعّرها اللّه تعالی لیتقرّب بها إلیه.

ویتّضح هذا الشاهد أکثر إذا علمنا أن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله بُعث رحمة للعالمین، وهذه من الرحمات العامة للنبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله علی هذه الأمة، وغیر مختصّة بمن حضر الحضور الفیزیائی البدنی عند النبیّ صلی الله علیه و آله.

۲- إن نفس التعبير بقوله تعالى «جَاءُوكَ» يتضمّن معنى اللّواذ واللجوء

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۸۶

والاستغاثة والتوسّل والتوجّه القلبى، وليس فيه دلالة على الاختصاص بالحضور الجسمانى.

۳- استغفار آدم عليه السلام وتوبته أيضاً كما مرّ- كانت بالمجيء للنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، ولكن كان مجيئه إليه فى أفق القلب والقصد، فقد ورد فى روايات الفريقين أن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «لما اقترف آدم الخطيئة، قال: ياربّ أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لى، فقال: ياآدم وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: ياربّ لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلّااللَّه محمّد رسول اللَّه، فعلمت أنك لم تُضف إلى اسمك إلّاأحبّ الخلق إليك، فقال: صدقت ياآدم إنه لأحبّ الخلق إلىّ، ادعنى بحقّه فقد غفرت لك، ولولا محمّد ما خلقتك» «۱»

وغيرها من الروايات الدالّة على أن مجيء آدم إلى النبيّ صلى الله عليه و آله ولواذه به كان بالتوجّه القلبى به إلى اللَّه تعالى.

وفى هذه الرواية الأخيرة التى نقلناها إشارة أخرى إلى اقتران اسم النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله باسم اللَّه عزّ وجلّ فى أعظم عبادة وأشرف كلمة فى الإسلام، وهى كلمة التوحيد.

۴- إن المسلمين فى سيرتهم منذ الصدر الأول فهموا من هذه الرواية الشمول والعموم وعدم الاختصاص بالفترة الزمنية التى عاشها النبيّ صلى الله عليه و آله، وهذا دليل على عموم المعنى المستعمل فى ارتكاز أبناء اللغة، ولذا كانوا يتوجّهون إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى طلب المغفرة ويأمرون الآخرين بذلك حتى بعد وفاة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، والشواهد الروائية والتاريخية على ذلك كثيرة جدّاً:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۸۷

منها: ما أخرجه النووى عن العتبى قال: «كنت جالساً عند قبر النبيّ صلى الله عليه و آله فجاء أعرابى، فقال: السلام عليك يارسول اللَّه، سمعت اللَّه تعالى يقول: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» «۱»

وقد جئتك مستغفراً من ذنبى مستشفعاً بك إلى ربّى، ثم أنشأ يقول:

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال: ثم انصرف، فحملتنى عيناى فرأيت النبيّ صلى الله عليه و آله فى النوم، فقال لى:

ياعتبى، إلحق الأعرابى فبشّره بأن اللَّه تعالى قد غفر له» «۲».

ومنها: ما أخرجه السيوطى عن أبى حرب الهلالىّ قال: (حجّ أعرابى، فلما جاء إلى باب مسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أناخ راحلته فعقلها، ثم دخل المسجد حتى دخل القبر ووقف بحذاء وجه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال: بأبى أنت وأمى يارسول اللَّه، جئتك مثقلًا بالذنوب والخطايا مستشفعاً بك على ربّك، لأنه قال فى محكم كتابه: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» «۳»

وقد جئتك بأبى أنت وأمى مثقلًا بالذنوب والخطايا استشفع بك على اللَّه ربّك أن يغفر لى ذنوبى وأن يشفع فىّ) «۴».

ومنها: ما روى عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام أنه قال: «قدم علينا أعرابى بعد ما دفنّا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبيّ صلى الله عليه و آله

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۸۸

وحثا من ترابه على رأسه، وقال: يارسول اللَّه قلت فسمعنا قولك ووعيت عن اللَّه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل اللَّه عليك: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» «۱»

وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى، فنودى من القبر أنه غفر لك» «۲»

، إلى غير ذلك من الشواهد.

۵- إن القرآن الكريم قد دلّ على حياة النبى صلى الله عليه و آله عند ربّه، كما قال تعالى:

«وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» «۳»

بل وكذا قوله تعالى: «يَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ» «۴»

وغيرها من عشرات الآيات الدالّة على أن النبى صلى الله عليه و آله يرى ويشهد على جميع أعمال العباد إلى يوما لقيامة، فهو حىّ عند ربّه، كيف لا- وقد دلّ القرآن على حياة الشهداء فى قوله تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» «۵»

، وقد اتّفقت روايات الفريقين المتواترة أيضاً الدالّة على حياة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، منها ما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «إن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال:

حيثما كنتم فصلّوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى» «۶».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۸۹

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلّون» قال الهيثمى: رواه أبو يعلى والبزاز ورجال أبى يعلى ثقات «۱».

وقد نقل السقّاف فى كتابه الاغاثة جملة من الروايات وكلمات علماء السنّة التى ادّعى فيها الاجماع والتواتر والعلم القطعى بحياة النبىّ الأكرم فراجع «۲».

وإذا ثبت ذلك ثبت عموم الآية المباركة بالرجوع إلى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والاستغاثة به.

۶- آيات وروايات عرض الأعمال على الرسول صلى الله عليه و آله، كما فى قوله تعالى:

«قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» «۳»

وهذه الآية متطابقة ومتشاهدة مع آية «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ»، ... وأما الروايات فى هذا المجال فهى كثيرة جدّاً:

منها: ما عن أبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام قال: «تعرض الأعمال على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كلّ صباح أبرارها وفجّارها فاحذروها» «۴».

ومنها: ما عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: «إن الأعمال تعرض على نبيكم كلّ عشية خميس، فليستحى أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح» «۵».

منها: ما ورد عن عبداللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «حياتى خير لكم

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۹۰

تحدّثون وتحدّث لكم، ووفاتى خير لكم تعرض علىّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت اللَّه عليه، وما رأيت من شرّ استغفرت لكم»، قال الهيثمى: رواه البزاز ورجاله رجال الصحيح «۱».

وهذه الرواية وغيرها منسجمة المضمون مع الشرط الثالث فى الآية التى هى محلّ البحث، حيث جاء فيها «وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ»، فالتائب والمستغفر يتوجّه إلى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ويعرض استغفاره عنده لكى يستغفر له الرسول صلى الله عليه و آله ويشفع له عند اللَّه تعالى فى قبول توبته، فعبادات الأمة لابدّ أن يشفع النبىّ صلى الله عليه و آله عند ربّه فى قبولها، وهو المضمون والغرض والحكمة من عرض الأعمال وأن قبولها مشروط بإمضاء النبىّ صلى الله عليه و آله وشفاعته، فكما أن آيات وروايات عرض الأعمال ذكرت أن سبب العرض هو أن يستغفر النبىّ صلى الله عليه و آله لأمته، كذلك فى الآية المباركة إنما يعرض العبد استغفاره

فى الحضرة النبويّة لكى يستغفر له، وإذا كانت آيات وروايات العرض عامة لحال الحياة وبعد الممات فكذلك الآية المباركة.

وهذا الذى ذكرناه أخيراً هو الشرط الثالث فى الآية المباركة وهو استغفار النبىّ صلى الله عليه و آله للمذنب الظالم لنفسه.

۷- أن الأحكام فى الآيات التى أخذ فيها الحكم مرتبطاً بالرسول صلى الله عليه و آله فى الآيات الكثيرة كلّها لا تختص بحياة الرسول صلى الله عليه و آله كما فى قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» «۲»

وقوله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۹۱

الرَّسُولَ» «۱»

وقوله تعالى: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» «۲»

وقوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» «۳»

وغيرها من الآيات، فإنه لو توهم اختصاصها بحياته صلى الله عليه و آله الدنيوية لعُطّل العمل بهذه الآيات، وتقوّضت أركان الدين.

والذى يتحصّل من الآية: أن المجيء إلى النبىّ صلى الله عليه و آله والتوجّه إليه شرط فى قبول التوبة، بل كافّة العبادات ومطلق المقامات القربية عند اللّه تعالى.

كما يستفاد من الآية المباركة أيضاً أن التوسّل والتوجّه أمر تعيينى ضرورى لابدّ منه، وليس هو أمراً تخييرياً بيد العبد فعله أو تركه.

واتضح أن التوجّه للنبىّ صلى الله عليه و آله فى تلك المقامات ليس خاصّاً بالتوجّه الفيزيائى البدنى، بل شامل للتوجّه القلبى أيضاً.

ثم إن المجيء إلى النبىّ والتوسّل به بمعنى الارتباط به والإنتماء إليه بكلّ أنحاء الانتماء، كانتماء المواطنة والانتماء الأُسرى والوظيفى والتنظيمى، وغيرها من أنحاء الانتماء إلى الرسالة الخاتمة والحاكمية الإلهية المتمثّلة بالنبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام.

كذلك لابدّ أن يعلم أن الآية الخاصّة فى المقام غير مختصّة بالرسول الأعظم صلى الله عليه و آله، بل هى سنّة إلهيّة جارية فى النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام فالآية عامة؛ ولذا نصّت على هذا العموم آية عرض الأعمال، حيث شملت الذين آمنوا وهم أولوا الأمر من أهل بيت النبىّ صلى الله عليه و آله، كما نصّ على ذلك قوله تعالى: «هُوَ اجْتَبَاكُمْ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۹۲

وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» «۱»

إذ هم الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل المجتباة الذين بعث فيهم النبى صلى الله عليه و آله وجعلهم اللّه شهداء على الناس وأعمالهم وعقائدهم، ويدلّ على العموم أيضاً الآيات المتقدّمة التى نصّت على وجوب المجيء إلى إبراهيم فى الحجّ ووجوب الصلاة عند مصلّاه وهوىّ القلوب إلى ذرّيته، وسيأتى من الآيات ما يدلّ على العموم أيضاً.

إذن التوجّه إلى النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام فى التوبة والعبادة ونيل المقامات شرط ومشارطة إلهية لابدّ من توفّرها لنيل ما يبتغيه العبد.

الدليل السابع: التوسّل بالرسول صلى الله عليه و آله ميثاق الأنبياء ... ص: ۱۹۲

اشارة

قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ

أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «۲»

، فالميثاق المذكور فى هذه الآية المباركة معناه أن هناك تعاقداً بين اللَّه تعالى والأنبياء عليهم السلام، والطرفان اللذان وقع عليهم الميثاق والتعاقد هما النبوّة والمقامات الغيبة التى أعطاها اللَّه تعالى للأنبياء فى مقابل أمر مهمّ وخطير لابدّ أن يؤمنوا به، وهو قوله تعالى: «ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ» فالمقامات الإلهية والمنح

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۹۳

الربّانية إنما تعطى للأنبياء بشرط الإيمان بخاتمهم ونصرته، ولا شك أن الذى يكون ناصراً إنما هو تابع للمنصور والمنصور قائد له، فالأنبياء كلّهم مأمومون والرسول الأكرم إمامهم، والأنبياء سبقوا الناس بالإصطفاء الإلهى الخاصّ وحُبوا بالنبوّة والرسالة والمقامات الغيبيّة بتوسّط إيمانهم بولاية النبىّ صلى الله عليه و آله وتعهّدهم بنصرته ومؤازرته، وهم أسبق الناس شيعة وإسلاماً لخاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله.

الأنبياء على دين النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ...: ص: ۱۹۳

ومن ثمّ فإن هذه الآية المباركة تدلّل على أن دين الأنبياء بعد الايمان باللَّه عزّ وجلّ هو الإيمان بخاتم الأنبياء ومشايعته ومؤازرته، فالأنبياء كانوا على دين النبىّ محمّد صلى الله عليه و آله وهو الإسلام، بيان ذلك:

إن قوله تعالى فى الآية المباركة «مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ» معناه أن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ليس تابعاً للأنبياء، بل تابع للوحى الإلهى جملة، الذى هو فعل اللَّه تعالى؛ ولذا لم يأمر اللَّه عزّ وجلّ نبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله بالاقتداء بالأنبياء وإنما بالهدى الذى هم عليه، قال اللَّه تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ» «۱».

فالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ليس على هدى نبىّ من الأنبياء وليس هو تابعاً لأحد من الرسل، بل هو على هدى اللَّه عزّ وجلّ، وهو أوّل المسلمين، والفاتح الأول للهدى الإلهى والدين الاسلامى الواحد هو خاتم الأنبياء، ولم يُعبَّر عن نبىّ من الأنبياء فى القرآن الكريم بأنه أوّل المسليمن على الاطلاق سوى النبىّ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۹۴

محمّد صلى الله عليه و آله، وذلك فى قوله تعالى: «قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ» «۱»

وقوله تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاى وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَاشَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» «۲»

وقوله تعالى: «قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ* وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ» «۳»

، وأما سائر الأنبياء فقد عُبّر عنهم فى القرآن الكريم بأنهم من المسلمين، بما فيهم أنبياء أولى العزم، فقد حكى اللَّه عزّ وجلّ على لسان نوح قوله:

«فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» «۴»

ولم يُعبَّر عنه بأنه أوّل المسلمين، ولا شك أن الدين عند اللَّه عزّ وجلّ واحد، قال تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» «۵»

، ولا يتقبّل من مخلوق من المخلوقات غير الاسلام، قال تعالى: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» «۶»

، فالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أوّل المسلمين وأوّل من نطق بميثاق التوحيد والتسليم للَّه‌عزّ وجلّ، فكان هو أفضل الأنبياء وهو الإمام المتبوع وهم المأمومون التابعون له فى الدين الاسلامى، فضلًا عن غيرهم من المخلوقين، ولذا ورد فى الحديث عن أبى عبد اللَّه عليه السلام: «أن بعض قريش قال لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۹۵

بأى شىء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إنى كنت أوّل من آمن بربّى وأوّل من أجاب حين أخذ اللَّه ميثاق النبيين «وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى» فكنت أنا أوّل نبىّ قال بلى، فسبقتهم بالإقرار باللَّه» «۱».

وفى الحديث أيضاً عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى حديثه لأصحابه قال: «فأخذ لى العهد والميثاق على جميع النبيين، وهو قوله الذى أكرمنى به جلّ من قائل: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «۲»

وقد علمتهم أن الميثاق أخذ لى على جميع النبيّين، وأنا الرسول الذى ختم اللَّه بى الرسل، وهو قوله تعالى: «رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» «۳»

فكنت واللَّه قبلهم وبعثت بعدهم وأعطيت ما أعطوا وزادنى ربّى من فضله ما لم يعطه لأحد من خلقه غيرى، فمن ذلك إنه أخذ لى الميثاق على سائر النبيّين ولم يأخذ ميثاقى لأحد، ومن ذلك ما نَبَّأ نبيّاً ولا- أرسل رسولًا إلّاأمره بالإقرار بى وأن يبشّر أمته بمبعثى ورسالتى» «۴».

اذن فالدين دين محمّد صلى الله عليه و آله وهو فاتح ذلك الصرح العظيم، وإن كانت الفطرة والملّة ملّة إبراهيم عليه السلام وهى غير الدين، وكذلك للأنبياء شرائع ومناهج مختلفة وهى غير الدين أيضاً، وإنما هى تفصيلات وتنزّلات كلّيات ذلك الدين الحنيف وهو الإسلام، ولذا جاء فى دعاء التوجّه فى الصلاة:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۹۶

«وجّهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً على ملّة إبراهيم ودين محمّد صلى الله عليه و آله وهدى على أمير المؤمنين عليه السلام وما أنا من المشركين» «۱».

إذن الإسلام دين النبىّ والأنبياء على دينه ومن شيعته، ولذا فُسّر قوله تعالى:

«وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ» «۲»

بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأن إبراهيم من شيعته وعلى دينه الحنيف، حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قوله عزّ وجلّ: «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ» أى إن إبراهيم عليه السلام من شيعة النبىّ صلى الله عليه و آله» «۳»

وقد اختار هذا القول الكلبى وابن السائب والفرّاء «۴».

فالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ليس تابعاً للأنبياء بل على العكس، فهو على الهدى الذى هو هدى اللَّه تعالى، ومصدّق لما مع الأنبياء، أى شاهد على ما هم عليه من دينه الحنيف وبإمضائه يُصدّق ما هم عليه، أما الأنبياء فهم يؤمنون بخاتم الأنبياء «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ» لا أنهم يؤمنون بما معه، فإيمانهم بذات النبىّ صلى الله عليه و آله، فهو صلى الله عليه و آله شاهد مطّلع مصدّق على ما عندهم، وأما هم فيؤمنون به، وهذا يعنى أنه لا يوجد فى مقامات الأنبياء ودرجاتهم عند اللَّه تعالى ما هو غيب عن النبىّ صلى الله عليه و آله، وأما الذى يؤمن بذات النبىّ صلى الله عليه و آله وهم سائر الأنبياء عليهم السلام فهو يؤمن بأمر غيبىّ، فمقام النبىّ صلى الله عليه و آله بالنسبة إلى باقى الأنبياء غيب الغيوب، وأما مقامات سائر الأنبياء فالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله مطّلع عليها ويعلمها ويشهد لهم على صدقها، والأنبياء فى أصل نيلهم لمقام النبوّة إنما استأهلوه بعد أن آمنوا بخاتم الأنبياء قبل سائر

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۹۷

الأرواح فى عالم الأرواح وشرطوا على أنفسهم نصرته، ولذا فإن النبىّ صلى الله عليه و آله شفيع الكلّ، والأنبياء لم ينالوا ما نالوا إلّابالديانة لخاتم الأنبياء، فهو الشفيع لقبول الأعمال، وهو باب رحمة اللَّه العامّة «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» «۱».

ومن ذلك كلّه يتّضح أن هذه الآية المباركة نصّ فى المقام الثالث، وأن التوجّه إلى اللَّه لنيل أى مقام أو قربى أو زلفى لا- يتمّ

إلّابالتوسل بالنبيّ صلى الله عليه و آله والتشفّع به، وبالتشفّع به يعطى للعبد أعظم الأرزاق وهو النبوّة والكتاب والحكمة، فكيف بك بسائر الأرزاق الأخرى، التى لا تقاس بمقامات الأنبياء.

ثم إن الآية الكريمة رسمت خطورة الأمر فى ضمن تأكيدات مغلّظة، حيث جاء فيها قوله تعالى: «أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى» وبعد أن تم الإقرار والمعاهدة والمعاقدة المشدّدة أشهدهم اللَّه تعالى على ذلك، حيث قال:

«فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «۲»

، وهذا يعنى أن للتوسل والتوجّه دوراً مهمّاً ومحورية رئيسية فى رسم معالم الدين.

وإنكار التوسّل فى المسائل الدنيوية غير الخطيرة ليس إلّاتعظيماً لصغائر الأمور وتصغيراً لما عظّمه اللَّه عزّ وجلّ، فإن الإيمان بكون الأنبياء لم يستحقّوا ما استحقّوه إلّابتوسلهم بالإيمان بالنبيّ صلى الله عليه و آله، وإنكار التوسّل فى بعض الأمور الدنيويّة والحاجات المعاشية ليس له معنى إلّاالاستهانة بتلك المقامات الشامخة وتعظيم وتهويل ما ليس حقّه ذلك.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۹۸

أهل البيت عليهم السلام شركاء النبيّ صلى الله عليه و آله فى الميثاق ...: ص: ۱۹۸

ثمّ إن أهل البيت عليهم السلام يشتركون مع النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى دائرة الميثاق والدين الحنيف، الذى أخذ على الأنبياء الإيمان به ونصرته والدعوة إليه، وإن كان أهل البيت عليهم السلام تابعين للنبيّ صلى الله عليه و آله وهم يتوجّهون به إلى اللَّه تعالى، وبشفاعته يكونون معه صلى الله عليه و آله فى مقامه، وهو مقام الشفاعة الكبرى والوسيلة العظمى.

ويدلّ على اشتراك أهل البيت عليهم السلام مع النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى دائرة الميثاق الذى أخذ على الأنبياء وجوه عديدة، وإليك بعضها:

۱- إن نصرة الأنبياء للرسول صلى الله عليه و آله لم تتحقّق إلى يومنا الحاضر، وهى إنما تتحقّق بالنصرة لأهل بيته عند ظهور المهدى من آل محمّد، وعند رجعة الأئمة عليهم السلام، كما نصّت على ذلك الروايات المتضافرة، حيث جاء فيها أن عيسى عليه السلام وإدريس وغيرهما من الأنبياء سوف يقاتلون بين يدى الإمام المهدى عليه السلام عند قيامه بدولة الحقّ والعدل، هذا من طرق الفريقين، وأما من طرقنا فقد دلّت الروايات المتضافرة أيضاً على أن جميع الأنبياء والمرسلين سوف يقاتلون مع الأئمة عليهم السلام عند رجوعهم وكرّتهم فى دولتهم العالمية المباركة.

بل إن بعض الأنبياء كإلياس والخضر عليهما السلام على القول بنبوّة الخضر عليه السلام الآن هم وزراء فى حكومة الإمام المهدى عليه السلام الخفيّة، وهى حكومة خليفة اللَّه فى أرضه، التى لا يمكن أن تفتقدها البشرية فى لحظة من اللحظات، وإلّا لساخت الأرض بأهلها.

ونشير فيما يلى إلى بعض تلك الروايات التى وردت فى هذا المجال:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۱۹۹

منها: طوائف الروايات التى دلّت على أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ينزل لنصرة المهدى عليه السلام، وإليك فيما يلى هذه الرواية، ننقلها بطولها لارتباطها بالبحث الذى نحن فيه، قال أبو عبداللَّه الصادق عليه السلام: «أتى يهودى النبيّ صلى الله عليه و آله، فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال: يايهودى ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبيّ الذى كلّمه اللَّه، وأنزل عليه التوراة والعصا وفلق له البحر وأظلّه بالغمام؟

فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: إنه يكره للعبد أن يزكّى نفسه، ولكنّى أقول: إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن

قال: اللّهم إنى أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما غفرت لى فغفرها اللَّه له، وإن نوحاً عليه السلام لما ركب فى السفينة وخاف الغرق، قال: اللّهم إنى أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما نجّيتنى من الغرق، فنجّاه اللَّه منه، وإن إبراهيم عليه السلام: لما ألقى فى النار قال: اللّهم إنى أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما نجّيتنى منها، فجعلها اللَّه عليه برداً وسلاماً، وإن موسى عليه السلام لما ألقى عصاه أوجس فى نفسه خيفة، قال اللّهم إنى أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما آمنتنى منها، فقال اللَّه جلّ جلاله: «لَاتَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى» «۱»

يايهودى: إن موسى لو أدركنى ثم لم يؤمن بى وبنبوّتى ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته نبوّته.

يايهودى ومن ذريتى المهدى إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدّمه وصلّى خلفه» «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۰۰

وفى حديث آخر: «فيلتفت المهدى فينظر عيسى عليه السلام فيقول لعيسى: يابن البتول صلّ بالناس، فيقول: لك أقيمت الصلاة، فيتقدّم المهدى فيصلّى بالناس ويصلّى عيسى خلفه ويبايعه» «۱».

ولا شك أن المبايعة لأجل نصرته عليه السلام لإقامة دولة الحقّ، بقرينة تتمّة الرواية حيث ورد فيها أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بعد المبايعة يكون من وزراء المهدى عليه السلام ويخرج لقتال الدجال.

ومنها: الروايات التى دلّت على أن نصرة الأنبياء للرسول الأكرم صلى الله عليه و آله إنما تحصل بالنصرة لوصيّه أمير المؤمنين علىّ عليه السلام والقتال بين يديه عند الكرّة والرجعة فى دولة الحقّ، وذلك نظير ما أخرجه سعد بن عبداللَّه القمى عن فيض بن أبى شيبة، قال: سمعت أبا عبداللَّه عليه السلام يقول، وتلا هذه الآية: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ»: «لتؤمننّ برسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولتنصرنّ علياً أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: نعم واللَّه من لدن آدم وهلمّ جراً، فلم يبعث اللَّه نبيّاً ولا رسولًا إلّاردّ جميعهم إلى الدنيا حتّى يقاتلوا بين يدى علىّ بن أبى طالب عليه السلام» «۲».

ومن الواضح أن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام نصرة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وللدين الذى جاء به.

وحاصل هذه النقطة: هو اشتراك أهل البيت عليهم السلام مع النبىّ صلى الله عليه و آله فى الميثاق الذى أخذ على الأنبياء، إذ أن إيفاءهم بالعهد إنما يكون بنصرتهم لأهل بيت النبىّ صلى الله عليه و آله.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۰۱

۲- مرّ بنا أن الدين عند اللَّه الإسلام وهو واحد لا- تعدّد فيه، وأن جميع المخلوقات بما فيهم سائر الأنبياء عجزوا عن تحمّل الدين والسبق فى فتح سبله وبلوغ مقاماته الرفيعة، سوى الذات النبويّة المباركة التى لها الأهلية والاستعداد لتلقّى ذلك عن اللَّه عزّ وجلّ، فكان للنبىّ صلى الله عليه و آله الأسبقية فى الإسلام والتسليم للَّه‌تعالى؛ ولذا كان الدين دين محمّد صلى الله عليه و آله، إذن دين الإسلام الواحد عبارة عن تلك المقامات السامية والنور الأعظم الذى لم يتحمّله مخلوق عن اللَّه تعالى سوى خاتم الرسل صلى الله عليه و آله، فأسكن اللَّه عزّ وجلّ ذلك النور فى بيوت أذن اللَّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وكان بدن النبىّ الأكرم مسكناً لذلك النور، لأنه أوّل من قال بلى عندما قال اللَّه تعالى للبشر: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ».

ومن هنا يتّضح أن الميثاق والعهد الذى أخذه اللَّه على أنبيائه هو الإيمان بذات الرسول صلى الله عليه و آله، والإيمان بمقامه صلى الله عليه و آله هو الدين الذى بعث به جميع الأنبياء، وهو بدرجاته العالية غيب اللَّه وسره المكنون الذى أمر الأنبياء بالإيمان به والتسليم له، وكان نيل مقامات النبوّة على قدر درجة التسليم لذلك الدين، وقد مدح اللَّه تعالى أنبياءه لكونهم مسلمين، قال عزّ وجلّ: «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» «۱»

، وقد أمر اللَّه تعالى أنبياءه باتخاذ الاسلام ديناً، كما فى قوله لإبراهيم: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» «۲».

إذن الدين الواحد هو الميثاق الذى أخذ على جميع الأنبياء التسليم له

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۰۲

والإيمان به ونصرته، وهو دين النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله المتمثّل برسالته ووساطته بين اللَّه وخلقه، فهو دين اللَّه الناطق.

وإذا كان الأمر كذلك فكلّ ما هو داخل فى دائرة الدين يكون من الميثاق الذىأخذ على الأنبياء الإيمان به ونصرته والتسليم له، ومن الدين ولايـة أهـل البيت عليهم السلام بنصّ القرآن الكريم، وذلـك فى قوله تعـالى: «الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» «۱»

حيث نصّت روايات الفريقين على أن هـذا المقطع من الآيـة المباركـة نزل عنـد تنصيب اللَّه عزّ وجلّ أمير المؤمنين عليه السلام لمقام الخلافة والإمامة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وذلك فى واقعة الغدير «۲».

إذن الولاية والخلافة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من الدين الذى بعث به جميع الأنبياء، وقد أُكمل بتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام بعد حجّة الوداع مضافاً إلى أن جملة الآيات والأدلّة القائمة على إمامة أهل البيت عليهم السلام دالّة على أن إمامتهم وولايتهم من أصول الدين تتلو أصل النبوّة، سيما وأن الأنبياء مخاطبون بآيات الولاية والقربى والمودّة عند رجوعهم للنصرة، فهم مأمورون بطاعة أولى الأمر والمودّة للقربى والتوجّه بهم إلى اللَّه تعالى.

والحاصل: إنه لم يبعث نبيّ من الأنبياء إلّابعد أن آمن وسلّم بالدين الذى هو ولاية النبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته، فالولاية دين اللَّه الذى بتسليمه استحقّ الأنبياء مقام النبوّة كلّ بحسب ما بلغه من درجة التسليم، فإن للولاية والتسليم درجات

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۰۳

وبحسب درجة التسليم لكلّ نبيّ يعطى ذلك النبيّ مقام الحظوة عند اللَّه تعالى ويستحقّ مقام النبوّة، وإذا ازدادت درجة التسليم كان ذلك النبيّ من أولى العزم، فتفضيل الأنبياء الوارد فى قوله تعالى: «وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ» «۱»

، كذلك تفضيل الرسل، كما فى قوله تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ» «۲»

، كلّ ذلك التفضيل بحسب درجة التسليم والتولّى لدين اللَّه عزّ وجلّ، وذلك بالولاية للنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته، فالتسليم للنبيّ وأهل بيته والإيمان بولايتهم نوع توجّه قلبى إلى اللَّه عزّ وجلّ بهم، وهو شرط لنيل المقامات العظيمة عند اللَّه تعالى كالنبوّة والرسالة، فضلًا عن غيرها من العبادات وقبول التوبة واستدرار الأرزاق الإلهيّة.

۳- لقد بيّن اللَّه عزّ وجلّ حقيقة الميثاق الذى أخذه على الأنبياء وكيفية إقرارهم وإيمانهم به وثباتهم عليه، كما فى قصة آدم عليه السلام، حيث جاء فيها أن الأمانة والميثاق الذى أقرّ به آدم وتحمّله لنيل منصب الخلافة الإلهية عبارة عن الأسماء الحيّة العاقلة الشاعرة، التى علّمها اللَّه عزّ وجلّ آدم وليست هى من السماوات والأرض، بل هى ملكوتها وباطنها ومحيطة بها ومهيمنة عليها، والأسماء هم الرسول صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، كما تقدّم فى الأبحاث السابقة كما نصّت عليه روايات الفريقين، وعليه فيكون الميثاق الذى تحمّله آدم وآمن به ونال بواسطته مقام الخلافة هو الولاية للنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل البيت عليهم السلام.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۰۴

كذلك الحال فى الكلمات التى ابتلى بها إبراهيم عليه السلام، فلما أتمّهن نال مقام الإمامة، فهذه الكلمات هى ميثاق إبراهيم عليه السلام لما أتمّها وآمن بها وأسلم بواسطتها للّهربّ العالمين استحقّ مقام الإمامة الإلهية، وسبق أيضاً أن تلك الكلمات التى ابتلى بها إبراهيم وكان إتمامها سبباً لنيل المقامات العالية هم محمّد صلى الله عليه و آله وآله الطاهرين عليهم السلام.

إذن الميثاق عبارة عن أمتحان وابتلاء لنيل المقامات الرفيعة كالنبوّة والإمامة، والميثاق هو ولاية أهل البيت الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

نعم النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله أعلى مقاماً من أهل بيته عليهم السلام وهم يتوجّهون بالنبيّ صلى الله عليه و آله إلى اللَّه عزّ وجلّ

وبشفاعته ينالون درجة مقامه عند اللّه.

۴- إن ولايـة أمير المؤمنين عليه السـلام وأهل البيت عليهم السـلام ذكرت تلو ولايـة النبيّ الأكرم فى جملـة من آيات الطاعة والولاية، التى تقـدم ذكرهـا، مما يـدلّل على أن ولايـة المعصومين عليهم السـلام من الـدين الـذى بعث به الأنبياء، إذ الـدين دائرته موحّـدة بين الأنبيـاء، والـذى هو عبـارة عن أصول العقائـد وأصول الواجبـات والمحرّمـات، التى هى أركـان الفروع كأصل وجوب الصـلاة والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فهـذه كلّها من دائرة الـدين لا الشـريعة المختلفة من نبيّ إلى آخر، وولاية أمير المؤمنين عليه السلام من الدين الذى بعث به جميع الأنبياء والرسل.

كـذلك من الآيات التى قرنت الرسول الأكرم بأهل بيته عليهم السـلام آيات الفىء والخمس، كما فى قوله تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ» «۱»

فإن الآية المباركة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۰۵

تبيّن أن أوليـاء الخمس الـذين لهم الولايـة على اقتصـاد الدولـة الإسـلامية هم اللّه تعـالى ورسوله وذوى القربى، بقرينـة الاـشتراك ب (اللام) الدالّة على ملكية التصـرف فى أموال الدولة الإسـلامية، وأما اليتامى والمساكين وابن السبيل فهم موارد مصـرف الخمس؛ ولذا تغيّر التعبير فيهم بحذف اللام.

كـذلك بنفس البيـان مـا ورد فى قوله تعـالى: «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَىْ لَايَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» «۱»

، فلإقامـة العدالـة الماليـة والاقتصاديـة على الأرض لابـدّ أن تدار الأموال العامة التى ترجع إلى بلاد الإسـلام بولاية اللّه ورسوله وذوى القربى، وهم قربى الرسول الأكرم الـذين جعلت مودّتهم أجراً وعدلًا لما جاء به النبيّ الأكرم من الدين الحنيف، وذلك فى قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى» «۲».

وهـذا يكشف عن أهميّـة تولّى ذوى القربى وأن ولايتهم مفتاح لسائر أبواب الـدين ومن دون التوسّل بها يخطأ الشـخص ويضلّ طريق التوحيد، فيقع فى مثل الجبر أو التفويض أو غير ذلك، فلابدّ من الولوج إلى الدين عن الطريق والباب الذى نصـبه اللّه عزّ وجلّ لخلقه، ولا يمكن الوقوف على حقيقة الدين إلّا بالإمامة.

فمودّة ذوى القربى أمر عظيم إذا سَلِم سَلِمت بقيّة أصول الدين، ولا يوجد قربى للنبيّ الأكرم صـلى الله عليه و آله بهذا الشأن الخطير سوى المعصومين من أهل بيته،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۰۶

فولايتهم عاصمة عن الضلال وهى ركن ركين فى الدين الذى بعث به الأنبياء كافّة.

ولاـ شك أن الـدين عام- كما سـتأتى الإشارة إلى ذلك- لا يسـتثنى منه أحـد فى جميع النشآت بنحو الأبـد وعـدم الانقطاع، ومن ثمّ يكون وجوب الطاعـة والولايـة مكلَّف به جميع المخلوقـات بنحو من التأبيـد والخلود، فخلافـة وولايـة أولى الأـمر ووجوب طاعتهم لا تختصّ بالجنّ أو الإنس ولا بالأمور السياسية الدنيوية وليس لأمدها حدّ ولا انقطاع.

وهنـاك أيضـاً آيـات أخرى سـتأتى لاحقـاً قرنت بين النبيّ الأكرم صـلى الله عليه و آله وأهل بيته، مما يكشف عن أن مقامات الأنبياء ونيـل الحظـوة الإلهيـة لاـ يتم إلّابالتوسـل والتـوجّه بهم إلى اللّه تعـالى، وأن تولّيهم واسـطة للفيض الإـلهى، ولولاـهم لمـا بعث الأنبيـاء والمرسـلون، فهم الوسـيلة إلى اللّه تعـالى فى عظـائم الأـمور، فكيف بالقضايـا الأـخرى التى هى أقـلّ شأنـاً ممـا يرتبـط بالأمور الحياتية والمعيشية للناس؟!

وهذا كلّه يصلح بياناً بذاته لتبعية الأنبياء جميعاً لخاتم الأنبياء وأهل بيته عليهم السلام مع سبقهم الزمنى عليهم.

بيان آخر لتوسل الأنبياء بالرسول الأكرم وأهل بيته فى نيل المقامات: النبى وأهل بيته قدوة للأنبياء ...: ص: ۲۰۶

مما يشير إلى كون النبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام قدوة لجميع الأنبياء والمرسلين حتّى أولى العزم منهم، وبالتالى اتّباعهم للنبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام وسيلة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۰۷

لبلوغهم إلى المقامات العالية من النبوّة والرسالة والخلّة والإمامة وغيرها، مع أن النبيّ وأهل بيته متأخرين عنهم من حيث الزمان فى النشأة الأرضية، هو ما دلّت عليه جملة من الآيات والروايات من أن اللّه تعالى أنبأ آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والرسل بالأحوال والحوادث التى تجرى على خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، من المحن والمصائب والابتلاءات والامتحانات والشدائد وكيفية ثباتهم عليهم السلام فيها وصبرهم ورضاهم وتسليمهم بقضاء اللّه وقدره وتنمّرهم فى ذات اللّه، وأطلعهم على الكمالات والمقامات الرفيعة التى يكونون عليها، مع عظيم ابتلائهم بتلك الشدائد.

وهذا ما يوجب تربية روحية عالية لهم ليتحلّوا بالكمالات عند مواجهتهم للشدائد والفتن والمحن وبالتالى نيل المقامات التى حظوا بها عند اللّه تعالى.

وكان فيما أوحى اللّه عزّ وجلّ لهم عن أحوال النبيّ وأهل بيته بأنماط متعدّدة من الوحى، أى من الوحى الصورى نظير الرؤيا أو الوحى بالإلهام والمعنى وغيرها من أنماط الوحى.

فكانت سيرة النبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام تمثالًا منصوباً وشعاراً مرفوعاً لهم يحتذون ويقتدون به، ماثل أمام أعينهم طيلة مسيرة أيام نبوّتهم ورسالتهم.

وهذا أحد معانى اقتداء الأنبياء والمرسلين بالنبيّ وأهل بيته.

أما الآيات التى تشير إلى هذا المعنى فهى عديدة نشير إلى جانب منها:

۱- ما تقدّم من قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ» «۱»

فإنها دالّة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۰۸

على أن اللّه عزّ وجلّ أخبرهم عن خاتم الأنبياء ومقاماته وأن الدين دينه وهو فاتح حصونه، ثم بعد ذلك أمرهم بالتسليم له والإيمان به ونصرته.

۲- قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: «وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ» «۱».

۳- قوله تعالى فى يهود المدينة، قُبيل ولادة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» «۲»

، فقد نقل المفسّرون فى ذيل هذه الآية المباركة أن اليهود من أهل المدينة وخيبر كانوا إذا قاتلوا من يليهم من مشركى العرب من الأوس والخزرج يستنصرون بالنبيّ صلى الله عليه و آله عليهم ويستفتحون به، لما يجدون من ذكره وصفاته وشمائله ومحلّ ولادته فى التوراة، وكانوا يدعون ويتوسلون بحقّه للنصرة عليهم، حيث يقولون: (اللّهم إنّا نستنصرك بحقّ النبيّ الأمىّ إلّانصرتنا عليهم).

وعن ابن عباس قال: (كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلّما التقوا هزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء: اللّهم إنا نسألك بحقّ محمّد النبيّ الأمىّ الذى وعدتنا أن تخرجه لنا فى آخر الزمان إلّانصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان،

فلما بُعث النبيّ صلى الله عليه و آله كفروا به، فأنزل اللّه وقد كانوا يستفتحون بك يامحمّد على الكافرين) «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۰۹

۴- قوله تعالى فى اليهود والنصارى الذين آمنوا بالنبيّ صلى الله عليه و آله: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۱». ۵- قوله تعالى فى معرفة أهل الكتاب بصفات وشمائل النبيّ صلى الله عليه و آله: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» «۲».

إن هذه الأربع آيات الأخيرة صريحة فى إخبار الأنبياء عليهم السلام أممهم بأحوال خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله وسيرته، وهذا يكشف عن أن اللّه تعالى أطلع أنبياءه على سيرة النبيّ الأعظم وما يجرى عليه من المحن والشدائد.

۶- قوله تعالى على لسان إبراهيم فى دعائه لذريّته:

«فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» «۳»

فهى دالّة على أن إبراهيم كان مطّلعاً على سيرة ذرّيته الطاهرة، ودعا اللّه عزّ وجلّ بمودّة الناس لهم وهوىّ القلوب إليهم.

هذا بالنسبة إلى الآيات المباركة، وهى دالّة على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا على اطّلاع بالنبيّ الأكرم وأهل بيته الطاهرين وما يجرى عليهم من البلايا.

أما الروايات فى هذا المجال فهى كثيرة جدّاً نشير إلى شطر منها على سبيل الاختصار:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۱۰

۱- ما أخرجه القندوزى الحنفى فى الينابيع، عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: «ياعباد اللّه إن آدم عليه السلام لما رأى النور ساطعاً من صلبه، إذ كان اللّه تعالى نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور ولم يتبيّن الأشباح، فقال: ياربّ ما هذه الأنوار؟ قال: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع العرش إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك، إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح، فقال آدم عليه السلام: ياربّ لو بيّنتها لى.

فقال اللّه عزّ وجلّ: انظر ياآدم إلى ذروة العرش.

فنظر آدم عليه السلام ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم عليه السلام إلى ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التى فى ظهره كما ينطبع وجه الانسان فى المرآة الصافية، فرأى أشباحنا.

فقال: ما هذه الأشباح ياربّ؟

قال اللّه تعالى: ياآدم هذه الأشباح أشباح أفضل خلائقى وبريّاتى، هذا محمّد وأنا المحمود فى أفعالى، شققت له اسماً من اسمى، وهذا علىوأنا العلىّ العظيم شققت له اسماً من اسمى، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض، فاطم أعدائى من رحمتى يوم فصل القضاء، وفاطم أوليائى مما يبيرهم ويشينهم، شققت لها اسماً من اسمى، وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل ومنّى الاحسان، شققت اسميهما من اسمى.

وهؤلاء خيار خلقى وكرائم بريّتى، بهم آخذ وبهم أعطى، وبهم أعاقب وبهم أثيب، فتوسل بهم إلىّ ياآدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إلىّ شفعائك فإنى آليت

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۱۱

على نفسى قسماً حقّاً لا أُخيّب لهم آملًا ولا أردّ لهم سائلًا» «۱».

فهذه الرواية صريحة فى أن اللّه تعالى أطلع خليفته ونبيّه آدم على حقائق أهل البيت عليهم السلام، ليكونوا له قدوة يقتدى بهم وشفعاء

يتوسل بهم إلى اللَّه تعالى.

۲- روى: أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض لم يرَ حواء، فصار يطوف الأرض فى طلبها، فمرّ بكربلاء فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب، وعثر فى الموضع الذى قُتل فيه الحسين عليه السلام حتى سال الدمّ من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال:

إلهى هل حدث منّى ذنب آخر فعاقبتنى به؟ فإنى طفت جميع الأرض وما أصابنى سوء مثل ما أصابنى فى هذه الأرض.

فأوحى اللَّه تعالى إليه ياآدم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل فى هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً، فسال دمك موافقة لدمه «۲».

۳- ما أخرجه المجلسى فى البحار عن صاحب الدرّ الثمين فى تفسير قوله تعالى: «فَتَلَقَّى ءادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ» «۳»

: (أنه رأى ساق العرش وأسماء النبيّ والأئمة عليهم السلام، فلقّنه جبرئيل، قل: ياحميد بحقّ محمّد، ياعالى بحقّ علىّ يافاطر بحقّ فاطمة، يامحسن بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان.

فلمّا ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: ياأخى جبرئيل فى ذكر الخامس ينكسر قلبى وتسيل عبرتى؟ قال: جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۱۲

تصغر عندها المصائب، فقال: ياأخى وما هى؟ قال: يقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين) «۱».

۴- ما أخرجه الصدوق عن علىّ بن موسى الرضا عليه السلام، قال: «لما أمر اللَّه تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذى أنزله عليه تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده، وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه؛ ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذى يذبح أعزّ ولده بيده فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى اللَّه عزّ وجلّ إليه: ياإبراهيم من أحبّ خلقى إليك؟ فقال: ياربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إلىّ من حبيبك محمّد صلى الله عليه و آله، فأوحى اللَّه عزّ وجلّ إليه: ياإبراهيم أفهو أحبّ إليك أو نفسك؟

قال: بل هو أحبّ إلىّ من نفسى، قال: فولده أحبّ إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلماً على أيدى أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك فى طاعتى؟ قال: ياربّ بل ذبحه على أيدى أعدائه أوجع لقلبى، قال: ياإبراهيم فإن طائفة تزعم إنها من أمة محمّد صلى الله عليه و آله ستقتل الحسين عليه السلام إبنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، فيستوجبون بذلك سخطى، فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكى، فأوحى اللَّه عزّ وجلّ إليه: ياإبراهيم قد فديت جزعك على إبنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب» «۲».

۵- ما أخرجه ابن قولويه فى كامل الزيارات عن أبى عبداللَّه عليه السلام قال: «إن

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۱۳

إسماعيل الذى قال اللَّه تعالى فى كتابه: «وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا» «۱»

لم يكن إسماعيل ابن إبراهيم عليه السلام، بل كان نبيّاً من الأنبياء بعثه اللَّه إلى قومه، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك عن اللَّه تبارك وتعالى فقال: إن اللَّه بعثنى إليك فمرنى بما شئت، فقال: لى أسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام» «۲».

وفى حديث آخر عنه عليه السلام قال: «ذاك إسماعيل بن حزقيل النبيّ عليه السلام، بعثه اللَّه إلى قومه فكذّبوه فقتلوه وسلخوا وجهه، فغضب اللَّه له عليهم فوجّه إليه اسطاطائيل ملك العذاب، فقال له: ياإسماعيل: أنا اسطاطائيل ملك العذاب، وجّهنى إليك ربّ العزّة لأعذّب قومك بأنواع العذاب إن شئت، فقال له إسماعيل:

لا حاجة لى فى ذلك، فأوحى اللَّه إليه فما حاجتك ياإسماعيل؟ فقال: ياربّ إنك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبية ولمحمّد صلى الله عليه و آله بالنبوّة ولأوصيائه بالولاية، وأخبرت خير خلقك بما تفعل أمته بالحسين بن علىّ عليه السلام من بعد نبيّها، وأنك وعدت الحسين عليه السلام أن تكرَّهُ إلى الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممن فعل ذلك به، فحاجتى إليك ياربّى أن تكرّنى إلى الدنيا حتّى أنتقم

ممن فعل ذلك بى، كما تكرّ الحسين عليه السلام، فوعد اللَّه إسماعيل بن حزقيل ذلك، فهو يكرّ مع الحسين عليه السلام» «۳».

۶- عن سعد بن عبداللَّه القمى فى سؤاله للإمام المهدى عليه السلام فى محضر الإمام الحسن العسكرى عليه السلام، حيث قال: فأخبرنى ياابن رسول اللَّه عن تأويل «كهيعص»؟ قال عليه السلام: «هذه الحروف من أنباء الغيب، أطلع اللَّه عليها عبده زكريّا، ثم قصّها على محمّد صلى الله عليه و آله، وذلك إن زكريا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۱۴

الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل فعلّمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمّداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين، سرى عنه همّه، وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة «۱»، فقال ذات يوم: يا إلهى ما بالى إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيت بأسمائهم من همومى، وإذا ذكرت الحسين تدمع عينى وتثور زفرتى؟ فأنبأه اللَّه تعالى عن قصّته» إلى أن قال: «فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكانت ندبته: إلهى أتفجع خير خلقك بولده؟ إلهى أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه؟ إلهى أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهى أتحلّ كربة هذه الفجيعة بساحتهما؟

ثم كان يقول: أللّهم ارزقنى ولداً تقرّ به عينى على الكبر، واجعله وارثاً وصيّاً، واجعل محلّه منّى محلّ الحسين، فإذا رزقتنيه فافتنّى بحبّه ثم افجعنى به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده، فرزقه اللَّه يحيى وفجعه به» «۲».

والروايات فى هذا المجال كثيرة جدّاً، وهى دالّة على ما أردنا التنبيه عليه من تبعية الأنبياء لمحمّد وأهل بيته عليهم السلام، وكونهم قدوة لهم وواسطة فى بلوغ ما وصلوا إليه من المقامات، وذلك عن طريق استعراض سيرتهم والحوادث التى جرت عليهم عليهم السلام.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۱۵

آيات أخرى فى اقتران أهل البيت عليهم السلام بالنبىّ صلى الله عليه و آله فى الصفات ...: ص: ۲۱۵

۱- قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۱»

، حيث قرنت هذه الآية المباركة بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أهل بيته عليهم السلام وجعلتهم شركاء له تابعون فى الطهارة، وهى تعنى درجة العصمة التى للرسول صلى الله عليه و آله، فهو صلى الله عليه و آله سيّد الأنبياء ويفوق الكلّ فى درجة العصمة والطهارة، إلّا أن سنخ عصمته صلى الله عليه و آله متقاربة ومتقارنة مع سنخ العصمة التى لأهل البيت عليهم السلام، ففى الوقت الذى قرن اللَّه تعالى بنبيّه صلى الله عليه و آله أهل بيته فى العصمة والطهارة، لم يقرن أحداً من الأنبياء فى نمط التطهير والعصمة الذى له صلى الله عليه و آله.

۲- قوله تعالى: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» «۲»

، فلم يُنزَّل أحد كنفس النبىّ صلى الله عليه و آله إلّاعلىّ عليه السلام، وقرن اللَّه تعالى بالنبىّ صلى الله عليه و آله أهل بيته عليهم السلام فى الحجّية، فالخمسة عليهم السلام معاً حجج على جميع الأديان السماوية والبشرية عموماً إلى يوم القيامة، فهم عليهم السلام شركاء النبىّ صلى الله عليه و آله فى الرسالة؛ لأن المباهلة نوع محالفة، وفى الحلف لابدّ أن يحلف الأصيل ولا وكالة فى الحلف، وهذا يعنى أنهم عليهم السلام شركاء فى الرسالة أصالة، ولكنهم تابعون فى ذلك للنبىّ صلى الله عليه و آله وهو سيّدهم وبشفاعته نالوا الأصالة فى الحجّية.

والحاصل: إن أهل البيت عليهم السلام مقرونون بسيّد الأنبياء فى المقامات تبعاً له صلى الله عليه و آله، وهذا يعنى أن الإيمان بأهل

البيت والتولّى لهم من الدين الذى أخذ على

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۱۶

الأنبياء الإيمان به ونصرته لأجل نيل المقامات العالية عند اللّه تعالى.

هذا تمام الكلام فى الدليل السابع على عموم شرطية التوسّل بالنبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام لصحّة الإيمان وللتوبة وسائر العبادات ولنيل مقامات القرب.

الدليل الثامن ...: ص: ۲۱۶

«فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ» «۱».

تقدّم أن هذه الآية المباركة دالّة على مبدأ التوسّل، ونشير هنا أيضاً إلى أنها دالّة عموم شرطية التوسّل فى التوجّه إلى الحضرة الإلهية، فلابدّ من التوسّل بالذريّة والتوجّه بهم وصلتهم والمجىء إليهم، وسبق كذلك أن التوجّه نوع دعاء وهو لا يرتفع ولا تفتّح له أبواب السماء إلّابالتوسل بالنبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام وهوىّ القلوب إليهم.

ولذا كانت مودّة أهل البيت عليهم السلام أجر الرسالة الخاتمة، كما فى قوله تعالى:

«قُلْ لَاأَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى» «۲»

، وقال تعالى: «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ» «۳»

، مما يعنى أن مودّة أهل البيت عليهم السلام يعود نفعها للأمة جمعاء، وقال عزّ وجلّ: «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا» «۴»

، ومعنى ذلك أن مودّتهم عليهم السلام هى السبيل الوحيد والطريق والوسيلة المنحصرة إلى اللّه تعالى، فهم السبيل إليه والمسلك إلى رضوانه.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۱۷

الدليل التاسع: الاستكبار والصدّ عن آيات اللّه تعالى موجب لحبط الأعمال ... ص: ۲۱۷

نريد أن نتعرض هنا فى الاستدلال على المقام بما تقدّم من قوله عزّ وجلّ:

«إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ» «۱»

ونريد أن نضيف على ما تقدم من بيان هذه الآية الكريمة بما له دلالة على المطلوب فى المقام، وذلك بالبيان التالى:

إن الآية المباركة تتعرّض لبعض الأحكام المترتّبة على التكذيب بآيات اللّه تعالى.

والمقصود من الآيات هى الحجج الإلهية، حيث أطلق اللّه عزّ وجلّ لفظ الآية على مريم وعيسى عليهما السلام «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» «۲»

، وإذا كان عيسى عليه السلام لم ينل ما ناله إلّابولايته وإقراره وإيمانه بسيّد الأنبياء فكيف بنفس النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فهو أعظم آية للّه‌تعالى؟ وإذا كان عيسى عليه السلام من وزراء الإمام المهدى عليه السلام وتابعاً له فى دولته، فكيف لا يكون أهل البيت عليهم السلام من أعظم آيات اللّه تعالى؟ خصوصاً وأن اللّه تعالى قرن بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أهل بيته عليهم السلام فى الطهارة والعصمة والحجّية والولاية وغيرها من المقامات التى تقدّم التعرّض لها آنفاً، فلا شك أن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله

وأهل بيته عليهم السلام المصداق البارز للآية التى نحن بصدد بيانها، فهم عليهم السلام أوضح وأبرز وأعظم آيات اللّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۱۸

والذين يكذّبون بآيات اللّه تعالى ويصدّون ويستكبرون عنها- كما فعل إبليس مع آدم عليه السلام- لا تفتّح لهم أبواب السماء، فلكى تفتّح أبواب السماء لقبول الأعمال والعبادات والعقائد وجميع المقامات، وقد قال تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» «۱»

والكلم الطيب هو العقيدة، فبيّنت الآية أن الإيمان والعقيدة لابدّ له أن يصعد فى مسير قبوله عند اللّه تعالى، والصعود إلى السماء لابدّ أن تفتّح له أبواب السماء، وقد بيّنت الآية السابقة أن مفتاح أبواب السماء هو كلّ من التصديق بالآيات الإلهية والخضوع لها واللُجأ إليها وعدم الصدّ عنها، ومن أجل الرقى والعروج إلى السماء لابدّ من التوجّه إلى آيات اللّه تعالى واللجوء إليها والتصديق بها وعدم الصدّ عنها، فالآية صريحة فى أن التوبة والعبادة وأىّ قربى أو زلفى إلى اللّه عزّ وجلّ تفتقر إلى تفتّح أبواب السماء وأنها لا تفتّح أبداً مع الاستكبار على الآيات الإلهية، فليس الإيمان بآيات اللّه فحسب كافٍ فى قبول العبادات ورقى المقامات، بل لابدّ من المودّة والصلة والإقبال والتوجّه إلى الآيات والتوسّل بها إلى اللّه، وعدم الصدّ والإعراض والإستكبار عنها، لأن الآية جعلت شرطين لفتح أبواب السماء ولدخول الجنّة:

الأول: عدم التكذيب، أى التصديق والإيمان والمعرفة بآيات اللّه الحجج.

والثانى: عدم الاستكبار عنها، وهذا الأمر يتضمّن شيئين:

أحدهما: عدم الاستكبار أى الخضوع والتواضع، وثانيتهما: عدم الصدّ الذى قد ضُمّن فى فعل الاستكبار بقرنية عن، نظير ما ذكرته الآيات فى مسبب كفر إبليس (أبى واستكبر) فالإباء هو الجحود مقابل التصديق، والاستكبار مقابل

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۱۹

الخضوع والاتباع.

ونظير ذلك ما ورد فى سورة المنافقين فى قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» «۱»

وهذه الآية الكريمة صريحة فى أن الاستغفار وقبول التوبة متوقّف على المجىء إلى النبىّ صلى الله عليه و آله، وأن صفة المنافق الصدّ عن الآيات الإلهية والاستكبار عليها والابتعاد عنها وعدم اللجوء واللواذ إليها، وهذا نوع من التشاهد بين الآيات القرآنية، فالآية تدلّ على أن الأوبة إلى اللّه تعالى والقرب إليه لابدّ فيه من التوجّه أوّلًا إلى الحضرة النبوّية والتوسّل والاستشفاع بالنبى صلى الله عليه و آله ثم شفاعته.

فالتوسّل خيار حصرى لابدّى شرطى منحصر بالمجىء واللجوء إلى الحضرة النبويّة واللّواذ بها والاستغاثة به صلى الله عليه و آله، ثم إبداء التوبة والاستغفار وإمضاء النبىّ صلى الله عليه و آله له باستغفاره وشفاعته لهم من أجل تحقّق التوبة ومقام المغفرة وقبول العبادة التى منها عبادة التوبة.

ونظير هذه الآيات أيضاً قوله تعالى: «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» «۲».

ومن الشواهد أيضاً على أن المراد من الآيات هنا هم الأنبياء والخلفاء الأوصياء الحجج هو التعبير ب (كذّبوا) فإنه مقابل التصديق فيما يزعمون من مناصب وفيما لهم من دعوى، وأما الآية الكونية فليس فيها تكذيب أو تصديق، بل إنما يقع الغفلة والإعراض عنها؛ إذ لا يوجد فيها زعم أو دعوى معيّنة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۲۰

كى يصدق فى حقّها التصديق أو التكذيب، فالتصديق أو التكذيب إنما يكون للحجج الإلهية التى تدّعى مقاماً إلهياً وكذا فيما تبلّغه

عن اللَّه تعالى، فالمراد بالآية والآيات فى المقام الحجج الإلهية من الأنبياء والرسل والأصفياء والأوصياء، الذين أسندت إليهم المقامات الإلهية.

والحاصل: إن هذه الآيات المباركة تبيّن أن مفتاح أبواب سماء الحضرة الربوبية الإقرار بالحجج والآيات والتوجّه إليها والتوسّل والتشبّث بها والإنقطاع إليها لا عنها، وأبرز وأعظم تلك الآيات النبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، فهم مفاتيح أبواب السماء فى قبول وصعود التوبة والعبادة والمعرفة والإيمان والعقيدة ونيل المقامات، فلا ترتفع أى عبادة ولا ينال مقام ولا تتحقّق التوبة مع عدم التصديق بالآيات وصلتها ومودّتها والتوجّه إليها والتوسّل بها، والإعراض عنها يوجب حبط الأعمال وامتناع دخولهم الجنّة فى الآخرة «ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط» «أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»، فشرط النجاة يوم القيامة الارتباط بالآيات الإلهيّة والإنتماء إليها والتوسّل بها، لكونها قنوات غيبيّة توجب القرب إلى اللَّه تعالى.

فالتوسل شرط فى تفتّح الأبواب لقبول وصحّة الإيمان والتوبة وقبول الأعمال وسائر المقامات.

الدليل العاشر: خضوع الملائكة لآدم عليه السلام كلّ خليفة اللَّه الباب الأعظم لملائكته ... ص: ۲۲۰

اشارة

لقد سبق ذكر الآيات التى تعرّضت لقصة آدم عليه السلام وأمر الملائكة كلّهم

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۲۱

أجمعين بالسجود له، وقلنا إن الأمر بسجود الملائكة وخضوعهم وانقيادهم ليس خاصّاً بآدم عليه السلام، لأنها معادلة دائمة فى عالم الخلقة لكلّ من يتحلّى بمقام الخلافة الإلهية، فمن يتحلّى بهذا المقام يطوع اللَّه عزّ وجلّ له الملائكة ويدينون بأجمعهم للَّه تعالى بطاعته بما فيهم كبار الملائكة المقرّبين، وهم فى كلّ ما يقومون به من أدوار عظيمة فى عالم الإمكان والكون خاضعون لولىّ اللَّه، وهو خضوع حقيقى قائم على أساس العلوّ الرتبىّ التكوينى لخليفة اللَّه تعالى، وحينئذٍ يكون الأمر بالسجود والخضوع للخليفة شامل للأنبياء، وخصوصاً أولى العزم منهم كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى والرسول الأكرم وأوصيائه عليهم السلام، فالملائكة المقرّبين وغيرهم بابهم إلى اللَّه تعالى خليفة اللَّه الذى يُنبئهم بالأسماء والمقامات.

ثمّ إن الآيات والروايات ذكرت أن الملائكة عندما اعترضت على جعل خليفة اللَّه فى الأرض وهو من ترك الأولى الناشئ من ضيق الأفق وعدم سعة العلم- آبت وتابت إلى اللَّه عزّ وجلّ بالسجود لآدم عليه السلام.

إذن سنّة اللَّه للملائكة كدين هو الإقبال على ولىّ اللَّه، وهو شرط أوبتهم وقبول عبادتهم وحظوتهم بالمقامات العالية.

ففى عالم الغيب الذى هو خال عن نشأة التشريع الأرضى، وليس خالٍ عن الدين الإلهى، كما قال تعالى: «وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» «۱»

، افتقرت الملائكة إلى أن يكون بينهم وبين اللَّه تعالى واسطة فى الخضوع والإنباء والمعرفة والعبادة والتقرّب إلى اللَّه تعالى، فما بالك بالنشآت الأخرى؟!

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۲۲

وإذا كان آدم أبو البشر نبيّ الملائكة وقناة الإنباء والفيوضات العلمية وغيرها عليهم من اللَّه تعالى، وهو وليّهم وهم طائعون له لا يتمرّدون عليه ولا ينبغى لهم ذلك، فكيف بسيّد البشر؟! ألا تكون الملائكة منقادة وطائعة له؟!

ومن هنا تكون الملائكة مشمولة بقوله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» «۱»

من غير اختصاص بالنشأة الأرضيّة، وهذا لوحدة الدين وشموله لجميع المخلوقات كما سيأتى لاحقاً بيانه.

فالخليفة نبيّ الملائكة وله مقام إنبائهم وتعليمهم؛ لأنه مزوّد بالعلم اللّدنى الأسمائى، فهو نبيّ المعارف وإن لم يكن نبيّ شريعة للناس فى الأرض.

والحاصل: إن المقامات التكوينيّة العالية للملائكة لا يمكن أن تنال إلّابطاعة وليّ اللّه والإقبال عليه والتوجّه إليه وبه إلى اللّه تعالى.

أخذ ميثاق ولاية أهل البيت عليهم السلام معرفة وتوسّلًا فى جميع النشآت على أصناف المخلوقات ...: ص: ۲۲۲

الدين الذى هو عند اللّه الإسلام لا يختصّ بنشأة من النشآت، بل الكلّ مكلّف بالطاعة للّهوالإسلام له فى أصول معالم دينه، قال تعالى: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» «۲»

، ولذا كان الأمر بالسجود لآدم غير خاصّ بالملائكة، بل شامل لكل النشآت ومن هنا عمّ الأمر إبليس، لأن دين اللّه عزّ وجلّ وهو التسليم دين جميع المخلوقات،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۲۳

فالملائكة أيضاً مأمورة بالتوحيد للّهتعالى وطاعة وليّ اللّه بالسجود له، وعلى هذا فكلّ ما يبيّن فى النصوص القرآنية بأنه من أركان الدين فقد أخذ على جميع الملائكة الإيمان به، ومن تلك الأركان تولّى خليفة اللّه والطاعة له.

وإذا عرفت ذلك يتّضح لك ما ورد فى الروايات من أن ولاية النبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام أُخذت من جميع الملائكة وسائر الكائنات، وذلك لكونها من الدين غير الخاص بنشأة من النشآت.

إذن فنبوّة خاتم الأنبياء وولاية سيّد الأوصياء لا تختصّ بالموجودات الأرضية، وهذا يعنى أن الشهادة الثانية والثالثة لم تؤخذ على أهل هذه الدنيا فحسب، لأن الإنباء ونيل الفيوضات عموماً يحتاج إلى وجود خليفة اللّه ولابدّ من التوجّه إليه لنيل المقامات وقبول الطاعات فى جميع النشآت؛ لأنه واسطة اللّه وسفيره بينه وبين خلقه فى كلّ المقامات العلمية والتكوينية.

تأييد رسالة الرسول صلى الله عليه و آله ووساطته فى الوحى الإلهى لجميع النشآت ...: ص: ۲۲۳

فمفاد الشهادةالثانية والثالثة إقرار بالواسطة الأبدية غيرالخاصة بالنشأة الأرضية، وهذه هى تداعيات ومقتضيات الشهادة الثانية والثالثة، التى لا يتمّ التوحيد بدونها، ومن دونها لا يتحقّق قرب المخلوق إلى ربّه، ذلك المخلوق البعيد عن مقامات الربوبية وعظمة الصفات الإلهية.

جحود التوسّل سنّة إبليس فى الاستكبار ...: ص: ۲۲۳

ومن يأبى ذلك يحصل له العتوّ والاستكبار فى نفسه والتعظيم لها، مع أن

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۲۴

نفسه صغيرة فقيرة بعيدة عن ساحة عظمة الصفات الإلهية، فهى أى النفس- محتاجة إلى الواسطة والسفارة التى يتوجّه بها إلى اللّه تعالى، كما فى قوله تعالى:

«قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ*

قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» «۱».

ويتّضح أيضاً أن معطيات الشهادة الثانية والثالثة ومؤداهما مرتبطة بالمعارف الدينيّة الأبديّة الشاملة للملائكة والجنّ والإنس والبرزخ والجنّة والنار والآخرة، فضلًا عن النشأة الأرضية، كذلك الوساطة والشهادة الثانية والثالثة شاملة لعالم العقول والأرواح، ولذا نجد أن مجرى الفيض فى تكامل عقول علماء هذه الأمة ومستوياتها العلميّة فى الدين هو النبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، حيث تمّ بجهودهم المباركة تشييد المعارف الصحيحة ورفض الجبر والتفويض والتجسيم والتشبيه والتعطيل وغيرها من العقائد الفاسدة، فهم عليهم السلام وسائط الفيض وسفراء الأرواح والعقول.

وهذا بيان عقلى لمعطيات الشهادة الثانية والشهادة الثالثة يُضاف إلى البيانات السابقة المعتمدة على الآيات القرآنية المباركة.

والحاصل: إن شرطية التوسّل فى المقامات الثلاث المذكورة تعمّ جميع الأنبياء والرسل وكلّ المخلوقات من الملائكة وغيرها.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۲۶

الفصل الرابع/ شبهات وردود ... ص: ۲۲۶

اشارة

الشبهة الأولى: التوسّل عبادة لغير اللَّه تعالى.

الشبهة الثانية: التوسّل مناف لكلمة التوحيد.

الشبهة الثالثة: التوسّل مناف للآيات القرآنية

الشبهة الرابعة: الأعمال الصالحة هى الوسيلة.

الشبهة الخامسة: التوحيد الإبراهيمى يأبى التوسّل بغير اللَّه.

الشبهة السادسة: التوسّل يعنى التفويض وعجز اللَّه تعالى.

الشبهة السابعة: إيجاد المخلوقات الامكانية كلّه ابداعىّ بلا واسطة.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۲۷

شبهات وردود ... ص: ۲۲۷

قبل الدخول فى بيان الشبهات والأجوبة التفصيلية عنها لابدّ من التنبيه على نقطة جديرة بالإلتفات، وهى إننا لا نخطّئ قول أصحاب الشبهة فى تأثير التوسّل ومدخليته المباشرة فى العقيدة التوحيدية، وذلك لأن فروع الدين الاعتقادية، بل كلّ فروع الدين ترجع فى لبّها وجذرها إلى أصول الدين، فإن معنى كونها من فروع الدين أنها تنحدر وتنشعب وتتنزّل من الشجرة المباركة الطيّبة لأصول الدين.

إذن فعبادة التوسّل توحيدية، بمعنى أن لها عمقاً توحيدياً وجذراً تنشعب منه يربطها بأصول الدين الكلّية.

وهذا هو معنى أن التوحيد لا يتمّ بكلمة (لا إله إلّااللَّه)، بل لابدّ من أدبيات ومعطيات الشهادة الثانية لكى يتمّ التوحيد.

والحاصل: إن المسألة ليست مرتبطة بصورة الفعل الذى يأتى به العبد، بل الأمر يعود إلى لبّ ذلك الفعل وجذره وهو التوحيد، ولكن بعد أن أثبتنا ضرورة التوسّل فضلًا عن مشروعيته، بل شرطيته فى صحّة العقيدة والأعمال، يكون الأمر على عكس ما ذكروه من أن التوسّل بغير اللَّه تعالى يوجب الكفر والخروج

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۲۸

عن العقيدة التوحيدية، بل نقول: إن ترك التوسّل والتوجّه يوجب الجحود والاستكبار والكفر والخروج عن عقيدة التوحيد.

كذلك من الجدير بالإلتفات أن ثبوت ضرورة التوسّل بآيات اللّه وكلماته من الأنبياء والأولياء والأوصياء معناه ضرورة الإرتباط بكائن حيّ بشرى يربطنا مع الحيّ القيوم، فلابدّ من استشعار ضرورة وجود نموذج بشرى نرتبط به وله القدرة على أن يكون حلقة الوصل بين اللّه عزّ وجلّ وبين عبيده، وليس ذلك إلّا لعظمة اللّه تعالى وتنزّهه عن التشبيه والتجسيم والتعطيل.

وفى غير هذه الصورة تكون جميع المناسك العبادية كمناسك الحجّ عبارة عن جمادات لا حيوية فيها، وهذا يعطى استشعاراً بأننا نعظّم أحجاراً جامدة لا حيوية فيها ولا تماسّ لها باللّه الذى لا إله إلّاهو الحيّ القيوم.

بعد هذا البيان الموجز نقول:

إن المنكرين لمشروعية التوسّل استدلّوا على دعواهم ببعض الأدلّة، وهى بعد بيان ما هو الحقّ فى المسألة وأن التوسّل ضرورة لابدّ منها تكون شبهات وتلبيسات لابدّ من الإجابة عنها، وهذه عمدتها:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۲۹

شبهات المنكرين لجواز التوسّل ... ص: ۲۲۹

الشبهة الأولى: التوسّل عبادة لغير اللّه تعالى ... ص: ۲۲۹

اشارة

إن الدعاء عبارة عن النداء وطلب الحاجة، ولا شك أن الدعاء عبادة للمدعو؛ لأن الدعاء فيه نوع من التوجّه والقصد والنيّة، وهذه الأمور هى روح العبادة وقوامها، ولذا ورد فى الحديث «أن الدعاء مخ العبادة وجوهرها».

وبالتالى يكون دعاء غير اللّه تعالى وندبته وطلب الحاجة منه عبادة له، وهو من أوضح أنواع الشرك فى العبادة.

ويعبّر عنه بالشرك الصريح أو الشرك الأكبر، الذى يوجب الرّدة والارتداد عن الدين والمنافاة لأوليّات الدين الاسلامى، والخروج عن المواثيق والعهود التى التزم بها الشخص بالتزامه وتشهّده الشهادتين.

مع العلم أن جميع طقوس العبادة لا تبلغ درجة الدعاء الذى هو قوام حقيقة العبودية، وهو نوع افتقار إلى البارى تعالى.

والحاصل: إن الدعاء والنداء وطلب الحوائج من غير اللّه تعالى من أغلظ أنواع العبادة والتأليه للشخص المدعو، وهو عبارة عن الشرك الصريح أو الأكبر.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۳۰

الجواب عن الشبهة الأولى ...: ص: ۲۳۰

كان خلاصة الشبهة هو أن الدعاء والنداء وطلب الحاجة عبادة لا تجوز لغير اللّه تعالى.

والجواب عن هذه الشبهة اتضح ضمناً سابقاً فى بيان ما هو الحقّ فى المسألة، وأن الدعاء بمعنى النداء، والطلب إنما يكون عبادة للمدعو إذا اعتقد الداعى أن المدعو مستقل بالقدرة غنى بالذات، وأما إذا اعتقد الداعى أن المدعو لا يستقل بالقدرة، بل يستمد القدرة من البارى تعالى وأن الحول والقدرة التى لديه هى من البارى تعالى وأن المدعو إنما حصل عليها لمكان حظوته وقربه عند البارى وأن الداعى إنما يدعوه نظراً لقربه ووجاهته من البارى وأن تكريم اللّه له بالقرب والوجاهة حفاوة منه تعالى وإذن منه للاستشفاع والتوسّل والتوجّه به إليه عزّوجلّ، فإن دعاء ذلك الغير يعدّ حينئذٍ توجّهاً وقصداً إلى الحضرة الإلهية، لأن قصد القريب من

الحضرة الإلهية قصد للحضرة، كما أن الصدّ والإعراض عن القريب ابتعاد عن الحضرة الإلهية، فدعاء ذلك الغير هو دعاء للّه بآياته العظيمة ودعاء له بأسمائه الحسنى التى يظهر بها.

وينقض أيضاً على هذه الشبهة بطلب الحىّ الحاجة من الحىّ، مثل طلب العلاج من الطبيب، وطلب البناء من البنّاء، واصلاح الزراعة من الزرّاع، فإنه لا ريب فى عدم توقّف أحد من المسلمين، بل ولا من البشر عموماً فى ذلك.

ولم يقل أحد أن ذلك يوجب كفراً أو زندقة أو شركاً، والحال إنه على مقتضى كلامهم لابدّ أن يكون ذلك كفراً وشركاً؛ لأن الحدّ الذى ذكروه لبيان معنى الشرك ينطبق على نداء الحىّ للحىّ وطلب الحىّ الحاجة من الحىّ واستغاثته به، كما

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۳۱

فى قوله تعالى: «فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ» «۱»

وكذا فى التوسّل والتشفّع وتوسيط الحىّ للحىّ، فإنه لم يدّع أحد أن ذلك من الشرك والكفر، مع أن حدّ الشرك الذى زعموه ينطبق عليه تماماً.

لا سيما وأن هذه المباحث من المباحث العقلية التكوينية وهى لا تقبل التخصيص، بخلاف المباحث الاعتبارية الجعلية التى قد لا تكون مطّردة فى جميع المصاديق.

ثم إن أصحاب هذه المقالة حاولوا أن يجيبوا عن هذا النقض بجوابين:

الأول: إن سؤال الحىّ الحاضر بما يقدر عليه والاستعانة به فى الأمور الحسّية التى يقدر عليها ليس ذلك من الشرك، بل من الأمور العادية الحياتية الجائزة بين المسلمين.

الثانى: إن الأمور العادية والأسباب الحسّية التى يقدر عليها المخلوق الحىّ الحاضر ليست من العبادة، بل تجوز بالنصّ والاجماع، بأن يستعين الإنسان بالإنسان الحىّ القادر فى الأمور العادية، التى يقدر عليها كأن يستعين به أو يستغيث به فى دفع شرٍ ولده أو خادمه أو كلبه، وما أشبه ذلك، وكأن يستعين الانسان بالانسان الحىّ الحاضر القادر أو الغائب بواسطة الأسباب الحسّية، كالمكاتبة ونحوها فى بناء بيته أو إصلاح سيارته أو ما أشبه ذلك، ومن ذلك الاستغاثة التى جرت لأحد بنى إسرائيل عندما استغاث بموسى عليه السلام فى قوله تعالى: «فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ» «۲»

، وكذا استغاثه

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۳۲

الانسان بأصحابه فى الجهاد أو الحرب أو نحو ذلك، وأما الاستغاثة بالأموات والجنّ والملائكة والأشجار والأحجار فذلك من الشرك الأكبر، وهو من جنس عمل المشركين الأوّلين مع آلهتهم كاللّات والعزّى وغيرهما.

دفع الجوابين: جحود التوسّل يستند إلى التفويض ... ص: ۲۳۲

أما الجواب الأول: فالوهن فيه واضح؛ لأنه يقول الاستعانة بالانسان الحىّ القادر على الأمور العادية الحسّية ليس من الشرك، وكونه حيّاً أو ميّتاً لا يؤثّر فى تحقّق الغيرية مع اللّه عزّ وجلّ، والشرك- بحسب زعمهم- قائم بالغيريّة مع اللّه تعالى، والغيريّة لغة وعقلًا لا تختلف سواء جعل مصداق الغير والغيريّة الحىّ أو الميّت، فإن أحد الأجزاء المقوّمة لحصول الشرك كما ذكروا هو ضمّ غير اللّه تعالى إليه، وهذا لا يختلف فى تحقّقه سواء كان الغير حيّاً أو ميّتاً، فالتفريق بلا فارق.

وأما ما ذكروه من التعلّق بالقادر، حيث قيّد الجواب بالقادر، فنقول فيه: إن كانت القدرة التى يعتقدها للحىّ نابعة من ذاته بلحاظ الاستقلال لا من إقدار اللّه عزّ وجلّ وتمكينه فهو الشرك الأكبر، وقد كرّ هذا المجيب على ما فرّ منه.

وأما إن كان يعتقد أن هذه القدرة من اللّه تعالى ومضافة إلى المخلوق من قبل الخالق فأى فرق بين الحىّ والميت؟! فكما قد يُقدر تعالى الحىّ يُقدر روح الميّت على ما أقدر عليه الحىّ.

ثم إنه لا معنى للتفريق أيضاً بين الاستعانة بالأمور العادية وغيرها، فهل إن

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۳۳

قدرة اللّه تعالى تنحسر فى الأمور العادية والحسّية ويكون هناك ندّ فيها لقدرة الربّ عزّ وجلّ وهى قدرة الحىّ الحاضر؟! فإن هذا هو القول بالثنوية، ومعناه أنه فى الأمور غير العادية لابدّ من التوحيد بقدرة الربّ فيها وأما فى الأمور العادية فنؤمن بالثنوية.

وحيث أن الثنوية باطلة وشرك صريح فلابدّ من التوحيد فى جميع الأفعال الإلهية، وأنها كلّها تستند من دون جبر إلى البارى عزّ وجلّ، من دون أى درجة من درجات التفويض، وحينئذٍ يستوى الحال فى الأمور العادية والأمور غير العادية.

جحود التوسّل يستند إلى المذاهب الحسيّة المادية ...: ص: ۲۳۳

ثم ما هو الفرق فى التوسّل فى شفاء مريض على يد طبيب نادرة زمانة وبين التوسّل بأحد أولياء اللّه تعالى فى الشفاء؟!

فإن مورد الحاجة فى هذا المثال عادى، فهل الكلام فى مورد الحاجة وأنه لابدّ أن يكون من الأمور العادية أو فى السبب المتوسل به؟ وما هو الفرق فى السبب بين العادى وغير العادى إذا كان الأمر بيد اللّه تعالى وهو على كلّ شىء قدير؟!

مع أن الأدلّة الشرعية والدراسات الحديثة العلمية أثبتت أن طاقات البدن البرزخى لا تقاس بطاقات بدننا المادّى وقدرته، وأن البدن البرزخى يحتوى على طاقات هائلة تفوق قدرة أبداننا المادّية بكثير جدّاً، وعليه كيف نتصور أن الحىّ قادر على قضاء الحوائج بما لا قدرة للميت عليه بروحه وبدنه البرزخى؟!

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۳۴

أضف إلى ذلك كلّه أن تقييد الاستعانة والتوسّل بالأمور الحسّية ناشى من الايمان بأصالة الحسّ والمادّة والتنكّر للعوالم المخلوقة الأخرى التى ما وراء الحسّ والمادّة، وأن كلّ ما غاب عن الحسّ ينكر، وهذا الكلام أشبه بالفلسفات المادّية الحسّية، التى آمنت بأضعف العوالم وأدنى المراتب الوجودية وتنكّرت لبقيّة العوالم العلوية.

هذا بالنسبة إلى دفع الجواب الأول.

تفصيل الجاحدين للتوسّل فى الوسائط ...: ص: ۲۳۴

وأما الجواب الثانى: إن صاحب الشبهة بعد أن استشعر أن الجواب الأوّل غير موزون من الناحية العقلية تشبّث بالنصّ والإجماع وأن توسّل وتشفّع الحىّ بالحىّ فى الأمور العادية الحسّية جائزة بالنصّ والإجماع، وأما الاستغاثة والتوسّل بالأموات فهو من جنس عمل الوثنية.

والتمسّك بالدليل النقلى فى المقام، سواء فى جانب الجواز أو النفى غير تام من وجوه:

الأول: إن بحث الشرك بحث عقلى لا سيما فى الشرك الأكبر، فهو من أوليّات العقيدة التى للعقل فيها دور ومجال واسع، وإذا كان عقلياً يرد عليه ما ورد فى الدفع الأول، من أن حكم العقل وانطباق حدّ الشرك على الحىّ الحاضر والميّت سواء.

الثانى: الاستدلال على التحريم بأن الطلب من الأموات من جنس عمل الوثنيين، تمسّكاً بعموم دليل التحريم، مع أن موضوعه ومصبّه ما لم يأذن به اللّه

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۳۵

عزّ وجلّ، إذ سبق أن محطّ ومصبّ انكار العقيدة الوثنية فی القرآن الكريم هو التوجّه إلی ما لم يأذن به اللَّه تعالی ولم ينزل به سلطاناً، وكونه تحكيماً لسلطان العبيد وإرادتهم علی سلطان اللَّه وإرادته، ولم يكن المحذور فی أصل الوساطة، وسبق أيضاً أن اللَّه عليّ حكيم، متعال عن الجسمية والتجسيم وحكيم غير معطّل، فلابدّ من الوسائط والحجج، والعبادة إنما تتحقّق بالطوعانية للَّه‌تعالی وإن كان التوجّه بالفعل إلی الحجر كالتوجّه إلی الكعبة الشريفة، والشرك إنما يتحقّق بالاستكبار علی اللَّه تعالی حتّی مع نفی الواسطة كما فی إبليس.

الثالث: إذا كان توسيط غير اللَّه تعالی شركاً، فكيف يعقل تجويزه بالنصّ؟! فإن اللَّه عزّ وجلّ لا يأمر بالشرك.

وهذا يعنی أن توسيط الغير بحدّ ذاته ليس شركاً، فإذا جازت الاستغاثة بالحيّ لقيام النص والاجماع، أی الإذن الشرعی، فلا فرق إذن فی الاستغاثة بين الحيّ والميّت ما دام المجوّز لذلك هو الإذن، إذ يتّضح أن المدار فی الشرك ليس علی الغيرية مع اللَّه تعالی كما فرضه القائل، بل علی الإذن وعدمه وعلی وجود الأمر وعدمه، وقد أذن اللَّه عزّ وجلّ بذلك فی كثير من الآيات القرآنية، كما تقدّم فی قصة آدم وغيرها.

الشبهة الثانية: التوسّل خلاف كلمة التوحيد ... ص: ۲۳۵

اشارة

إن التوجّه والقصد والدعاء والنداء لغير اللَّه عزّ وجلّ ينافی مقتضی كلمة التوحيد، وهی قول (لا إله إلّااللَّه).

بيان ذلك:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۳۶

اختلف المفسّرون فی بيان قول (لا إله إلّااللَّه):

فهل المراد من تلك الكلمة المباركة التوحيد فی الذات أو التوحيد فی الصفات والأسماء أو التوحيد فی الأفعال أو التوحيد فی الخضوع والعبادة؟

وهذا الاختلاف ناشئ من الاختلاف فی تفسير معنی الألوهية (لا إله) وتفسير معنی لفظة (اللَّه).

فهل اسم الجلالة علم للذات أو هو اسم مشتقّ من التأليه؟

فإن كان مشتقّاً من التأليه وباقٍ علی المعنی الوصفيّ حينئذٍ يكون المعنيان متحدّين أو متقاربين.

وأما إذا كان لفظ الجلالة فی الأصل علماً للذات فيكون علی خلاف المعنی الأول وهو الألوهية والتأليه فی مقطع (لا إله).

وكيفما كان؛ فإن لفظ (إله) الذی جاء فی كلمة التوحيد معناه فی اللغة من أله يأله إذا تحيّر، ومعنی ولاه أن الخلق يولهون إليه فی حوائجهم ويضرعون إليه فيما يصيبهم، ويفزعون إليه فی كلّ ما ينوبهم، كما يوله كلّ طفل إلی أمه «۱».

إذاً فالمعنی اللغوی يتضمّن طلب الشیء والتوجّه نحوه.

وأما الإله فی الاصطلاح:

فقد اختلفوا فی بيان معناه؛ فبعض قال: هو بمعنی الاتجاه والقصد، وبعض آخر فسّره بالحبّ والعشق، وثالث قال: وله يأله من عبد يعبد، ورابع قال: وله يأله بمعنی اتخذه ربّاً وخالقاً، وغير ذلك من المعانی التی ذكرت لمعنی (إله).

ولكن اتفقوا علی أن التأليه فعل المخلوق، فأله ووله إنما يحكی شأن

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۳۷

المخلوق وهو التوحيد فى العبادة، وأما توحيد الذات أو الصفات أو الأفعال فإنما هو مرتبط بالواقعية ونفس الأمر، وأن هناك ذات واجبة قيّومة غنية الذات لها الأسماء الحسنى والكلمات التامّة وهذا كلّه غير مرتبط بفعل المخلوقات.

ولذلك يقال إن كلمة (لا إله إلا اللّه) تختلف عن التعبير ب (يامن لا هو إلّاهو)، فإن مفاد هذه العبارة غير مرتبط بفعل العبد، بل هو إخبار عن نفى أى ذات مستقلة واجبة الوجود إلّاذات اللّه عزّ وجلّ.

ولكن عندما نقول: (لا إله إلا اللّه) فإن التأليه فيه مادّة مأخوذة من فعل العبد وليس هو وصفاً أو معنىً قائم بذات واجب الوجود.

ومن ثم يقال إن النبىّ صلى الله عليه و آله بعث بكلمة (لا إله إلّااللّه) ولم يبعث ب (يا من لا هو إلّا هو)، إذ أن هذا توحيد الذات، والبشريّة قد أقرّته واعتقدت به، وهى الآن فى خطىً متقدّمة من التوحيد الأفعالى والتوحيد فى العبودية.

والخلاف فى زمن البعثة مع المشركين ليس فى توحيد الذات، بل فى توحيد العبودية وتوحيد الدعاء والطلب والتوسّل والتوجّه أو فى توحيد الأفعال باسنادها إلى اللّه عزّ وجلّ.

فالنبىّ صلى الله عليه و آله بُعث بالتوحيد فى الألوهية والعبادة والخضوع والخشية والوله والتوجّه، فلابدّ من ترك الدعاء والتوسّل والعبادة لغير اللّه تعالى، وهو ما كان عليه مشركى العرب.

والحاصل: أن معنى الشرك الذى حاربه الاسلام بكلمة التوحيد هو جعل أنداد للّه‌تعالى يستغاث ويتوسل بهم، فالتوسل جاهلية جديدة استُبدلت بالجاهلية القديمة.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۳۸

الجواب عن الشبهة الثانية ...: ص: ۲۳۸

كان حاصل هذه الشبهة هو أن مقتضى قول: (لا إله إلّااللّه) هو التوحيد فى العبادة، فإذا دعى غير اللّه عزّ وجلّ كان هذا نوعاً من العبادة والتأليه لغير اللّه عزّ وجلّ.

والجواب عن هذه الشبهة اتضح مما ذكرناه فى الدليل العام وكذلك ما ذكرنا من الجواب على الشبهة الأولى، وحاصله: أن التوسّل بالوسائط الإلهية التى أمر اللّه عزّ وجلّ بالتوجّه إليها هى عبادة للّه‌تعالى وطاعة وانصياعاً لأوامره وليس هو عبادة للوسائط، بل قلنا إن التوسّل طوعانية للأوامر الإلهية وهو عين التوحيد التام، فالتوسل مقتضى التوحيد فى العبادة وجحوده وإباؤه هو الاستكبار والكفر المنافى لكلمة التوحيد، ونبذ التوسّل جاهلية إبليس الذى أبى واستكبر وكان من الكافرين، فالتوسّل بالوسيلة المنصوبة للّه‌تعالى هو قصد للّه‌والصدّ عن تلك الوسيلة صدّ عن التوجّه إليه تعالى؛ لأن المفروض أن تلك الوسيلة والآية والكلمة هى علامة يُهتدى بها إليه تعالى، وتفتّح بها أبواب سماء الحضرة الإلهية، والعلامة سمة ووسم وإسم إلهى يُدعى به، بل إن قول القائل التوسّل باللّه معنى مقلوب غير صحيح، فإنّ البارى تعالى لا يجعل وسيلة إلى غيره؛ إذ ليس وراء اللّه منتهى ولا غاية كى يجعل هو تعالى واسطة إليها، بل هو غاية الغايات، وإلى شموخ عظمته توسّط الوسائط ويتوسّل بالوسائل، وقد تقدّم أن الاعتقاد بضرورة الواسطة والوسيلة إلى اللّه تعالى هو حاقّ حقيقة تعظيم اللّه وتنزيهه، ولم ينكر القرآن على المشركين هذه العقيدة، وهى ضرورة الحاجة إلى الوسيلة بين العبيد وخالقهم؛ ليقتربوا من خالقهم، لضرورة الحاجة إلى التقرّب والنجاة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۳۹

من البعد من جهة العبيد، وإن كان البارى تعالى قريب من كل مخلوقاته على السواء، إلّاأن مخلوقاته ليست فى القرب منه على استواء ولا فى القرب من عظمته ونوره وعلمه وقدرته على سواسية، فضرورة الحاجة إلى الوسيلة والقيام بالتقرب ضرورة نابعة من العبودية

والفقر إلى الغنى المطلق، وهذا ما لم ينكره القرآن على المشركين، كيف وهى عين التوحيد والتعظيم، بل إنما أنكر عليهم اتخاذ الوسائل والوسائط من قبل أنفسهم ومن قرائحهم ومن فرض إرادتهم فى تعيين الوسيلة على إرادة اللّه، وهى من تكبّر المعبود على العابد، فالإنكار عليهم نشأ من كونهم توسّلوا بوسائل وأسماء ما أنزل اللّه بها من سلطان، ومن ذلك يكون الجاحدون لضرورة التوسّل بالوسائط المنصوبة من قبله تعالى أشدّ جاهلية من المشركين؛ لأنهم لا يرجون للّهوقاراً ولا تعظيماً، فيجعلون البارى تعالى منالًا تحت أيديهم، لأن إنكار الحاجة إلى الوسيلة والوسائل هو إنكار لعظمة اللّه وكبريائه وعلوّ شأنه ورفعته وعزّته وجبروته وكينونته بالأفق الأعلى، فى حين قاهريته تعالى وهيمنته على تمام مخلوقاته وأنه خبير بصير، إلّاأن الحال من ناحية المخلوق تجاه الخالق هو بُعد المخلوق عن معرفة خالقه وبعده عن مقام الزلفى لباريه وكذا بعده عن حظوة الكرامة عند خالقه، وبعده عن استحقاق الإجابة والمنّ والتفضّل الإلهى، بعد كون المخلوق فى حُجب التقصير والقصور والجهل والجهالة، مما يستحق بها الطرد لا القرب والإبعاد لا الدنو والعقوبة لا الثواب والحرمان لا الإنعام، فكل هذه الحجب المانعة عن القرب يزيلها العبد بوجاهة الوسيلة عند الربّ العظيم، لا سيّما وأن اللجوء إلى الوسيلة التى هى آية للربّ المتعال هو لُجأ إلى الجناب الإلهى،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۴۰

وتعظيمها تعظيم للفعل الإلهى وزيادة خضوع للربّ بالخضوع إلى ما هو بمنزلة صفاته فى مقام الفعل فضلًا عن مقام ذات عزّه تعالى.

الشبهة الثالثة: التوسّل مخالف للآيات القرآنية ... ص: ۲۴۰

اشارة

حاول أصحاب هذه الشبه الاستناد إلى بعض الآيات القرآنية، وادّعوا أنها تدلّ على أن التوسّل والقصد لا يكون إلّااللّهعزّ وجلّ، وأن التوسّل بغيره شرك وإلحاد، منها الآيات التالية:

۱- قوله تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «۱».

فقوله تعالى: «فَادْعُوهُ بِهَا» معناه أنه فى مقام الدعاء والتوجّه لا يُدعى إلّا بأسماء اللّه عزّ وجلّ، وأما غير الأسماء الإلهية فيشملها قوله تعالى: «وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ» أى ينحرفون عنها إلى أسماء المخلوقات، كقول القائل: يا محمّد ويا علىّ ويا فاطمة، فإن هذا- بحسب زعمهم- انحراف وإلحاد فى أسماء البارى تعالى.

۲- قوله تعالى: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» «۲».

۳- قوله تعالى: «وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَايَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ» «۳».

۴- قوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۴۱

اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» «۱».

۵- قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُواْ رَبِّى وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا» «۲».

هذه الآيات المباركة لسانها واحد واستدلالهم بها قريب من الاستدلال بالآية الأولى، حيث أن هذه الآيات القرآنية تنهى عن أن يدعو الإنسان مع اللّه أحداً، أى لا يعبد مع اللّه مخلوقاً من المخلوقات، وإذا كان الدعاء روح العبادة وقوامها فسوف يكون منهيّاً عنه بمقتضى صريح هذه الآيات الكريمة؛ لكونه من الشرك الصريح.

۶- قوله تعالى: «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» «۳».

۷- قوله تعالى: «إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ» «۴».

وهذا اللسان من الآيات القرآنية يؤكّد على أن التوجّه إلى الغير بغية الاستنصار به شرك ومغالاة يوجب الخذلان الإلهى.

۸- قوله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَايَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» «۵».

۹- قوله تعالى: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۴۲

زُلْفَى» «۱».

فهاتان الآيتان دلّتا على وجوب نبذ مقالة المشركين الذين جعلوا أصنامهم شركاء فى الدعاء والتوسّل والتقرّب والتشفّع والوساطة بينهم وبين اللَّه عزّ وجلّ، والإسلام جاء لكسر مثل هذه الأصنام وإبطال عقيدة الصنمية والوثنية والمغالاة والتشفّع والتوسّل بغير اللَّه تعالى، وهو ما ابتلى به مشركو العرب، إذ لم يكن شركهم فى ذات اللَّه تعالى أو صفاته، بل كان شركهم شركاً فى العبادة والدعاء والاستغاثة والتوسّل.

فيُعلم من هذه الآيات أن التوحيد فى العبادة والدعاء والاستغاثة والتوسّل أساس الدين، وهدف الرسالة الإسلامية الخاتمة، وذلك لأن صحة الأعمال والنسك العبادية مشروطة بصحّة العقيدة، فمن يعمل ويعبد وكان فى معتقده الدينىّ شىء من الغلو والصنمية للأشخاص يحبط عمله كلّه، ويستدلّون لذلك بقوله تعالى: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» «۲»

، وقوله تعالى: «وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «۳»

، فصحّة العقيدة بالتوحيد شرطاً فى صحة وقبول الأعمال، ولابدّ حينئذٍ من نبذ كلّ ما يوجب الشرك وبطلان العقيدة، كالتشفّع والتوسّل بغير اللَّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۴۳

الجواب عن الشبهة الثالثة ...: ص: ۲۴۳

اشارة

الشبهة الثالثة عبارة عن تمسّكهم ببعض الآيات القرآنية التى زعموا أنها تنهى عن التوجّه والقصد إلى غير اللَّه عزّ وجلّ منها:

قوله تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَائِهِ» «۱»

، فلا يجوز التوسّل والدعاء بغير الأسماء الحسنى التى جاءت فى قوله تعالى: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُواْ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» «۲».

إذن لابدّ من التوحيد فى الدعاء الذى هو مخّ العبادة ولا يجوز القصد والتوجّه فى الدعاء إلى غير اللَّه عزّ وجلّ وأسمائه الحسنى؛ لأنه شرك وإلحاد بالأسماء الإلهية.

الجواب الأول: حقيقة الأسماء الالهية مستند للتوسّل ... ص: ۲۴۳

فى البدء لابدّ من الإجابة عن التساؤل التالى:

ما هو المراد من الأسماء الإلهية الواردة فى الآيات المباركة؟

الاسم فى اللغة عبارة عن السّمة والعلامة.

قال ابن منظور: (واسم الشىء علامته).

(قال أبو العباس: الاسم وسمة توضع على الشيء يُعرف به، قال ابن سيدة:

والاسم اللفظ الموضوع على الجوهر أو العرض لتفصل به بعضه عن بعض، كقولك مبتدئاً: اسم هذا كذا).

(قال أبو إسحاق: إنما جعل الاسم تنويهاً بالدلالة على‌المعنى) «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۴۴

إذن اسم الشيء سمته وعلامته وصفته الدالّة عليه.

والأسماء والصفات تنقسم إلى ذاتية وفعلية، فللّه تعالى أسماء وصفات ذاتية هى عين ذاته غير زائدة عليها، وله عزّ وجلّ أسماء وصفات فعلية هى عين فعله.

فالقدرة والعلم والحياة صفات ذاتية يُشتقّ منها القادر والعالم والحيّ، وهى أسماء ذاتية غير زائدة على الذات الإلهية المقدّسة.

والخلق والرزق والتدبير والربوبية والحكم والعدل وغيرها صفات فعلية يشتقّ منها أسماء فعلية، هى الخالق والرازق والمدبّر والربّ والحكم والعدل، ولا ريب أن الأسماء الفعلية غير الذات وليست عينها مخلوقة لها مشتقّة من أفعاله عزّ وجلّ.

ولا ريب أيضاً أن جملة وافرة من الأسماء الإلهية هى أسماء فعلية مشتقّة من أفعاله ومخلوقاته تعالى.

والمخلوق يكون اسماً للّه‌عزّ وجلّ بملاحظة صدوره من خالقه وأنه فقير له متقوّم به ليس له من نفسه شيء، دالّ بسبب افتقاره بما فيه من كمال على كمال خالقه وباريه، فهو سمة وعلامة على صانعه، وما فيه من عظمة وحكمة دالّة على عظمة وحكمة الخالق؛ إذ ليس له من ذاته إلّاالفقر والاحتياج.

الجواب الثانى: الكلمة والآية ...: ص: ۲۴۴

إن الكلمة والآية مع الاسم متقاربة المعنى متّحدة المضمون، فهى وإن لم تكن ألفاظاً مترادفة، إلّاأن مضمونها والمراد منها فى اللغة وفى القرآن الكريم واحد، وهو الدلالة على الشيء والعلامّية والمرآتية له.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۴۵

ففى لسان العرب:

(الآية العلامة) (وأيّا آية: وضع علامة).

وفيه أيضاً: (وقال ابن حمزة: الآية فى القرآن كأنها العلامة التى يفضى منها إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة للهداية) «۱».

كذلك قال فى اللسان:

(كلمات اللّه أى كلامه وهو صفته وصفاته) «۲».

أضف إلى ذلك أن الكلمة فى حقيقتها دالّة على مراد المتكلم وكاشفة عنه.

إذن الأسماء والآيات والكلمات فى شطر وافر منها عبارة عن مخلوقات دالّة بوجودها على وجود صانعها، ودالّة بعظمتها واتقانها وهادفيتها على عظمة وقدرة وحكمة البارى عزّ وجلّ، ومن ثمّ يكون كلّ مخلوق إسماً من أسماء اللّه تعالى وآية من آياته وكلمة من كلماته، ولكن الأسماء والآيات والكلمات على درجات فى الصغر والكبر، فكلّما كان الاسم أعظم والآية أكبر، لما أعطيت من المقامات والكرامات الإلهية كلّما كانت آيتيّة ذلك المخلوق وإسميته أعظم، لا سيما المخلوق الأول وهو نور النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام.

وقد ورد هذا الاستعمال فى القرآن الكريم فى موارد كثيرة جدّاً، منها:

۱- قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» «۳».

۲- قوله تعالى: «وَالَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۴۶

آيَةً لِلْعَالَمِينَ» «۱».

۳- قوله تعالى: «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» «۲».

۴- قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ» «۳».

۵- قوله تعالى: «هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ* فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» «۴».

فقد أطلق فى هذه الآيات المباركة على مريم عليها السلام أنها آية، وعلى عيسى عليه السلام أنه كلمة اللَّه وآيته للعالمين.

۶- قوله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» «۵».

۷- قوله تعالى: «فَتَلَقَّى ءادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» «۶».

۸- قوله تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۴۷

إِمَامًا» «۱».

۹- «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ» «۲».

فإن هذه المخلوقات العظيمة عند اللَّه عزّ وجلّ أسماء وآيات وكلمات وعلامات للَّه‌تعالى، وحينئذٍ تكون مشمولة لإطلاق قوله تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ» «۳»

فهذه الآية المباركة وغيرها، التى ذكروها للتدليل على مدّعاهم لا تعنى النهى عن التوجّه إلى اللَّه عزّ وجلّ بالوسائط، بل هى توجب وتعيّن التوجّه إلى اللَّه تعالى بأعاظم مخلوقاته وأسمائه الفعلية.

إذن ليست الآية المباركة غير صالحة للاستدلال بها على مدّعاهم فحسب، بل هى تحكمهم وتدينهم بالإلحاد عن أسمائه وتنصّ على ضرورة توسيط الأسماء الإلهية والمخلوقات الوجيهة عند اللَّه تعالى، ولابدّ من عدم الالحاد فيها والاعراض عنها فى الدعاء.

لكن لابدّ من الالتفات إلى أن النظرة إلى الوسائط لابد أن لا تكون نظرة استقلالية وموضوعية وبما هى هى، بل لابدّ أن تكون نظرة آلية حرفية آيتية، أى بما هى يُنظر بها إلى اللَّه تعالى، فالتوجّه بها لا إليها بما هى هى.

وبناء على ذلك يكون التعاطى مع الأسماء والآيات والوسائط على ثلاثة مناهج:

الأول: منهج إبليس وهو رفض وساطة الآيات والأسماء والمخلوقات

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۴۸

الوجيهة عند اللَّه عزّ وجلّ وإنكارها والإلحاد بها والصدّ عنها، وهذا شرّ المناهج، وهو الكفر والحجاب الأعظم؛ إذ مع الالحاد فى تلك المخلوقات العظيمة والأسماء الإلهية لا يمكن التوجّه والزلفى إلى اللَّه عزّ وجلّ؛ لأنه ليس بجسم وهو حقيقة الحقائق والمقوّم لها، فلا يجابه ولا يقابل، فلابدّ من التوجّه إلى المظاهر والمجالى والآيات.

الثانى: وهو منهج المغالين الذين ينظرون إلى الأسماء الإلهية بالنظرة الاستقلالية وبما هى هى ويتوجّهون إليها لا بها، وهذا أيضاً من الشرك والحجاب الذى يمنع عن معرفة اللَّه تعالى، ولكنّه أهون من سابقه؛ إذ أصحابه على سبيل نجاة فيما إذا شملهم اللَّه عزّ وجلّ بلطفه ورأوا ما وراء الآية من الحقائق، بخلاف من أعرض عن الآية بالمرّة.

الثالث: التوجّه بالآيات وتوسيطها فى الدعاء، وهذا هو التوحيد التام الذى يوصل إلى معرفة اللَّه تبارك وتعالى.

فالنظرة فى هذا المنهج إلى الأسماء الإلهية الفعلية من حيث هى مخلوقة للبارى تعالى ومرتبطة به ومفتقرة إليه ودالّة عليه، وأكرم

المخلوقات وأعظم الآيات هم النبيّ الأعظم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام؛ إذ حباهم اللَّه عزّ وجلّ بالكرامات والمقامات التكوينية، التى تفضل جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين، فهم عليهم السلام الأسماء التى تعلّمها آدم وفُضل بها على الملائكة كلّهم أجمعون، وذلك بنصّ سورة البقرة فى قوله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمٰآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هؤُلَآءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» «۱»

، حيث

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۴۹

جاء التعبير فيها ب (عرضهم) ولم يقل: عرضها، وكذا التعبير ب (هؤلاء) ولم يقل:

هذه، كلّ ذلك يدلّ على أن تلك الأسماء موجودات نورية مخلوقة حيّة شاعرة عاقلة، أفضل من جميع الملائكة، ولم يعلم بها الملائكة ولا يحيطون بها وهى تحيط بهم وهى أوّل ما خلق اللَّه تعالى، فهم عباد ليس على اللَّه أكرم منهم، أُسند إليهم ما لم يسند إلىغيرهم، ومكّنهم اللَّه عزّ وجلّ ما لم يمكّن به غيرهم بإرادته وإذنه وسلطانه.

والحاصل: إن تلك الآيات التى ذكروها لنفى التوسّل تدلّ على ضرورة التوجّه والتشفّع والتوسّل بالآيات الكبرى، والأسماء الفعلية الحسنى والعظمى وهم محمّد صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام- إلى اللَّه عزّ وجلّ، والباء فى قوله تعالى:

«فَادْعُوهُ بِهَا» للتوسيط وجعل الآيات والأسماء واسطة؛ ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«يا هشام اللَّه مشتق من إله، وإله يقتضى مألوهاً، والاسم غير المسمّى، فمن عبد الإسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد الإثنين، ومن عبد المعنى دون الإسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟ قال: قلت: زدنى، قال: للَّهتسعة وتسعون إسماً فلو كان الإسم هو المسمى لكان كل إسم منها إلهاً، ولكن اللَّه معنى يُدلّ عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكول والماء اسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار إسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا المتخذين مع اللَّه عزّ وجلّ غيره، قلت: نعم، فقال: نفعك اللَّه به وثبّتك يا هشام،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۵۰

قال: فواللَّه ما قهرنى أحد فى التوحيد حتى قمت مقامى هذا» «۱»

، فبيّن عليه السلام أن الإسم غير المسمى وهو الذات الإلهية ومغاير لها، ولو كان الاسم هو عين الذات الإلهية لكان كل اسم إلهاً ولتكثرت الآلهة، ولكن اللَّه ذات أحدية واحدة يُدلّ عليه وله علامات هى هذه الأسماء المتكثرة المتعدّدة، فالأسماء آيات وعلامات وكلمات دالّة ووسيلة إلى الذات، فظهر أن قوله تعالى: «لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا» «۲»

برهان قرآنى على ضرورة الوسيلة، وهى الكلمات والآيات الإلهية، بأن يدعى اللَّه بها، فلا يُدعى اللَّه بدونها، بل لابدّ من توسيطها فى دعاء اللَّه، وذلك بالتوجّه بها إليه، فلابدّ من تعلّق التوجّه بها كى يتوجّه منها إلى اللَّه، ولابدّ من تعلّق الدعاء بها ليتحقّق دعاء اللَّه تعالى، وقد جعلت الآية الإعراض عن الأسماء والكلمات والآيات الإلهية إلحاداً ومجانبة وزيغاً عن الطريق إلى اللَّه، ومن ثمّ قد أُكّد فى الآية أن الأسماء الإلهية بكثرتها الكاثرة هى برمّتها ملك للَّهتعالى مملوكة له، فالاستخفاف بها استخفاف بالعظمة الإلهية، وجحود وساطتها استكبار وتمرّد على الشأن الإلهى، ومنه يعرف اتحاد الإسم والوجه وأن الأسماء هى وجه اللَّه التى يتوجّه بها إليه، وأن من له وجاهة ووجيه عند اللَّه هو وجه للَّهيتوجّه به إليه تعالى، فيكون إسماً وآية وكلمة للَّهتعالى.

نعم بين الأسماء والكلمات والآيات درجات وتفاضل فى الدلالة عليه تعالى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۵۱

عظمة وكبراً.

وذلك لأن الاسم إذا كان من أسماء الأفعال يكون مخلوقاً للَّهتعالى وآية من آياته، فالعبادة ليست له، بل لباريه تعالى، ومن ثم يتوجّه

إليه كمرآة وآية يُنظر بها ولا ينظر إليها؛ ولذا تكون إسماً وعلامة، وأما إذا نظر إلى الاسم بما هو هو، فيكون حينئذٍ صنماً موجباً للشرك والكفر وهو الغلو المنهيّ عنه، ولكن هذا لا يعنى رفض الأسماء والوسائط، فإن ذلك يحجب عن المسمّى أيضاً، فلا يلحد بها ولا ينظر إليها بالاستقلال بل ينظر بها، وذلك لما بيّناه سابقاً من أنه لا تعطيل ولا تشبيه، فالالحاد فى الأسماء تعطيل للبارى بعد عدم كونه جسماً يقابل أو يجابه أو يشابه مخلوقاته وهو نفى الجسميّة، فلا محيص عن التوجّه بالأسماء، لا سيّما الاسم الأعظم وهو أوّل ما خلق اللَّه عزّ وجلّ، نور النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، الذين بواسطتهم وصل آدم إلى ما وصل إليه من الخلافة، عندما علّمه اللَّه عزّ وجلّ تلك الأسماء الحيّة الشاعرة العاقلة المجرّدة النوريّة، التى هى أعظم آيات البارى تعالى وأفضل من جميع الملائكة.

الكلمات التامّات:

هناك آيات عديدة تدلّ بمعونة الروايات الواردة فيها- على أن الكلمات التامّات والآيات الكبرى للَّهعزّ وجلّ هم النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام منها:

١- ما تقدّم من قوله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هؤُلآءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» «١»

، وقد سبق تقريب الاستدلال بهذه الآية المباركة، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن اللَّه تبارك وتعالى كان ولا شيء، فخلق خمسة من نور جلاله، وجعل لكلّ واحد منهم إسماً من أسمائه المنزلة، فهو الحميد وسمّى النبيّ محمّداً صلى الله عليه و آله، وهو الأعلى وسمّى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۵۲

أمير المؤمنين عليه السلام عليّاً، وله الأسماء الحسنى فاشتقّ منها حسناً وحسيناً، وهو فاطر فاشتقّ لفاطمة من أسمائه إسماً، فلمّا خلقهم جعلهم فى الميثاق، فإنهم عن يمين العرش، وخلق الملائكة من نور، فلما نظروا إليهم عظّموا أمرهم وشأنهم ولقّنوا التسبيح فذلك قوله: «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ* وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» «١»

فلمّا خلق اللَّه تعالى آدم صلوات اللَّه وسلامه عليه نظر إليهم عن يمين العرش، فقال: يارب مَنْ هؤلاء؟ قال: ياآدم هؤلاء صفوتى وخاصّتى، خلقتهم من نور جلالى وشققت لهم إسماً من أسمائى، قال: ياربّ فبحقّك عليهم علّمنى أسماءهم، قال: ياآدم فهم عندك أمانة، سرّ من سرّى، لا يطّلع عليه غيرك إلّابإذنى، قال:

نعم ياربّ، قال: ياآدم أعطنى على ذلك العهد، فأخذ عليه العهد، ثم علّمه أسماءهم ثم عرضهم على الملائكة، ولم يكن علّمهم بأسمائهم، «فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هؤُلآءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قَالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّآ أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ» «٢»

علمت الملائكة أنه مستودع وأنه مفضّل بالعلم، وأُمروا بالسجود إذ كانت سجدتهم لآدم تفضيلًا له وعبادة للَّه، إذ كان ذلك بحقّ له، وأبى إبليس الفاسق عن أمر ربّه» «٣».

٢- قوله تعالى: «فَتَلَقَّى ءادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ»، ويمكن تقريب دلالة الآية إجمالًا على كون الكلمات هى النبى وأهل بيته بما تقدّمت الإشارة من

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۵۳

إطلاق الكلمة فى القرآن الكريم على النبى عيسى عليه السلام بما هو حجّة للَّهاصطفاه على العباد، فمنه يعرف أن الكلمة فى استعمال القرآن تطلق على حجج اللَّه وأصفيائه، ويشير إلى ذلك أيضاً قوله تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا» «١»

حيث تومئ الآية إلى كون كلمة اللَّه تعرف بالصدق والعدالة وهو وصف لحجج اللَّه، وهذا الوصف أحرى بالصدق على سيد الأنبياء بعد صدقه على النبى عيسى عليه السلام، وقد وردت بذلك الروايات من الفريقين كما سيأتى معتضداً ذلك بأن الأسماء التى تعلّمها

آدم وشرّف بها على الملائكة قد مرّ أنها عرّفت بضمير الجمع للحى الشاعر العاقل وأشير إليها بإسم الإشارة للجمع الحى الشاعر العاقل، مما يدلُّ على أنها موجودات وكائنات حيّة شاعرة عاقلة، نشأتها فى غيب السماوات والأرض لعدم علم ملائكة السماوات والأرض بها، كما أُشير إلى ذلك بقوله تعالى: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» «۲»

ولا ريب أن أشرف الكائنات بنصوصية الكثير من الآيات وروايات الفريقين هو سيد الأنبياء، كما قد تبيّن أن الكلمات التى بشرفها قُبلت توبة آدم أوّلها وأسماها هو سيد الأنبياء، وحينئذٍ تُبيّن الآيات أن تلك الأسماء والكلمات حيث عبّر عنها بلفظ الجمع يقتضى أن مع سيد الأنبياء حجج آخرين للّه تعالى شُرّف بمعرفتهم آدم وتاب اللّه بهم عليه، ولا نجد القرآن الكريم يُنزّل منزلة نفس النبى أحداً من الأنبياء والرسل، بل نزل على بن أبى طالب منزلة نفس النبى صلى الله عليه و آله وهذه خصيصة اختصّ هو عليه السلام بها، كما لم يُشرك اللّه تعالى فى طهارة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۵۴

النبى وعصمته ونمط حجيّته وعلمه بالكتاب كلّه مع العديد من المقامات الأخرى أحداً من أنبيائه ورسله، لكنه أشرك أهل بيته، وهم على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، كما فى آية التطهير والمباهلة ومسّ الكتاب من المطهرين من هذه الأمة وغيرها من الآيات النازلة فيهم.

فتبيّن أن قرين سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله فى المراد من الكلمات والأسماء هم أهل بيته عليهم السلام.

وقد ورد فى كتب الفريقين من السنّة والشيعة أن الكلمات التى تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه هم النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، فدعا اللّه عزّ وجلّ بواسطة الكلمات فتاب عليه.

منها: ما أخرجه الحاكم فى المستدرك عن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «لما اقترف آدم الخطيئة، قال: ياربّ أسألك بحقّ محمّد لمّا غفرت لى، فقال: ياآدم وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟، قال: ياربّ لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىّ من روحك رفعت رأسى، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلّااللّه محمّد رسول اللّه، فعلمت أنك لم تُضف إلى إسمك إلّاأحبّ الخلق إليك، فقال: صدقت ياآدم إنه لأحبّ الخلق إلىّ، ادعنى بحقّه فقد غفرت لك ولولا محمّد ما خلقتك» «۱»

، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد.

ومنها: ما أخرجه الحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل عن ابن عباس قال:

«سألت رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن الكلمات التى تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، قال:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۵۵

سأل بحقّ محمّد وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين إلّاتبت على فتاب عليه» «۱».

ومنها: ما أخرجه السيوطى عن الإمام على عليه السلام أنه ذكر أن اللّه عزّ وجلّ علّم آدم الكلمات التى تاب بها عليه وهى: «اللّهم إنى أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد سبحانك لا إله إلّاأنت عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفر لى إنك أنت الغفور الرحيم.

اللّهم إنى أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد سبحانك لا إله إلّاأنت عملت سوءاً وظلمت نفسى فتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم، فهؤلاء الكلمات التى تلقّى آدم» «۲».

۳- قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ» «۳».

فالكلمة اطلقت على عيسى عليه السلام، وهذا الإطلاق غير خاص به عليه السلام، بل هو شامل لكلّ الأنبياء لا سيما أولوا العزم منهم ولا سيما خاتم النبيين، فهو أفضل الأنبياء وسيّدهم وأعظمهم، فلا محالة يكون هو الكلمة الأتمّ، وكذا من هم نفس النبىّ صلى الله عليه و آله وهم أهل بيته عليهم السلام.

۴- قوله تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» «۴»

فإن إبراهيم عليه السلام بلا شك كلمة وآية من آيات اللَّه تعالى؛ لأنه أفضل من عيسى عليه السلام، ومع ذلك امتحنه اللَّه عزّ وجلّ بكلمات تفوقه فى المقام والمنزلة،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۵۶

ولمّا ثبت فى الامتحان فاز بمقام الإمامة بعد الخلّة والنبوّة والرسالة، فلا محالة تكون الكلمات هم سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله وآخرين غير النبى إبراهيم والنبى عيسى وموسى وآدم عليهم السلام.

والكلمات كما جاء فى الروايات- هم خمسة أصحاب الكساء، فإبراهيم نال مقام الخلافة فى الأرض والزلفى عند اللَّه عزّ وجلّ بالكلمات، كما أن آدم فضّل على الملائكة وأصبح مسجوداً لهم لتعلّمه الأسماء الحسنى والآيات العظمى، وهم أهل آية التطهير عليهم السلام.

وكذلك آدم تسنّم مقام الخلافة الإلهية بتوسّط علم الأسماء الحيّة العاقلة النوريّة، التى تحيط بجميع المخلوقات، ولا يحيط بها مخلوق من المخلوقات إلّا بما شاء اللَّه عزّ وجلّ.

عن المفضّل بن عمر عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، قال: سألته عن قول اللَّه عزّ وجلّ: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» ما هذه الكلمات؟

قال: «هى الكلمات التى تلقّاها آدم من ربّه فتاب اللَّه عليه، وهو أنه قال:

أسألك بحقّ محمّد وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين إلّاتبت علىّ، فتاب اللَّه عليه إنه هو التواب الرحيم» «۱».

۵- قوله تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ» «۲».

وقد كان المعصومون الأربعة عشر كلّهم عليهم السلام يقرأون هذه الآية عند ولادتهم، فهم الكلمات التامات التى تمّت صدقاً وعدلًا لا مبدّل لكلماته، وقد مرّت الإشارة إلى أن نعت الكلمة بالصدق والعدالة يشير إلى حجج اللَّه فيما

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۵۷

يؤدّونه عن اللَّه وما هى عليه سيرتهم من الصدق والعدل والعدالة، هذا كلّه بالنسبة إلى الجواب الأوّل وتفصيلاته.

الجواب الثالث: الآيات القرآنية

۱- وهو ما جاء فى قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ» «۱».

الاستكبار على الآيات الوارد فى هذه الآية المباركة نظير ما فعله إبليس، حيث أبى واستكبر أن يسجد لآدم، فكذّب بآية من آيات اللَّه تعالى، وذلك عندما قال: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» «۲»

وقد استند فى تكذيبه هذا إلى القياس الباطل وهو لا يعلم حقائق دين اللَّه تعالى، ولا يعلم أن جانباً آخر فى آدم نورىّ يعلو على النار هو الذى أهّله لذلك المقام، وليس الطين إلّا وجوده النازل المادّى.

ثم إن الآية المباركة ذكرت أثراً آخر من آثار التكذيب بالآيات الإلهية والاستكبار عليها، حيث قالت: «لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ»، ومن الواضح أن أبواب السماء إنما تفتّح حين الدعاء والعبادة والتوجّه إلى اللَّه عزّ وجلّ وحين إرادة الزلفى والقرب، وكذلك لتصاعد الإيمان والعقيدة، كما يشير إليه قوله تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ» «۳»

، فهذه الآية المباركة تقول إن الذين يكذّبون بآيات اللَّه تعالى وأسمائه وكلماته ويستكبرون عنها كما فعل إبليس لا

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۵۸

تفتّح لهم أبواب السماء، فلا يمكنهم أن يدعوا اللَّه أو يتقرّبوا إليه، ولا يستجاب لهم دعاؤهم ولا عباداتهم كالصلاة والصوم والحجّ.

والربط بين ترك الآية والاعراض عنها والاستكبار عليها وبين عدم القرب وعدم قبول الدعاء وعدم تفتّح الأبواب هو أن اللَّه عزّ وجلّ

ليس بمـادّى ولاـ بجسم، فلاـ يمكن أن يقابل أو يجابه فلا زلفى إلّابالآيات والإيمان بها والطاعـة والخضوع لها والتوجّه بها إلى اللَّه عزّ وجلّ: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا»، وقد مرّ فى هذا الفصل وفى الفصل الثالث أن الآيات هم الحجج المصطفون، فلابدّ عند إرادة التوجّه إلى سـماء الحضـرة الإلهية بالدعاء والعبادة والازدلاف من التوجّه بهم والتوسّل بهم؛ لأن ذلك مفتاح فتح أبواب السـماء، فهذه الآية تتشاهد وتتطابق مع الآية المتقدمة من قوله تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْـمَاءُ الْحُسْـنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «۱»

وأن الأسـماء التى يُـدعى بها فى مقام الدعاء والفوز على اللَّه هى الآيات التى لابدّ من الإيمان بها والخضوع والإقبال عليها والتوجّه بها إلى الحضرة السماوية.

وهـذا المضـمون هو مـا ورد فى الروايات المتواترة من أن ولايـة أهل البيت عليهم السـلام شـرط فى قبول الأعمال والعقائـد، فإمامتهم عليهم السـلام مقام من مقامات التوحيـد فى الطاعـة، وهى شـرط التوحيد وكلمة لا إله إلّااللَّه، فمن لا ولاية ولا طاعة له لا يقبل اللَّه عزّ وجلّ له عملًا، كما هو الحال فى إبليس، حيث لم يقبل اللَّه عزّ وجلّ أعماله، ولم يقم له وزناً وطُرد من جوار اللَّه وقربه.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۵۹

إذن من لا يـذعن بالواسـطة والولايـة لا يقبل له عمل، لأنه لا تفتّح له الأبواب، ولا يكون ناجياً يوم القيامة «وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ».

۲- وهو قوله تعالى: «وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ» «۱»

، فهذه الآية جاءت فى سياق واحد مع قوله تعالى:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْـجُدُوا لآدَمَ فَسَـجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ* قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْـجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ» «۲»

، فالسـياق الواحـد فى هـذه الآيـات دالّ على أن مـا فعله إبليس كـان إنكـاراً وظلماً لآيـة من آيات اللَّه تعالى، ودالّ أيضاً على أن ثقل الميزان والقرب وقبول الأعمال إنما يتمّ بالخضوع للآيات والإيمان بها.

وليست الأصنام إلّاالوسائل والوسائط المقترحة.

۳- قوله تعالى: «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» «۳»

، وتقريب الاسـتدلال بهذه الآية كالتقريب الذى تقدّم فى الآيات التى سبقتها، ولا يخفى ما فى التعبير ب (عنها) دون التعبير ب (عليها) من دلالة على الاعراض والإنكار لوساطة الآيات الإلهية، وأنه موجب لبطلان الأعمال والخلود فى النار.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۶۰

الشبهة الرابعة: الأعمال الصالحة هى الوسيلة التوسّل والوسيلة حقيقة العقيدة بالنبوّة والرسالة ... ص: ۲۶۰

اشارة

لقد قام أصحاب هذا الاتجاه المنكر لمبدأ التوسّل بتوجيه قوله تعالى:

«وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ» «۱»

، حيث فسّروا الوسيلة فى هذه الآية بالطاعات والقربات والأعمال الصالحة التى يتقرّب بها العبد إلى ربّه.

وقد ورد فى الأحاديث بأن العبد لا يتقرّب إلى اللَّه عزّ وجلّ إلّابالطاعة والعمل الصالح، فطوعانية العبد لربّه هى وسـيلته الوحيدة، وليس بين اللَّه وبين خلقه قرابـة وقرب إلّابالطاعـة «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْـدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» فالجنّـة يـدخلها المطيع ولو كان عبـداً حبشـياً والنار يـدخلها

العاصى ولو كان سيّداً قرشيّاً.

الجواب عن الشبهة الرابعة ...: ص: ۲۶۰

كان حصيلة الشبهة الرابعة هو تمسّكهم بقوله تعالى: «وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ» حيث فسّروا الوسيلة بالأعمال الصالحة من البرّ والتقوى والورع وسائر العبادات، وأن طوعانية العبد لربّه هى الوسيلة الوحيدة للنجاة والفوز بالجنة.

وفى المقدّمة نحن لا ننفى كون الأعمال الصالحة وسيلة من وسائل القرب إلى اللَّه عزّ وجلّ، ولكن نريد أن نقول هى أحد مصاديق الوسيلة وليست الوسيلة منحصرة بها، وذلك بمقتضى نفس زعمهم من أن الوسيلة هى الأعمال الصالحة والطاعات، حيث أن أعظم الأعمال الصالحة والطاعات هو الإيمان باللَّه ورسوله؛ إذ لا يقاس بالإيمان بقيّة الأعمال من الصلاة والصيام والحج وغيرها،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۶۱

بل إن بقية الأعمال لا- تقبل ولا- يثاب عليها الإنسان إلّابالإيمان، فإذا كان الإيمان أعظمها، والإيمان هو الإيمان باللَّه ورسوله واليوم الآخر، بل إن الإيمان بالرسول صلى الله عليه و آله هو الهادى إلى حقيقة التوحيد، فيكون الإيمان بالرسول صلى الله عليه و آله من أعظم ما يتوسّل به إلى اللَّه عند الدعاء وعند العبادة وعند التوجّه إلى الحضرة الإلهية، فهذا يقتضى كون الرسول صلى الله عليه و آله أعظم وسيلة، لأن الإيمان إنما حاز هذا الشرف العظيم ومكان الوساطة والوسيلية إلى اللَّه تعالى ببركة تعلّق الإيمان بالنبى صلى الله عليه و آله، إذ شرف المعرفة بالمعروف الذى تعلّقت به المعرفة، كما أن شرف العلم بالمعلوم الذى تعلّق به العلم، فذات المعلوم والمعروف أشرف من العلم والمعرفة المتعلّقة بهما، ومن شرف ذات المعلوم المعروف ترشّح شرف العلم والمعرفة، فهذا يقضى بالضرورة أن أعظم الوسائل هو النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومن ثم نُعت فى القرآن الكريم بأنه رحمة للعالمين، وهذا ما أشارت إليه الأدلّة المتضافرة من أنه صلى الله عليه و آله صاحب الوسيلة الكبرى والشفاعة العظمى.

ولكى تكون الاجابة واضحة لابدّ من التأمل فى مفاد الآية المباركة، وذلك ضمن النقاط التالية:

النقطة الأولى: ما هو المراد من الوسيلة ...؟ ص: ۲۶۱

لقد جاء التعبير فى الآية الكريمة هكذا «وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ» ولم يقل اللَّه عزّ وجلّ (وابتغوه بالوسيلة)، وليس ذلك إلّاللتنبيه على أن الذى يُبتغى ويُقصد لطلب الحوائج هو الوسيلة، التى تكون واسطة فى الفيض بين العبد وربّه، ومعنى الآية المباركة وابتغوا الوسيلة إليه، فالابتغاء والقصد والتوجّه بالوسيلة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۶۲

إلى اللَّه عزّ وجلّ، ولا تتحقّق البُغية إلى اللَّه تعالى إلّابالوسيلة؛ ولذا لابدّ من تحديد ما هو المراد من الوسيلة.

إن روايات الفريقين متّفقة على أن الوسيلة مقام من المقامات المشهودة والسامية للنبىّ الأعظم صلى الله عليه و آله، وهى على طوائف متعدّدة:

منها: الطائفة التى فسّرت الوسيلة بالمقام المحمود ومقام الشفاعة المختصّ بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وذلك كقوله صلى الله عليه و آله: (سلوا لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنّة لا تنبغى إلّالعبد من عباد اللَّه وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلّت عليه الشفاعة) «۱»، وقد فهم بعض الشرّاح من هذا الحديث أن المقصود من الوسيلة فيه هى الشفاعة ذاتها «۲».

ولا شكّ أن الروايات نصّت على أن الشفاعة هى المقام المحمود، فالشفاعة التى هى المقام المحمود لا تحلّ على الشخص إلّابسؤال ذلك الشخص مقام الوسيلة للرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

ومنها: الطائفة التى يظهر منها أن مقام الوسيلة والشفاعة والمقام المحمود مناصب متعدّدة للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، كقوله

صلى الله عليه و آله: «من قال حين يسمع النداء اللّهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمّداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته إلّاحلّت له شفاعتى يوم القيامة» «۳»

، وظاهر هذه الرواية تغاير المقامات الثلاثة وهى الوسيلة والمقام المحمود والشفاعة.

ومنها: الروايات التى ذكرت أن مقام الوسيلة منبر من نور ينصب للنبىّ صلى الله عليه و آله،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۶۳

فعن النبىّ صلى الله عليه و آله فى حديث له مع أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «إذا جمع اللّه الأولين والآخرين يوم القيامة وضع لى منبر بين الجنة والنار من نور، لذلك المنبر مائة مرقاة وهى الدرجة الوسيلة، ثم تحفّ بالمنبر النبيّون ثم الوصيّون ثم الصالحون ثم الشهداء، ثم يجاء إلىّ، فيقال لى: يامحمّد قم فارقه، قال: فأرقى حتى أصير فى أعلى مرقاة من المنبر- إلى أن قال صلى الله عليه و آله ثم يقال لك: إرقَ ياعلىّ، فترقى ياأبا الحسن حتّى تصير أسفل منّى بمرقاة، فأناولك يمينى وأقعدك على جنبى الأيمن، وأقول: هذا الموقف الذى وعدنى ربّى أنه يعطنى فيك» «۱».

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وفوق قبّة الرضوان منزل يقال له الوسيلة، وليس فى الجنّة منزل يشبهه وهو منبر رسول اللّه صلى الله عليه و آله» «۲».

ومنها: الروايات التى ذكرت أن مقام الوسيلة مقام حظوة وحبوة للنبىّ صلى الله عليه و آله، ويطول المقام بذكرها فلا- حاجة إلى استعراضها، وبعض الروايات المتقدّمة فيها إشارة إلى ذلك.

ولا- يوجد أى تنافى بين هذه الطوائف من الروايات، حيث أنها تثبت للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله مقاماً خاصّاً لا يدركه ملك مقرّب ولا نبىّ مرسل، وهذا المقام فى جهة من جهاته يسمّى بالمقام المحمود وفى أخرى يسمّى بالوسيلة وفى ثالثة يسمّى بالشفاعة، وهذا أيضاً لا يتقاطع مع كون مقام الوسيلة منبر من نور؛ لأن التعبير بذلك للدّلالة على حظوة النبىّ صلى الله عليه و آله وحمد مقامه عند اللّه عزّ وجلّ فى ذلك اليوم العصيب، الذى يكون فيه كلّ الأنبياء على جانب عظيم من الوجل

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۶۴

والشفقة والخشية، والكلّ يستغيث وانفساه، والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى تلك الحال وجيه عند اللّه عزّ وجلّ على منبر من نور صاحب حظوة ومكانة دون باقى البشر، فالمنبر كناية عن الوجاهة والقرب والزلفى والواسطة والشفاعة وأنه يتوسّط به إلى اللّه عزّ وجلّ ويستغاث به للنجاة من النار، فهو صاحب الشفاعة الكبرى، وهو القائل: «ادّخرت شفاعتى لأهل الكبائر من امتى» «۱».

النقطة الثانية: الرابطة بين الشفاعة والتوسّل ... ص: ۲۶۴

قلنا فى النقطة السابقة أن المقام المحمود هو الشفاعة، كما نصّت على ذلك الروايات «۲»، وأشرنا أيضاً إلى أن الاستشفاع بشفاعة الشفيع والتوسّل بالوسيلة وجهان لمقام واحد، ونريد الوقوف قليلًا عند هذه الحقيقة، فإن تفرقة المتكلمين والفقهاء بين الشفاعة والتوسّل صحيحة من جهة وخاطئة من جهة أخرى، وذلك لأن التوسّل والشفاعة وجهان لحقيقة واحدة لا ينفصلان عن بعضهما البعض، فالتوسل هو فعل صاحب الحاجة عند الشفيع، والشفاعة هى فعل الشفيع بينه وبين المشفوع عنده، فإذا لاحظنا جهة العلاقة والرابطة بين طالب الشفاعة والشفيع يقال توسّل واستشفاع، وإذا لاحظنا نفس العملية ولكن من جهة الرابطة بين الشفيع والمشفوع عنده فيقال لذات تلك العملية شفاعة، فالوسيلة تتلوها الشفاعة والشفاعة يتلوها قضاء الحوائج وغفران الذنوب.

وإذا كان المسلمون قد أجمعوا على ثبوت المقام المحمود والشفاعة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۶۵

الكبرى للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فهو يستلزم اجماعاً آخر وهو جواز التوسّل بالنبىّ صلى الله عليه و آله وإن غفل شرذمة عن

هذا اللازم، فإذا جازت الشفاعة من النبيّ صلى الله عليه و آله وهو فعل يقوم به بالإضافة إلى اللّه عزّ وجلّ فى حقّ أصحاب الحاجات فبالتالى سوف يكون التوسّل راجحاً ومشروعاً لا محالة؛ لعدم تصوّر انفكاك مشروعية الشفاعة عن مشروعية التوسّل؛ لأن التوسّل متعلّقه طلب الشفاعة فإذا كانت الشفاعة مشروعه كيف يكون طلب المشروع غير مشروع؟!، بل حيث إن معتقد الشفاعة للنبى صلى الله عليه و آله دين من أسس الإيمان فلا محالة يكون التوسّل معتقد دينى من أسس الإيمان أيضاً، بل حيث كانت الضرورة قائمة على ثبوت مقام الشفاعة للنبى صلى الله عليه و آله فلا محالة الضرورة قائمة أيضاً على أن التوسّل من أركان العبادات.

فالذهاب إلى الوسيط وطلب توسيطه فى قضاء الحاجة توسّل وعمل الوسيط شفاعة، والشفع هو الضمّ، فيضمّ الوسيط جاهه إلى حاجة المتوسل فيقضيها المشفوع عنده، فالتوسّل من مقوّمات الدعاء والتوجّه للحضرة الإلهيّة.

إذن دليل التوسّل القول بمشروعية وضرورة الشفاعة بقول مطلق.

وبناء على ذلك يكون عقد بابين مستقلّين للتوسل والشفاعة من المماشاة للغفلة التى وقع فيها أصحاب المقالة الجاحدة لعقيدة التوسّل، وإلّا فإن باب الشفاعة لا يمكن أن ينفك عن باب التوسّل؛ لأن التوسّل هو طلب التشفّع.

النقطة الثالثة: عموم تشريع الشفاعة ... ص: ۲۶۵

حاول أصحاب هذه المقالة تحديد نطاق الأدلّة الدالّة على تشريع شفاعة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، حيث قالوا تارة بأن الشفاعة فى دار الدنيا لا تجوز إلّاإذا كان

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۶۶

النبيّ الأكرم حيّاً فى هذه الدنيا، وأما بعد وفاته فلا مشروعية للشفاعة إلّايوم القيامة دون الشفاعة فى الدنيا أو البرزخ، وقالوا أخرى بأن متعلّق الشفاعة طلب الغفران من الذنوب، وليس طلب الحاجات الدنيويّة، كشفاء المريض وغيره.

أما المزعمة الأولى: من أن الشفاعة فى الآخرة فقط أو مع حياة النبيّ صلى الله عليه و آله:

فهى مبتنية على أن الشرك بالنصّ وعدم النصّ، مع أن الشرك من مدركات العقل وأحكامه، وهى غير قابلة للتخصيص، فإذا كان التشفّع شركاً فلابدّ أن يكون كذلك فى جميع النشآت وسواء كان النبيّ صلى الله عليه و آله موجوداً فى دار الدنيا أو بعد وفاته.

فالتفرقة لجوء منهم إلى النصّ وأن الشرك ليس له حدّ عقلى منضبط، وهو خلاف ما عليه علماء المسلمين، من أن الشرك إما بحثه عقلى أو عقلى ونقلى وليس هو نقلياً محضاً، هذا أولًا.

وثانياً: مع فرض أن دليل مشروعية الشفاعة نقلى، فلا دليل على الاختصاص بيوم القيامة؛ لأن الآية مطلقة، فقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ» شامل لما بعد وفاة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وهو صلى الله عليه و آله حيّ عند ربّه يرزق، مضافاً إلى قوله تعالى: «قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ» فالنبيّ صلى الله عليه و آله ناظر للأعمال، والآية الكريمة مطلقة والمخاطب بها كلّ الأجيال، ولو بنى على اختصاص الأحكام التى تعلّقت بالرسول صلى الله عليه و آله على خصوص حياته فى دار الدنيا ونفى شمولها لحياته عند ربّه لاستلزم ذلك تعطيل جملة الآيات والأحكام فى الدين الحنيف، ولما قامت للدين قائمة، نظير قوله تعالى: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۶۷

فَانْتَهُوا» «۱»

وقوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» «۲»

وقوله تعالى: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۳»

وغيرها من الآيات والأحكام، فعلى زعمهم الواهى لابدّ أن تُخصّ هذه الآيات بخصوص حياته صلى الله عليه و آله فى دار الدنيا دون

حياته فى عند ربّه.

وقد وردت روايات متضافرة تنصّ على أن الأعمال تُعرض على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كلّ يوم أو كلّ يوم خميس أو جمعة، وأنه صلى الله عليه و آله يسمع السلام ويردّه، ويصلّى على من يصلّى عليه.

فما ذكر من الاختصاص بيوم القيامة باطل عقلًا ونقلًا.

وأما المزعمة الثانية: وهى أن متعلّق الشفاعة طلب الغفران لا الحاجات الدنيوية:

فالجواب عنها:

أولًا: ما ذكرناه آنفاً من اطلاق الآية المباركة، فإن متعلّقها شامل للمسائل الدنيوية أيضاً ولا دليل على التخصيص بما ذكروه.

وثانياً: إذا صحّت المقايسة التى زعموها فإن الحاجات الدنيوية أهون على اللَّه تعالى من حاجات الآخرة، فكيف يعقل أن الشفاعة تنفذ فيما هو أكثر خطورة وهى الحياة الأبديّة، دون ما هو أقلّ خطورة وهى الحياة الدنيوية المنقطعة؟! وكيف يكون الثانى شركاً دون الأوّل؟!

ثم إن سيرة المسلمين وكذا الصدر الأول منهم تتنافى مع ما ذكره، حيث

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۶۸

أثبتت كتب المسلمين كما سيأتى- توسّل المسلمين بالنبىّ الأكرم بعد وفاته أيضاً، وسيرتهم إلى يومنا هذا جارية على التوسّل فى طلب حاجاتهم الدنيوية، ولا يقتصرون فى ذلك على طلب الحاجات الأخرويّة فقط.

وكذا ليس متعلّق الشفاعة غفران الذنوب والنجاة من النار فحسب، بل حتى فى الرقىّ فى المراتب والمقامات، فالشخص يحتاج إلى الشفاعة لعدم الأهلية فى عمله للصعود إلى مقام أعلى، كما ورد ذلك فى توسّل الأنبياء بسيّد الرسل صلى الله عليه و آله، بل هو صلى الله عليه و آله يشفع أيضاً للأئمة المعصومين عليهم السلام لرفع مقامهم ودرجتهم إلى مقامه ودرجته صلى الله عليه و آله.

إذن متعلّق الشفاعة وسيع يشمل النجاة من النار وغفران الذنوب ورفع المقامات وقضاء الحاجات وغيرها، فالشفاعة بإذن اللَّه تعالى متعلّقها مطلق موارد فيض البارى عزّ وجلّ.

وثالثاً: ما ورد من وصف النبىّ موسى وعيسى عليهما السلام بأنهما وجيهان عند اللَّه عزّ وجلّ، كما فى قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا» «۱»

، وكذا قوله تعالى: «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» «۲»

، وهذا البيان ليس خاصاً بموسى وعيسى عليهما السلام، بل هو شامل على أقل تقدير لأنبياء أولى العزم، خصوصاً سيّد المرسلين وخاتمهم وأفضلهم محمّد صلى الله عليه و آله وأهل بيته الذين أورثوا علم الكتاب

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۶۹

كلّه، بل قد أشير إلى ذلك فى تشريع القبلة، وأنها رغم كونها وجهاً للَّه‌تعالى يتّجه إليه المصلّى فى اتجاه استقباله فى الصلاة، إلّاأن الغاية منها هى الإنقياد والخضوع لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله والولاية له، وهو يؤدّى للأوبة للَّه‌تعالى، حيث قال تعالى: «وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» «۱»

وقال تعالى أيضاً: «أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» «۲»

وقال تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ» «۳»

، وللتعبير بالوجيه مدلولان التزاميان عقلى ونقلى:

أما العقلى؛ فلأن اللَّه عزّ وجلّ منزّه عن الجسمية والمقابلة والمجابهة المادّية، فلابدّ من وجه يتوجّه به إليه، فالوجيه معناه هو وجه اللَّه

الذى يتقرّب به إليه وآيته الدالّة عليه، التى لابدّ أن تُوسّط وتُشفّع فى التوجّه.

وأما النقلى؛ فهو ما ورد من أن زكاة الوجاهة الشفاعة فى الخيرات.

إذن الشفاعة والوساطة مدلول التزامى عقلى ونقلى لمفهوم الوجاهة، فالوجيه هو الشفيع والوسيلة والواسطة بين العبد وربّه.

ومقتضى إطلاق كون الأنبياء عليهم السلام وجهاء عند اللَّه عزّ وجلّ هو كونهم شفعاء فى الخيرات وقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية، ولا تختصّ وجاهتهم وشفاعتهم بغفران الذنوب فقط.

ومعنى ذلك أيضاً أن الأنبياء وجهاء عند اللَّه وشفعاء فى كلّ الأزمان والأدوار، من دون اختصاص بيوم القيامة أو قبل وفاة النبىّ، وذلك لإطلاق الآيات الدالّة

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۷۰

على الوجاهة التى تلزمها الشفاعة عقلًا ونقلًا.

والحاصل:

إن الوسيلة فى الآية التى ذكروها هو مقام الشفاعة الكبرى للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، واتّضح أن الوسيلة والشفاعة وجهان لمقام واحد، واتّضح أيضاً أن الشفاعة والتوسّل ركن من أركان الدين قائم فى الدنيا والآخرة، سواء كان النبىّ حيّاً فى دار الدنيا أو عند ربّه تعالى بعد وفاته صلى الله عليه و آله، وهكذا الشفاعة منصوبة فى ديانة الإسلام لطلب الحوائج الدنيوية وغيرها.

وممّا يبرهن على عموم شفاعة النبى صلى الله عليه و آله لكلّ النشآت والعوالم ولعموم الأمور ما مرّ فى قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «۱»

، حيث مرّ فى الفصل الثالث أن الآية تبيّن مشارطة اللَّه ومواثقته على النبيين فى إعطائهم مقام النبوة والرسالة والمقامات الغيبية أنهم إنما يستأهلوها ويستحقّوها إذا آمنوا بخاتم النبيّين والتزموا بنصرته واتباعه وأقرّوا على أنفسهم بذلك، فالآية تبيّن أن سيد الأنبياء صاحب الوسيلة لجميع المخلوقات، بل ولأشرف المخلوقات وهم الأنبياء والرسل، وأنهم إنما نالوا المقامات الكبرى الغيبية من النبوّة والرسالة والحكمة بالتوسّل بذيل ولاية سيد الأنبياء وأهل بيته المعصومين، مع أن النبى صلى الله عليه و آله لم يُخلق بدنه حينذاك، وإنما خُلق نوره وأنوار أهل بيته قبل خلق السماوات والأرض وخلق الأنبياء، كما أشارت إلى ذلك

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۷۱

سورة النور والروايات من الفريقين، حسب ما تقدّم فى الفصل الثالث.

فالآية ترصد أعظم ملحمة فى الخلقة والخليقة لأعظم توسّل بأعظم متوسّل به لأعظم حاجة، وكفى بذلك بشارة للمؤمنين بهذا الركن العظيم فى الدين، ونذارة للجاحدين.

وأخيراً نقول:

إذا كانت الأعمال كما قالوا تُزلف وتُقرّب العبد إلى اللَّه عزّ وجلّ وهى فيها ما فيها من عدم الخلوص وخلطها بالصالح والطالح، فكيف ظنك بمقام سيّد الرسل صلى الله عليه و آله؟!

فالعمل موجود مخلوق وكذا النبىّ صلى الله عليه و آله، ولكن لا قياس ولا نسبة بينهما فى الوجاهة والقرب إذا توسّل بهما العبد.

الشبهة الخامسة: التوحيد الإبراهيمىّ يأبى التوسّل بغير اللَّه ... ص: ۲۷۱

اشارة

وذلك ما ورد فى الحديث أن إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار (عرض له جبرئيل وهو فى الهواء، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا وأما من اللَّه فبلى) «۱»، (قال جبرئيل: فسل ربّك، فقال: حسبى من سؤالى علمه بحالى، فقال اللَّه عزّ وجلّ: يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم) «۲» فالنبىّ إبراهيم عليه السلام فى هذا الحديث يحصر التوجّه فى الحاجات إلى اللَّه عزّ وجلّ ويرفض كلّ واسطة ولو كانت بمنزلة جبرئيل عليه السلام، وهذا هو النفس التوحيدى الصحيح من مؤسّس

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۷۲

التوحيد ومكسّر الأصنام ومجاهد الوثنية إبراهيم عليه السلام، إذ لم يوسّط حتى جبرئيل فى طلب حاجته.

إذاً لابدّ من نفى الشرك فى الواسطة وطلب الحاجة؛ إذ لا- حجاب بين اللَّه وبين خلقه، ولم يتّخذ اللَّه تعالى أصناماً ولا أحجاراً ولا أشخاصاً ليتوجّه بها إليه.

الجواب عن الشبهة الخامسة ...: ص: ۲۷۲

وهو ما يتعلّق بقصة إبراهيم عليه السلام عندما أُلقى فى النار، وما جرى بينه وبين جبرئيل، حيث أن جبرئيل عليه السلام تدارك إبراهيم وهو فى حال الهوىّ فى النار، وهى حالة عصيبة جدّاً، ولكن مع ذلك عندما عرض جبرئيل عليه السلام عليه قضاء حاجته وتخليصه من محنته، قال عليه السلام: (علمه بحالى يغنى عن سؤالى)، فقالوا إن نفس عدم سؤال إبراهيم عليه السلام من جبرئيل معناه أن السؤال والاستغاثة بغير اللَّه تعالى غير جائزة.

الردّ الأول: إن أى حادثة من الحوادث تتضمّن دائماً ملابسات تحتفّ بها لابدّ من معرفتها؛ لمدخليتها فى استيضاح سياق تلك الحادثة، وفى المقام مسائلة جبرئيل عليه السلام للنبىّ إبراهيم عليه السلام من أجل امتحانه وابتلائه وتفقّد رسوخ إيمانه وطمأنينته ورباطة جأشه؛ ولذا قال له: (أما إليك فلا) ليبيّن له أنه ليس فى مقام طلب الحاجة والخوف والهلع وإنقاذ الموقف وأنه مطمئن النفس ثابت الإيمان متوكّل على ربّه.

ويعزّز هذه الدعوى قول إبراهيم عليه السلام لجبرئيل عليه السلام: (علمه بحالى يغنى عن سؤالى) مع أن السؤال والدعاء مرغوب فيه ومحبّب عند اللَّه عزّ وجلّ، وقد حثّ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۷۳

القرآن الكريم فى آيات عديدة على السؤال والدعاء وطلب قضاء الحاجة من اللَّه تعالى، وقد توعّد اللَّه تعالى المستكبر على عبادته ودعائه باللسان والقول.

إذن الدعاء من الأمور المرغوب فيها والمأمور بها، ومن الواضح المتّفق عليه أن الرواية فى المقام لا تريد أن تقول أن الدعاء باللسان أمر مرجوح ومرغوب عنه، بل إن الدعاء وطلب الحاجة بالقول واللسان من الآداب الإلهية، وقد قال اللَّه تعالى لنبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله: «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْمًا» «۱»

وحاشا للنبىّ إبراهيم عليه السلام أن يخرج عن أعظم الآداب الإلهية ولا يتقيّد بها؛ إذ الدعاء أعظم العبادات وروحها.

فهذا شاهد بيّن دامغ على أن كلام إبراهيم عليه السلام بحسب السياق فى مقام آخر، وهو مقام الامتحان للثبات على الإيمان والطمأنينة به.

فأراد إبراهيم عليه السلام باكتفائه بعلم اللَّه عزّ وجلّ بحاله أن يبيّن لجبرئيل عليه السلام أنه ليس على وجل واضطراب، ويظهر له الثبات والحزم الذى هو عليه فى الحقيقة والواقع.

ودعاؤه عليه السلام فى خصوص ذلك الظرف والمقام قد يكون كاشفاً عن الوجل والتزلزل وعدم الطمأنينة، فهو عليه السلام لكمال ثباته وتوكّله علىاللَّه تعالى أظهر ما هو عليه من رباطة الجأش والحزم وقوّة الإيمان.

فصدر الجواب وذيله فى هذا المقام الذى ذكرناه.

الردّ الثانى:

قد يقال هنا أن إبراهيم عليه السلام لم يستنجد بجبرئيل عليه السلام ولم يسأله لأنه أفضل منه، وذلك إن مقام أنبياء أولى العزم أفضل من مقام الملائكة الذين أسجدهم

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۷۴

وأطوعهم لآدم، وقد ورد فى روايات الفريقين أن جبرئيل عليه السلام فى مواطن عديدة لم يتقدّم على آدم لكونه مسجود الملائكة، ففى هذه الحالة يكون مقام السائل أرفع شأناً من مقام المسؤول، ونحن محلّ كلامنا فيما إذا كان السائل يتقرّب بواسطة المسؤول ويتوسل به إلى اللَّه عزّ وجلّ، وإذا كان السائل أقرب مقاماً من المسؤول، فلا معنى للتوسّط والتشفّع والزلفى.

الردّ الثالث: أنه ينقض عليهم بموارد ...: ص: ۲۷۴

منها: أن الجاحدين للتوسّل يقرّون بأن الضرورة قائمة فى الدين- كما تقدّم- على ثبوت الشفاعة الكبرى لسيد الأنبياء يوم المعاد، وأنه يستشفع به صلى الله عليه و آله للنجاة الأبدية، فإذا كان الاستشفاع شركاً- حسب زعمهم- وخلاف منهج التوحيد الذى هو ملّة إبراهيم الحنيف فكيف يسمح البارى بوقوعه يوم القيامة، ويُبشر به نبيّه، وأنه يعدّه البارى مقاماً محموداً؟!

ومنها: ما تقدّم من استشفاع آدم بسيد الأنبياء، فهل يظن بنبى اللَّه وصفوته مجانبة طريق التوحيد؟!

الشبهة السادسة: التوسّل يعنى التفويض وعجز اللَّه تعالى ... ص: ۲۷۴

اشارة

قد يطرح هنا إشكال حول التوسّل بالوسائط، وهو دعوى أن الاعتقاد بالوسائط والتوسّل بها لاستدرار الفيض الإلهى قد يوجب اعتقاد العجز فى قدرة اللَّه تعالى، ومما لاشك فيه أن البارى عزّ وجلّ واجب بالذات وغنى عن العالمين، فلابدّ من رفض الوسائط فى التوجّه إلى اللَّه عزّ وجلّ.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۷۵

وبعبارة أخرى: إن السؤال والتوسّل والتوجّه إلى غير اللَّه تعالى يستبطن التفويض والغلو وبالتالى يؤدّى إلى الشرك؛ لأن التوسّل يتضمّن إسناد بعض الصلاحيات الإلهية إلى الوسائل، وهو يعنى إثبات العجز إلى قدرة البارى تعالى وهو التفويض والغلو الباطل.

الجواب عن الشبهة السادسة: قصور الجاحدين للتوسّل عن معرفة التوحيد فى الأفعال ...: ص: ۲۷۵

فى مقام ردّ هذه الشبهة نجيب بعدّة أجوبة:

الجواب الأول: إن اللَّه عزّ وجلّ إذا أقدر مخلوقاً من المخلوقات على بعض الأمور، فهو لا- يعنى سلب القدرة عنه تعالى فى تلك الأمور، ولا يعنى أيضاً عزله عن صفاته التى منها الصفات التى أعزاها إلى كلماته ووسائطه، فلا تجافى ولا عزلة فى البين؛ لأن التجافى والعزلة من أحكام المادّة.

إذن البارى تعالى لا يتجافى ولا ينعزل عن القدرة التى أقدر بعض الموجودات عليها، بل هو أقدر من تلك الوسائط على ما أقدرها عليه.

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام فى هذا المقام: «إن اللَّه تبارك وتعالى لا يطاع باكراه ولا يعصى بغلبة ويهمل العباد فى الهلكة،

ولكنه المالك لما ملّكهم، والقادر لما عليه أقدرهم» «۱».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام فى وصفه للّه‌عزّ وجلّ: «لا تشبهه صورة ولا يحسّ بالحواس ولا يقاس بالقياس، قريب فى بعده بعيد فى قربه، فوق كلّ شىء ولا

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۷۶

يقال: شىء تحته، وتحت كلّ شىء ولا يقال: شىء فوقه، أمام كلّ شىء ولا يقال له: أمام، داخل فى الأشياء لا كشىء فى شىء داخل، وخارج من الأشياء لا كشىء من شىء خارج، فسبحان من هو هكذا، ولا هكذا غيره، ولكلّ شىء مبتدأ» «۱».

والحاصل: إن أقدار اللّه عزّ وجلّ وكّل عطية إلهية يجود بها علىمخلوقاته ليس تمليكها تمليكاً عزلياً وبنحو التجافى، وإنما هو تمليك قيومى إحاطى، فهو عزّ وجلّ بكلّ شىء محيط وقيّوم على كلّ شىء، وهو المالك لما ملّكهم والقادر لما عليه أقدرهم، بل إن التمليك بعينه مخلوق من المخلوقات والمُعطى والعطية كلّها قائمة باللّه تعالى حدوثاً وبقاءً، فكيف يستقل المخلوق فى فعله وهو محتاج فى ذاته ومفتقر إلى قيوميّة البارى تعالى؟!

وهذا يعنى أن ذات المخلوق وفعله وتمكينه وتمليكه وإقداره على بعض الأمور كلّها بحول اللّه وقوته، ولا يخرج عن حيطة قيوميّته، فلا مجال للتفويض العزلى فى عالم الخلقة والامكان، وليست الوسائط إلّامجار لفيض اللّه عزّ وجلّ وقدرته؛ لأجل عجز بعض القوابل عن التلقّى عن اللّه تعالى مباشرة.

الجاحدين للتوسّل بنوا جحودهم على التفويض الأكبر ...: ص: ۲۷۶

الجواب الثانى: إن هذه الشبهة التى ذكروها تستبطن التفويض والغلو فى المخلوق؛ لأنها مبتنية على دعوى أن المخلوق مستقلّ عن خالقه فى الوجود بقاءً، وأن اللّه تعالى عندما ملّك وأقدر بعض الموجودات المادّية على بعض

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۷۷

الأفعال الحياتية اليوميّة، كقدرة الشخص على تحريك أعضائه مثلًا باختياره، انعزلت قدرته عن تلك الأفعال، فإنهم فى شبهتهم المذكورة افترضوا أن إقدار اللّه عزّ وجلّ وتمليكه بعض الأفعال لبعض المخلوقات وأنها استقلال للمملوك عن المالك، كاستدرار الفيض الإلهى عن طريق الوسائط تفويض وغلو فى تلك المخلوقات، وحيث أنه مما لا ريب فيه أن اللّه تعالى- كما هو المشاهد حسّاً والمعلوم وجداناً- أقدر الموجودات المادّية على الكثير من الأفعال التى نراها يومياً، فإنه يقتضى اعتقادهم بمقالة المعتزلة التفويضية المغالية، وهى أن المخلوق محتاج إلى الخالق حدوثاً لا بقاءً، وأن اللّه تعالى بعد أن خلق الموجودات انعزلت قدرته عنها فى البقاء والعياذ باللّه-.

ولا فرق بين فعل وفعل من الناحية العقلية، فإذا كان التوسّل وجعل الوسيلة والشفاعة لبعض المخلوقات يوجب التفويض العزلى، فكذلك إقدارهم على أفعالهم الحادثة اليومية لابدّ أن يكون أيضاً محكوماً بقانون التفويض العزلى، وأن اللّه تعالى انعزل عن مخلوقاته بعد أن أوجدها وأقدرها وملّكها لأفعالها.

ولا شك أن هذا التفكير مبنىّ على الموازين الحسّية المادّية، ودعوى الفرق بين الأفعال الدنيوية الصغيرة والأفعال التدبيرية الخطيرة، كتدبير السماوات والأرض، وإيصال فيض اللّه تعالى إلى الموجودات المادّية الدانية فى الوجود، حيث آمنوا ببطلان التفويض بجعل وسائط فى الفيض، وصحّحوا مقولة التفويض فى صغائر الأمور والأفعال المادية الدنيويّة غير الخطيرة.

مع أن موازين بطلان التفويض موازين عقلية لا يفرق فيها بين الأفعال الصغيرة والخطيرة؛ لأن التفويض يوجب الشرك وهو باطل على جميع

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۷۸

الأحوال.

ونحن نقول: إن المخلوق لا يستقلّ بذاته وفعله عن البارى تعالى حدوثاً وبقاءً، ولا يفعل المخلوق فعلًا أيّاً كان حجمه وخطورته إلّابإقدار اللَّه وتمكينه وبحوله وقوته بدءاً واستدامة.

ولو كان أصحاب هذه الشبهة يرفضون فكرة التفويض مطلقاً ويوحّدون فى الخلقة حدوثاً وبقاءً لما حصلت لهم هذه الشبهة، لأن اللَّه تعالى لا تنحسر قدرته عن المخلوق فى أصل خلقته وبعد خلقته، فهو دائماً يستمدّ وجوده وبقاءه من الفيض والمدد الإلهى، وهم أرادوا أن ينكروا التوسّل، وهو فعل من الأفعال للزوم التفويض، فوقعوا فيما هو أعظم وهو التفويض فى أصل وجود المخلوقات من حيث البقاء فضلًا عن أفعالها، مع أن اللَّه تعالى دائم الفيض على البريّة، والمخلوق فى كلّ آن من آنات وجوده محتاج إلى فيض باريه، لا يستقلّ عنه فى وجوده ولا ينادده فى فعله؛ إذ البارى قيّوم على وجود المخلوق وأفعاله بنحو الأمر بين الأمرين، فلا ننفى المخلوقات وأفعالها كما فعل ذلك بعض جهلة الصوفية، ولا نعزل قدرة اللَّه تعالى عن مخلوقاته كما فعل المفوّضة، بل نقول كما قال اللَّه عزّ وجلّ: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» «۱».

الجواب الثالث: أن الجاحدين للتوسّل حيث كانوا عبّاد المذهب الحسّى المادى من حيث يشعرون أو من حيث تشبّع نفسياتهم وذهنهم بذلك، حيث يبنون على أن كلّ فعل حسّى هو فعل للمخلوقات، وكلّ فعل وراء الحسّ فهو فعل لاهوتى إلهى، أو أن الأفعال الصغيرة الحجم هى فعل للمخلوقات أما

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۷۹

الأفعال الكبيرة فهى فعل إلهى، وعلى هذا الميزان يكون إماتة الموتى لا يصح إسنادها إلى الملك الموكّل وهو عزرائيل عليه السلام، لا سيما وأن الاماتة لا تقتصر على بنى البشر فقط، بل تشمل جميع بنى الجنّ وجميع النباتات، بل وجملة الملائكة، فهذه القدرة بهذا الحجم كيف تسند وتعزى إلىالملك عزرائيل؟ مع أن قدرة اللَّه تعالى أنفذ فيما أقدر عزرائيل عليه، وكذلك ميكائيل الموكّل بتقسيم الأرزاق وتدبيرها لكلّ الكائنات الحيّة على وجه الأرض، وكذلك جبرئيل الموكّل بالبطش والنقمة الإلهيّة ونشر العلم على الكائنات المدركة، وإسرافيل الموكّل بالإحياء وغير ذلك من عظائم الأفعال، فإنه على منطق هؤلاء الجاحدين تكون قدرة اللَّه معزولة عن تلك الأفعال كما توهّمه هؤلاء، وأنّ هذه الأفعال هى صلاحيات إلهيّة لا تقبل الاسناد لغير اللَّه.

فتبيّن أن الضابطة فى كون الفعل إلهيّاً هو صدوره عن الفاعل بمعزل عن قدرته غيره، ومن ثمّ لا يصحّ توهّم استقلال المخلوق فى الفعل ولو كان حقيراً صغيراً؛ إذ لو استقلّ لكان فاعلًا فعلًا إلهيّاً.

الشبهة السابعة: إيجاد المخلوقات الإمكانية كلّه ابداعىّ بلا واسطة ... ص: ۲۷۹

اشارة

الشبهة السابعة: إيجاد المخلوقات الإمكانية كلّه ابداعىّ بلا واسطة

قالوا فى المقام لِمَ لا يكون فعل اللَّه تعالى دائماً إبداعياً بكن فيكون بلا أى واسطة أو وسيلة؟ وهذا من مظاهر القدرة والهيمنة الإلهية، بخلاف القول بالأفعال غير الابداعية، فهى تستبطن القول بعجز اللَّه تعالى واحتياجه إلى الأسباب فى عملية الخلق والايجاد.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۸۰

الجواب عن الشبهة السابعة ...: ص: ۲۸۰

ويُجاب عن هذه الشبهة بنفس الجواب السابق، ونضيف إليه بعض الأجوبة الأخرى:

الجواب الأول: لا ريب أننا نشاهد فى عالم الخلقة الامكانية أفعالًا لبعض المخلوقات بل موجودات مخلوقة غير ابداعية، كما نصّ علىذلك القرآن الكريم فى آيات عديدة كما سيأتى- وأن اللَّه تعالى كان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، ثم خلق من الأرض النباتات والزرع، ثم خلق من الطين البدن الانسانى، وخلق الجنّ من نار السموم، وخلق من الماء كلّ شىء حىّ، وغير ذلك من المخلوقات غير الإبداعية، التى توجد بعملية التوليد والتوالد بين الأسباب والمسبّبات، وبناءً على ما ذكروه من الشبهة، من أن كلّ فعل غير ابداعى، فهو مستبطن للعجز والحاجة إلى الوسيلة والأسباب ويكون اسناد تلك المخلوقات غير الابداعية إلى اللَّه تعالى إسناداً للعجز والحاجة إلى اللَّه عزّ وجلّ، وإن لم نُسند تلك المخلوقات إلىاللَّه تعالى نقع فى معضلة الشرك فى الخالقية وهو شرك أعظم؛ لأن شطراً وافراً من المخلوقات كالموجودات المادّية فى أصل وجودها فضلًا عن أفعالها يتمّ تخليقها عن طريق الأسباب والوسائط لا بنحو الابداع، فإن اسندناها إلى البارى تعالى على زعمهم- يلزم نسبة العجز إلى الخالق، وإن لم نسندها إليه عزّ وجلّ يلزم القول بالشرك فى الخالقية وخروج تلك الموجودات عن حيطة قدرته تعالى.

فالصحيح: إن اللَّه تعالى خالق كلّ شىء سواء كان بالابداع أو التخليق، والسببيّة لا توجب الشرك ولا نسبة العجز إلى اللَّه تعالى؛ لأن المخلوق الذى

يكون واسطة ووسيلة فى تخليق بعض المخلوقات لا يخرج عن حيطة القدرة الإلهية، فهو بتمام شراشر وجوده مفتقر إلىباريه فى الحدوث والبقاء وفى فعله وأصل وجوده، وإذا صار الماء مثلًا واسطة فى تخليق كلّ شىء حىّ لا يعنى عجز البارى، لأن الماء بتمام وجوده مفتاق إلى خالقه ولا يستغنى فى فعله عنه، ففعل الماء فعل اللَّه تعالى، والماء مجرى الفيض وسبب إعداديّ لخالقية اللَّه عزّ وجلّ.

ثم إن البارئ والمصوّر من أسماء اللَّه تعالى، والبَرء عملية تحويل وإيجاد وإيجاب شىء من شىء آخر، ثم بعد البرء تأتى عملية تشكيل الصورة، وهذه كلّها دائرة الموجودات غير الابداعية، وهى تحت هيمنة الأسماء الإلهية، كالبارئ والمصوّر ولا تخرج عن حيطة قدرته عزّ وجلّ.

سبب جحود التوسّل القصور فى معرفة كنه ذوات المسبّبات والأسباب ...: ص: ۲۸۱

الجواب الثانى: إن الاحتياج إلى الأسباب والوسائط ليس لعجز فى البارى تبارك وتعالى، بل لعجز وعدم قابلية فى ذات الممكن، وذلك لأن بعض الموجودات الممكنة لا يمكن أن تفرض لها شيئية إلّابعد وجود موجودات أخرى سابقة عليها، فالجسم مثلًا لا يمكن أن يخرج إلى الوجود إلّامن المادة؛ لعدم قابلية الجسم إلّاأن يكون متقوّماً بالمادّة، واللَّه عزّ وجلّ على كلّ شىء قدير، ولا شيئية للجسم قبل المادّة لكى تتعلّق به القدرة؛ إذ اللّاشيئية عدم وبطلان وعجز وفقدان، ولا معنى لأن تتعلق القدرة الإلهية بالعجز والبطلان.

نعم إذا فُرض كونه شيئاً بواسطة السبب تتعلّق به القدرة حينئذٍ، فالأشياء التى

هى ذوات أسباب ذواتها متقوّمة ذاتياً قواماً بنيوياً وهوية بتلك الأسباب، فنفى فرض الأسباب نفى لأصل ذواتها، فيرجع إلى التناقض، لا للعجز فى قدرة البارى تعالى، كمن يريد أن يفترض الجسم بلا أن يكون له أبعاد ممتدّة، فهؤلاء تخيّلوا أن الأسباب والوسائط منحازة عن أصل ذوات الأشياء المخلوقة فى الدرجات المتوسّطة والنازلة من عوالم الخلقة، فيرجع جحودهم للوسائل إلى الجهل بحقائق المخلوقات، ولو كان وجود الأسباب والوسائط يعنى العجز لكانت سنّة اللَّه تعالى فى تدبير الخلقة بتوسّط الملائكة عجز فى الساحة الإلهية والعياذ باللَّه-، لا سيّما وأن القرآن الكريم يسند جملة أفعال الخلقة وعظائم الأفعال إلى الملائكة.

الجواب الثالث: وهو عبارة عن الشواهد والطوائف القرآنية الدالّة على وقوع التخليق من اللَّه تعالى عبر الوسائط من ملائكة ورسل وغير

ذلک، وأن نظام الخلقة على نحوين: إبداعيّ وتخليقيّ، كما قال عزّ وجلّ: «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ» «۱».

وإليک بعض تلک الطوائف:

الطائفة الأولى: آيات الإماتة وتوفّى الأنفس، وقد أسند التوفّى فيها إلى اللّه عزّ وجلّ وإلى الملائكة وإلى ملک الموت خاصّة:

الاسناد الأول: إسناد توفّى الأنفس إلى الملائكة.

۱- قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۸۳

۲- قوله تعالى: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» «۱».

۳- قوله تعالى: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» «۲».

۴- قوله تعالى: «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ» «۳».

۵- قوله تعالى: «حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ» «۴».

۶- قوله تعالى: «لَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» «۵».

۷- قوله تعالى: «فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ» «۶».

۸- قوله تعالى: «وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ» «۷».

وغير ذلک من الآيات المباركة التى نلاحظ فى مجموعها أن اللّه سبحانه وتعالى قد نسب وأسند وفاة الأنفس إلى الملائكة من باب التوسيط، مع أن

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۸۴

المميت من أسماء اللّه تعالى ولا منافاة فى ذلک، ولا يلزم منه العجز؛ لأن الملک بكلّ وجوده وأفعاله قائم باللّه تعالى ومفتقر إليه حدوثاً وبقاءً.

وفى الآيات الثلاثة الأخيرة يسند اللّه عزّ وجلّ العذاب إلى الملائكة وفى الوقت ذاته ينسب اللّه عزّ وجلّ العذاب والتعذيب إلى نفسه ولا منافاة فى ذلک لما تقدم.

الاسناد الثانى: وهى الآيات التى يسند اللّه عزّ وجلّ فيها التوفّى إليه مباشرة:

۱- قوله تعالى: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا» «۱».

۲- قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ» «۲».

۳- قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ» «۳».

۴- قوله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» «۴».

وكما أسلفنا لا تنافى بين الاسناد الأول والثانى وكذلک الثالث الآتى، وكلّ منها اسناد حقيقى، لأن الملائكة لا حول لهم ولا قوة إلّاباللّه تعالى.

ويدلّ على هذه الطولية فى الاسناد السياق الواحد فى آيتى سورة النحل المتقدّمتين، حيث أسند فى أحدهما التوفّى إلى اللّه تعالى وفى الأخرى إلى

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۸۵

الملائكة.

الاسناد الثالث: إسناد التوفّى إلى ملك الموت:

قوله تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ» «۱».

فإسناد الإماتة إلى ملك الموت والرسل فى وقت واحد يعنى أن بقيّة الملائكة أعوان لملك الموت، تحت هيمنته وقدرته، كما جاء ذلك فى روايات الفريقين.

والحاصل: أن برنامج الإماتة لكلّ ذى روح تحت تدبير وإدارة ملك الموت، وهو يدير ذلك البرنامج التكوينى عن طريق رسله وأعوانه الذين هم تحت إمرته وسلطانه وقدرته، وهو فى‌الوقت ذاته تحت سلطان اللَّه عزّ وجلّ وقدرته، وافتقاره، واحتياجه إلى اللَّه عزّ وجلّ حدوثاً وبقاءً أشدّ من احتياج الملائكة من أعوانه إليه بما لا يقاس.

ومن هذا البيان يتّضح أن إسناد فعل إلى الملائكة لا يعنى عدم إسناده إلى البارى تعالى، وهكذا إسناد فعل إلى الملائكة لا يعنى عدم إسناده إلى ذات أخرى شريفة تهيمن على الملائكة، وتكون الملائكة رسلًا وأعواناً لها وتحت سلطانها، كملك الموت الذى يدبّر الملائكة بإقدار اللَّه تعالى وتدبيره، ووراء ملك الموت مخلوقات أخرى أشرف منه تدبّره وتدير شؤون عالم الإمكان بإذن اللَّه تعالى وهم خلفاء اللَّه تعالى.

الطائفة الثانية: وهى الآيات التى صرحت بإيكال بعض الأفعال والأمور التدبيريّة إلى بعض المخلوقات.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۸۶

۱- قال تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ» «۱».

۲- وقال عزّ وجلّ: «فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ» «۲».

وهذا التوكيل المذكور فى الآيتين الكريمتين ليس على نسق إيكال مخلوق إلى مخلوق آخر؛ لأنه فى باب الوكالات الاعتبارية والقانونية هناك نوع من الاستقلال للوكيل عن الموكّل فى الفعل، وفيه نوع من أنواع التفويض العزلى وإن لم يكن تفويضاً واستقلالًا وانعزالًا تاماً؛ لإمكان عزله فى كلّ آن آن، وأما فى توكيل اللَّه تعالى بعض المخلوقات فليس هو توكيلًا وتفويضاً عزلياً تنحسر فيه قدرة البارى عن الفعل الموكّل فيه، لأنها وكالة افتقار وتقوّم فعل الوكيل بالموكّل، فاللَّه تعالى أقدر بعض مخلوقاته وأوكل لهم بعض الأمور بلا انعزال عمّا وكّلهم فيه، بل هو تعالى فيما أقدرهم عليه أقدر بما لا يتناهى من القدرة، لأن وجودهم فضلًا عن فعلهم متقوّم بذات البارى تعالى‌حدوثاً وبقاءً، وهو الحىّ القيّوم الذى به قامت السماوات والأرض.

ثم إن التوكيل الذى ورد فى سورة الأنعام توكيل لدنّى لجماعة من الانس، وهذه من التعابير القرآنية الدالّة على وجود الارتباط اللّدنى بين اللَّه تعالى ومجموعة من البشر، لم يكفروا باللَّه عزّ وجلّ طرفة عين.

الطائفة الثالثة: وهى الدالّة على توسيط بعض المخلوقات فى الخلق:

۱- قوله تعالى: «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۸۷

مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ» «۱»

، فإخراج الثمرات ليس إبداعىّ بل توسيطىّ، فالبارى تعالى يُخرج بواسطة الماء الثمرات، والخالق هو اللَّه تعالى وليس الماء إلّاوسيطاً فى جريان الفيض الإلهى.

۲- قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ» «۲».

۳- قوله تعالى: «وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» «۳».

۴- قوله تعالى: «وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» «۴».

وقد قرّر الحكماء وجود حياة نباتية، كما أكّدت ذلك العلوم المادّية، وهذه الحياة والإحياء يحصل بواسطة الماء ولو إعداداً، فكيف

يستعظم ذلك على من هو أشرف من الماء وأعظم عند اللّه تعالى؟!

۵- قوله تعالى: «وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ» «۵».

فالطهارة التى هى أمر معنوى ونورى يحصل من اللّه تعالى بواسطة الماء؛ لأنها ليست من الأفعال الإبداعية بل التخليقية.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۸۸

۶- قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» «۱».

والعرش هو القدرة الإلهية، فقدرته تعالى على الماء، والماء واسطة فى فيض القدرة، على الاختلاف فى المراد من الماء فى الآية الكريمة.

فالقوابل محدودة ونشأة الماء هى الواسطة فى تقبّل الفيوضات الإلهية.

۷- قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» «۲».

۸- قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ» «۳».

۹- قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا» «۴».

۱۰- قوله تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۵».

فالروح الذى هو خلق أعظم من الملائكة سبب وواسطة إلهية لنزول الملائكة وعروجها.

الطائفة الرابعة: إسناد الخلق والتخليق إلى بعض المخلوقات:

۱- قوله تعالى: «أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ» «۶».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۸۹

فأُسند الخلق إلى الأيدى الإلهية وهى القدرة، إذ لا شك أن اللّه تعالى لا يد جسمانية له، فيده قدرته وتصرّفه المخلوق له الخارج عن الذات المقدّسة، وهذه اليد المخلوقة تعمل وتخلق الأنعام بالمباشرة.

۲- قوله تعالى: «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى* الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى» «۱».

فالتسبيح فى هذه الآية الكريمة أسند إلى الإسم، و (الذى) وصف للمضاف إلى الربّ وهو الاسم، فالإسم هو الذى خلق فسوّى وقدّر فهدى، والإسم غير المسمّى قائم به ومخلوق من مخلوقاته، كما جاء ذلك فى سورة الرحمن فى قوله تعالى: «وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» «۲»

، فالجلال والإكرام وصف لوجه الربّ لا لنفس الربّ، وهو مخلوق من المخلوقات وآية يتوجّه بها إلى اللّه عزّ وجلّ، والشاهد على المغايرة ما جاء فى آخر سورة الرحمن، حيث جعل وصف الجلال والإكرام صفة للربّ لا للوجه، حيث قال تعالى: «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» «۳»

، وليس المراد من الاسم والوجه فى الآية المباركة جزء الذات الجسمانى، كما توهّم ذلك المجسّمة والحشوية، تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً، بل المراد منه الآية الكبرى الدالّة على عظمة اللّه عزّ وجلّ والقائمة الوجود به، وقد أطلق على البيت الحرام والكعبة أنهما وجه اللّه تعالى الذى يتوجّه به إليه، كما فى قوله عزّ وجلّ: «وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» وقال تعالى أيضاً: «أَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» مما يدلّل على أن البيت الحرام أحد الوجوه والآيات الكبرى التى يتوجّه إلى اللّه عزّ وجلّ بها، وكذلك

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۹۰

الأنبياء، حيث أطلق على موسى وعيسى عليهما السلام أنهما وجيهين عند اللّه تعالى، كما تقدّم أنهما كلمات اللّه وأسمائه.

۳- قوله تعالى: «وَرَسُولًا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ» «۱».

۴- قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا» «۲»

، فهنا أسند تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى أى إحيائهم إلى القرآن الكريم.

الطائفة الخامسة: وهى التى عُبّر فيها بالمُلك، وأن اللَّه تعالى أملك كثيراً من الأمور لمخلوقاته الشريفة من دون أن يكون هذا التمليك عزلى تفويضى، بل كلّما تلقى المخلوق من باريه فيضاً أكثر ومرتبة أعلى وأشرف فى الوجود كلّما كان أكثر فقراً إلى اللَّه عزّ وجلّ من غيره، ومن ثم كان الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أعبد الخلائق إلى اللَّه تعالى، لأنه أكثرهم فقراً إلى اللَّه عزّ وجلّ، كما أثر ذلك عنه صلى الله عليه و آله حيث كان يقول: (الفقر فخرى)، وإليك بعض تلك الآيات فى المقام:

۱- قوله تعالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۹۱

والملك العظيم الذى أعطى لآل إبراهيم هو الإمامة، ولم يُعبّر عن غير الإمامة بالملك العظيم.

۲- قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَايَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى» «۱».

۳- قوله تعالى: «وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا» «۲».

۴- «وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ» «۳».

۵- «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا» «۴».

۶- «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» «۵».

والملك فى هذه الآية ليس خاصّاً بالملك الأرضى، بل هو عامّ شامل لمطلق النشآت.

۷- «وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ» «۶»

، فوصف اللَّه عزّ وجلّ خازن النيران الملك الموكّل بالنار بمالك؛ لأنه ملّكه القدرة على تدبير النيران.

۸- «وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ» «۷»

، والعرش هو مقام القدرة واللَّه تعالى أقدر أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۹۲

على حمله بلا تفويض.

۹- قوله تعالى: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» «۱».

۱۰- قوله تعالى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» «۲».

۱۱- «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ» «۳».

۱۲- «يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» «۴».

الطائفة السادسة: ما ذكر فيها نسبة الإهلاك إلى نفسه تعالى وإلى بعض مخلوقاته.

۱- قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» «۵».

۲- «فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ» «۶».

۳- «وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ» «۷».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۹۳

۴- «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ» «۱».

۵- «فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا» «۲».

الطائفة السابعة: إسناد تدبير بعض المخلوقات عن طريق الرياح:

۱- قوله تعالى: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ» «۳».

۲- «اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا» «۴».

۳- «وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ» «۵».

۴- «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ» «۶».

۵- «وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا» «۷».

والحاصل: إنّ نظام الخلقة فى السنّة الإلهيّة نظام الأسباب والمسبّبات، كما نصّ على ذلك متواتر آيات القرآن الكريم، وما ورد من روايات الفريقين «أبى اللَّه أن يجرى الأمور إلّابأسبابها»، وذلك لأن الأمور ذواتها متقوّمة بالأسباب فى هويتها، فهم يجهلون نظام الخلقة والمخلوقات.

*****

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۹۵

خاتمة فى ...: ص: ۲۹۵

أ- الروايات الواردة فى مشروعية التوسّل والتشفّع والتبرّك ...: ص: ۲۹۵

الروايات فى هذا المجال كثيرة جدّاً، نشير إلى بعض ما ورد منها فى الكتب السنّية:

۱- ما أخرجه البخارى فى صحيحه عن الجعيد بن عبد الرحمن قال:

(سمعت السائب بن يزيد قال: ذهبت بى خالتى إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقالت:

يارسول اللَّه إن ابن أختى وجع، فمسح رأسى ودعا لى بالبركة وتوضّأ فشربت من وضوئه) «۱».

۲- كذلك روى البخارى فى صحيحه عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال:

(رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى قبّة حمراء من أدم، ورأيت بلالًا أخذ وضوء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ورأيت الناس يتبدّرون ذاك الوضوء، فمن أصاب منه شيئاً تمسّح به،

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۲۹۶

ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه) «۱».

۳- وأخرج مسلم فى صحيحه عن أنس قال: (لقد رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والحلّاق يحلقه وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلّافى يد رجل) «۲».

قال النووى فى شرحه لصحيح مسلم تعليقاً على مثل هذه الروايات: (وفى هذه الأحاديث بيان بروزه صلى الله عليه و آله للناس وقربه منهم ... وإجابته من سأله حاجة أو تبريكاً بمسّ يده وإدخالها فى الماء كما ذكروا، وفيه التبرّك بآثار الصالحين وبيان ما كانت الصحابة عليه من التبرّك بآثاره صلى الله عليه و آله وتبرّكهم بإدخال يده الكريمة فى الآنية وتبرّكهم بشعره الكريم وإكرامهم إياه أن يقع شىء منه إلّافى يد رجل سبق إليه) «۳».

إذن هذه الشواهد وغيرها كاشفة عن أن سيرة المسلمين منذ الصدر الأول كانت قائمة على التبرّك بما يتصل بالنبىّ الأكرم صلى الله

علیه و آله، من دون ردع ونهی، وهـذا دالّ علی مشـروعیة ما کان یأتی به الصـحابة، وقلنا أن التبرّک یجتمع مع التوسّل والاسـتغاثة فی ماهیة واحدة وهی التوسیط، فالتبرّک طلب البرکة ونوع توسّل واستشفاع بما یرتبط بالأولیاء والأوصیاء والحجج من أشیاء.

۴- وفی الجامع الصغیر للسیوطی: (غبار المدینة شفاء من الجذام) «۴»، وقال

الامامة الالهیة(۵)، ج۴، ص: ۲۹۷

المناوی فی فیض القدیر بعد نقل مثل هذه الروایات: (قال السمهودی: قد شاهدنا من استشفی به منه وکان قد أضرّ به فنفعه جدّاً) «۱».

۵- أخرج الحاکم فی المسـتدرک عن عثمان بن حنیف أن رجلًا ضـریر البصر أتی النبیّ صلی الله علیه و آله فقال: یارسول اللَّه علّمنی دعاءً أدعو به یردّ اللَّه علیّ بصـری، فقال له: قل: «اللّهم إنی أسألک وأتوجّه إلیک بنبیک نبیّ الرحمـة، یامحمّـد إنی قـد توجّهت بک إلی ربّی، اللّهم شفّعه فیّ وشفّعنی فی نفسی» فدعا بهذا الدعاء، فقام وقد أبصر «۲».

۶- روی البیهقی فی خبر صـحیح إنه فی أیـام عمر جاء رجل إلی قبر النبیّ صـلی الله علیه و آله فقال: یامحمّـد استسق لأمتک، فسـقوا «۳».

۷- أخرج النسـائی عن عبـداللَّه بن عمرو قـال: سـمعت رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله یقول: «إذا سـمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما یقول، وصلّوا علیّ، فإنه من صلّی علیّ صلاة صلّی اللَّه علیه عشراً، ثم سلوا اللَّه لی الوسیلة، فإنها منزلة فی الجنّة لا تنبغی إلّا لعبد من عباد اللَّه، أرجو أن أکون أنا هو، فمن سأل لی الوسیلة حلّت له الشفاعة» «۴».

۸- روی مسـلم عن عائشة عن النبیّ صـلی الله علیه و آله قال: «ما من میّت تصـلّی علیه أمة من المسـلمین یبلغون مئة کلّهم یشـفعون له إلّاشفّعوا فیه» «۵».

۹- روی مسلم أیضاً عن النبیّ صلی الله علیه و آله قال: «ما من رجل مسلم یموت فیقوم علی

الامامة الالهیة(۵)، ج۴، ص: ۲۹۸

جنازته أربعون رجلًا، لا یشرکون باللَّه شیئاً إلّاشفّعهم اللَّه فیه» «۱»

۱۰- ما أخرجه الطبرانی وغیره عن أبی سـعید الخدری، قال: قال رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله: «إذا خرج الرجل من بیته إلی الصلاة فقال: اللّهم إنی أسألک بحقّ السائلین علیک وبحقّ ممشای، فإنی لم أخرج أشـراً ولا بطراً ولا ریاء ولا سـمعة، خرجت اتقاء سـخطک وابتغـاء مرضـاتـک، أسألـک أن تنقـذنی من النـار وأن تغفر لی ذنوبی، إنه لا یغفر الـذنوب إلّاأنت، وکّل اللَّه عزّ وجلّ به سـبعین ألف ملک یستغفرون له، وأقبل اللَّه تعالی علیه بوجهه حتی یقضی صلاته» «۲».

۱۱- کذلک ما أخرجه الطبرانی عن ابن عباس عن النبیّ صلی الله علیه و آله قال: «من سرّه أن یوعیه اللَّه عزّ وجلّ حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم، فلیکتب هذا الدعاء فی إناء نظیف، أو فی صحفة قوارید بعسل وزعفران وماء مطر ویشربه علی الریق، ولیصم ثلاثة أیام، ولیکن إفطاره علیه، فإنه یحفظها إن شاء اللَّه عزّ وجلّ، ویدعو به فی أدبار صلواته المکتوبة:

اللّهمّ إنی أسألک بأنک مسؤول لم یُسأل مثلک ولا یُسأل، أسألک بحقّ محمّـد رسولک ونبیّک وإبراهیم خلیلک وصـفیّک وموسـی کلیمک ونجیّک وعیسـی کلمتک وروحک، وأسألک بصـحف إبراهیم وتوراة موسی وزبور داود وإنجیل عیسی وفرقان محمّد صلی الله علیه و آله، وأسألـک بکـلّ وحی أوحیته وبکـلّ حقّ قضـیته وبکـلّ سائـل أعطیته، وأسألـک بأسـمائک التی دعـاک بهـا أنبیـاؤک فاستجیب لهم، وأسألک باسمک المخزون المکنون الطهر الطاهر المطهّر المبارک المقدّس الحیّ

الامامة الالهیة(۵)، ج۴، ص: ۲۹۹

القیّوم ذی الجلال والاکرام، وأسألک باسـمک الواحـد الأحـد الصـمد الفرد الوتر الـذی ملأ الأرکان کلّها، وأسألک باسـمک الـذی وضـعته علی السـماوات فقامت، وأسألک باسـمک الذی وضـعته علی الأرضین فاستقرّت، وأسألک باسمک الذی وضعته علی الجبال فرست، وأسألک باسـمک الذی وضـعته علی اللیل فأظلم، وأسألک باسمک الذی وضعته علی النهار فاستنار، وأسألک باسمک الذی

يحيى به العظام وهى رميم، وأسألك بكتابك المنزل بالحقّ ونورك التام، أن ترزقنى حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم وتثبّتها فى قلبى، وأن تستعمل بها بدنى فى ليلى ونهارى أبداً ما أبقيتنى ياأرحم الراحمين) «۱».

۱۲- أخرج الهيثمى فى مجمع الزوائد عن العباس عن النبىّ صلى الله عليه و آله أنه قال:

«قال داود: أسألك بحقّ آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب» «۲».

۱۳- روى جمال الدين الزرندى الحنفى عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عن النبىّ صلى الله عليه و آله أنه قال: «إذا هالك أمر فقل: اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد اللّهم إنى أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد أن تكفينى شرّ ما أخاف وأحذر، فإنك تكفى ذلك الأمر» «۳».

۱۴- أخرج الحاكم الحسكانى عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «لما نزلت الخطيئة بآدم وأُخرج من جوار ربّ العالمين، أتاه جبرئيل فقال: ياآدم ادع ربّك، قال: ياحبيبى جبرئيل وبما أدعوه؟ قال: قل: ياربّ أسألك بحقّ الخمسة الذين تخرجهم من صلبى آخر الزمان إلّاتبت علىّ ورحمتنى، فقال:

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۰۰

حبيبى جبرئيل سمّهم لى، قال: محمّد النبىّ وعلىّ الوصىّ وفاطمة بنت النبىّ والحسن والحسين سبطىّ النبىّ، فدعا بهم آدم فتاب اللّه عليه، وذلك قوله: «فَتَلَقَّى ءادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ» وما من عبد يدعو بها إلّااستجاب اللّه له» «۱».

۱۵- وأخرج الحاكم النيسابورى فى المستدرك عن ابن عباس قال: «أوحى اللّه إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلّااللّه محمد رسول اللّه فسكن» قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. «۲»

وقد تقدّمت هذه الرواية عن السيوطى فى الدرّ المنثور وغيره بألفاظ أخرى فراجع، وقد جاء فيها أن سبب جعل تلك الكلمات واسطة ووسيلة هو حفاوتهم وكونهم أحبّ الخلق للّه‌عزّ وجلّ، كما تقدّم فى قول إبراهيم عليه السلام «إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا».

ب- آراء أعلام السنّة فى التوسّل ...: ص: ۳۰۰

۱- قول مالك للمنصور العباسى الدوانيقى عندما سأله قائلًا: أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول اللّه صلى الله عليه و آله؟: (ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى اللّه تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به) «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۰۱

۲- قال أبو بكر تقى الدين الحصنى الدمشقى الشافعى: (ومن أنكر التوسّل به والتشفّع به بعد موته وأن حرمته زالت بموته فقد أعلم الناس ونادى على نفسه أنه أسوأ حالًا من اليهود، الذين يتوسلون به قبل بروزه إلى الوجود، وأن فى قلبه نزغة هى أخبث النزغات) «۱».

۳- قال الحافظ تقىّ الدين السُبكى: (ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع فى كلّ شؤونهم ويرشدونهم إلى السنّة فى الزيارة وغيرها إذا صدرت منهم بدعة فى شىء، ولم يعدّوهم فى يوم من الأيام مشركين بسبب الزيارة أو التوسّل، كيف وقد أنقذهم اللّه من الشرك وأدخل فى قلوبهم الإيمان، وأول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودمائهم لحاجة فى النفس) «۲».

۴- ما نقله المناوى فى فيض القدير عن السُبكى مرتضياً له، حيث قال: (قال السبكى: ويحسن التوسّل والاستعانة والتشفّع بالنبىّ صلى الله عليه و آله إلى ربّه، ولم ينكر ذلك أحد من السلف ولا من الخلف، حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم، وابتدع ما لم يقله عالم قبله، وصار بين أهل الإسلام مثله) «۳».

وهذه العبارة عن السُبكى وسابقتها تكشف عن اجماع الطوائف السنّية على مشروعية التوسّل، ولم ينكر ذلك إلّاابن تيمية ومن جاء

بعده.

۵- قال السمهودى فى وفاء الوفا نقلًا عن كتاب العلل والسؤلات لعبداللَّه بن

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۰۲

أحمد بن حنبل: (قال عبداللَّه: سألت أبى عن الرجل يمسّ منبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ويتبرك بمسّه ويقبّله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب اللَّه تعالى؟ قال: لا بأس به) «۱».

۶- كذلك عن إسماعيل بن يعقوب التيمى، قال: (كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه وكان يصيبه الصمات، فكان يقوم كما هو ويضع خدّه على قبر النبىّ صلى الله عليه و آله ثم يرجع، فعوتب فى ذلك، فقال: إنه ليصيبنى خطرة، فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبىّ صلى الله عليه و آله) «۲».

نكتفى بهذا المقدار من الأقوال.

*****

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۰۳

خلاصة البحث ... ص: ۳۰۳

۱- إنّ التوسّل والتوجّه والتشفّع والتبرّك والتشفّى وطلب قضاء الحاجات كلّها عناوين لطبيعة واحدة، وهى ضرورة الواسطة بين العبد وربّه.

۲- إنّ التوسّل والتوجّه والتشفّع والتبرّك بأسماء وآيات وكلمات اللَّه وبأمر منه تعالى هو خالص التوحيد وليس شركاً ولا كفراً، بل عدم الانصياع لأمره تعالى بالتوجّه والتوسّل والتشفع بها لطلب القرب والزلفى إليه تعالى هو كفر واستكبار لأنه خروج على أمره تعالى.

۳- الذوبان وتمام الانصياع للوسائط والوسائل لطلب الزلفى إلى اللَّه تعالى هو عبادة للَّه‌لا للوسائط أو الوسائل لأنه ذوبان وانصياع فى تفضيل أمر اللَّه تعالى وهو معنى العبادة.

۴- أن التوسّل شرط شرعى فى قبول التوبة وسائر العبادات ونيل المقامات.

۵- أن التوسّل ضرورة عقلية وتاريخية وأديانية وقرآنية وروائية.

۶- أن الوسائط المرفوضة فى القرآن الكريم هى الوسائط المقترحة من قبل العبيد دون الوسائط المنصوبة من اللَّه عزّ وجلّ.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۰۴

۷- أن من الأسباب المهمّة فى إنكار التوسّل القول بالتجسيم أو نبوءة العقل.

۸- أن الاعراض عن الآيات الإلهية وترك التوسّل بها موجب لحبط الأعمال والخسران فى الدنيا والآخرة.

۹- لا فرق بين التوسّل والشفاعة إلّاباللحاظ.

۱۰- إن التوسّل والاستغاثة والتبرّك والاستشفاء من وادٍ واحد، وهى مصاديق متعدّدة لماهية واحدة.

۱۱- إنّ التوسّل توحيد اللَّه الأعظم، وهو أبلغ أنواع التعظيم والخضوع للَّه تعالى.

۱۲- إنّ جعل شىء وسيلة يتضمّن فى طيّات معناه عدم التأليه وأنّه واسطة لغيره وغيره هو الغاية، وأنما المشركون أشركوا لأنهم اقترحوا الوسيلة إلى اللَّه تعالى من ملء إرادتهم وتحكيمها على إرادة اللَّه، فجعلوا لأنفسهم صلاحيات الألوهية.

۱۳- إن اللَّه تعالى غاية الغايات وليس وسيلة كى يتوسّل به مباشرة، فمن يجعل اللَّه وسيلة لغاية غيره يكون مشركاً.

۱۴- إنّ التوسّل بالوسيلة هو حقيقة معتقد الشهادة الثانية والثالثة وحقيقة النبوّة والرسالة والولاية.

۱۵- إنّ التوسّل من أعظم أبواب العبادات والقربات إلى اللَّه تعالى.

*****

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۰۵

ثبت المصادر ... ص: ۳۰۵

۱- القرآن الكريم

۲- الصحيفة السجادية

الإمام زين العابدين، مؤسسة الإمام المهدى، ط ۱، ۱۴۱۱ ه ق.

۳- فقه الرضا

على بن بابويه القمى، مؤسسة آل البيت، ط ۱- ۱۴۰۶ ه.

۴- المحاسن

البرقى، دار الكتب الإسلامية.

۵- كمال الدين وتمام النعمة

الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامى، ۱۴۰۵ ه.

۶- التوحيد

الشيخ الصدوق، جماعة المدرسين، ۱۳۸۷ ه.

۷- معانى الأخبار

الصدوق، النشر الإسلامى، ۱۳۶۱ ه.

۸- تفسير القمى

على بن إبراهيم القمى، مؤسسة دار الكتاب، ط ۳- ۹- ۱۴۰۴ ه.

۱۰- تفسير فرات الكوفى

وزارة الثقافة والارشاد الإسلامى، ط ۱- ۱۱- ۱۴۱۰ ه.

۱۲- الهداية الكبرى

الحسين بن حمدان الخصيبى، مؤسسة البلاغ بيروت، ط ۴- ۱۴۱۱ ه.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۰۶

۱۳- كتاب الغيبة

النعمانى، مكتبة الصدوق- طهران.

۱۴- علل الشرائع

الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ۱۳۸۶ ه.

۱۵- الكافى

محمد بن يعقوب الكلينى، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ۳، ۱۳۸۸ ه.

۱۶- التبيان فى تفسير القرآن

الطوسى، دار إحياء التراث العربى، ط ۱، ۱۴۰۹ ه.

۱۷- مجمع البيان فى تفسير القرآن

الطبرسی، مؤسسة الأعلمی، بیروت، ط ۱، ۱۴۱۵ ه.

۱۸- وسائل الشیعة

الحر العاملی، مؤسسة آل البیت لإحیاء التراث، ط ۲، ۱۴۱۴ ه.

۱۹- تفسیر العیاشی

محمد بن مسعود بن عیاش السلمی السمرقندی، المکتبة العلمیة الإسلامیة، طهران.

۲۰- الوسیلة إلی نیل الفضیلة

ابن حمزة، مکتبة المرعشی النجفی، قم، الطبعة الأولی ۱۴۰۸ ه.

۲۱- تأویل الآیات

السید شرف الدین الاسترآبادی، مدرسة الامام المهدی- قم، ط ۱- ۱۴۰۷ ه.

۲۲- المقنع

الصدوق، مؤسسة الإمام المهدی، قم، ۱۴۱۵ ه.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۰۷

۲۳- الخصال

الصدوق، جماعة المدرسین، قم، ۱۴۰۳ ه.

۲۴- روضة الواعظین

الفتال النیسابوری، منشورات الرضی، قم.

۲۵- تهذیب الأحکام

الشیخ الطوسی، دار الکتب الإسلامیة، ط ۴، ۱۴۰۷ ه.

۲۶- النهایة

الشیخ الطوسی، دار الأندلس، بیروت.

۲۷- کفایة الأثر

الخزاز القمی الرازی، بیدار، قم، ۱۴۰۱ ه.

۲۸- الأمالی

الشیخ الطوسی، دار الثقافة، قم، ط ۱، ۱۴۱۴ ه.

۲۹- الاحتجاج

الطبرسی، دار النعمان، النجف الأشرف، ۱۳۸۶ ه.

۳۰- البرهان فی تفسیر القرآن

السید هاشم البحرانی، مؤسسة الأعلمی، بیروت، ط ۱، ۱۴۱۹ ه.

۳۱- الأمالی

الصدوق، مؤسسة البعثة، ط ۱، ۱۴۱۷ ه.

۳۲- بصائر الدرجات

محمد بن الحسن الصفار، مؤسسة الأعلمی- طهران، ۱۴۰۴ ه.

۳۳- عدة الداعی

ابن فهد الحلی، مکتبة الوجدانی- قم.

الامامة الالهیة(۵)، ج۴، ص: ۳۰۸

۳۴- کامل الزیارات

ابن قولویه، مؤسسة نشر الفقاهة، ط ۱- ۱۴۱۷ ه.

۳۵- مختصر بصائر الدرجات

الحسن بن سلیمان الحلّی، المطبعة الحیدریة، النجف، ط ۱، ۱۳۷۰ ه.

۳۶- الغدیر

الأمینی، دار الکتاب العربی، بیروت، ۱۳۷۹ ه.

۳۷- شرح احقاق الحق

السید المرعشی، مکتبة المرعشی النجفی، قم.

۳۸- بحار الأنوار

محمد باقر المجلسی، مؤسسة الوفاء، بیروت، ط ۲، ۱۴۰۳ ه.

۳۹- عیون أخبار الرضا علیه السلام

الصدوق، مؤسسة الأعلمی، بیروت، ط ۱، ۱۴۰۴ ه.

۴۰- لسان العرب

ابن منظور، دار إحیاء التراث، بیروت، ط ۱، ۱۴۰۵ ه.

۴۱- مسند أحمد بن حنبل

دار صادر، بیروت.

۴۲- صحیح البخاری

دار الفکر، بیروت، ۱۴۰۱ ه.

۴۳- صحیح مسلم

دار الفکر، بیروت.

۴۴- مناقب الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام

محمد بن سلیمان الکوفی القاضی، مجمع إحیاء الثقافة الإسلامیة، ط ۱، ۱۴۱۲ ه.

الامامة الالهیة(۵)، ج۴، ص: ۳۰۹

۴۵- سنن النسائی

دار الفکر بیروت، ط ۱، ۱۳۴۸ ه.

۴۶- تفسیر القرآن العظیم

ابن کثیر، دار المعرفة، بیروت، ۱۴۱۲ ه.

۴۷- البدایة والنهایة

ابن کثیر، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، ط ۱، ۱۴۰۸ ه.

۴۸- کتاب الدعاء

الطبرانی، دار الکتب العلمیة بیروت، ط ۱، ۱۴۱۳ ه.

۴۹- المستدرک علی الصحیحین

الحاکم النیسابوری، دار المعرفة، بیروت، ۱۴۰۶ ه.

۵۰- جامع البیان

ابن جریر الطبری، دار الفکر بیروت، ۱۴۱۵ ه.

۵۱- الدر المنثور

جلال الدین السیوطی، دار المعرفة، بیروت، ط ۱، ۱۳۶۵ ه.

۵۲- الجامع الصغیر

جلال الدین السیوطی، دار الفکر، بیروت، ط ۱، ۱۴۰۱ ه.

۵۳- فیض القدیر

المناوی، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط ۱، ۱۴۱۵ ه.

۵۴- شواهد التنزیل

الحاکم الحسکانی، مجمع إحیاء الثقافة الإسلامیة، ط ۱، ۱۴۱۱ ه.

۵۵- السیف الصقیل

الحافظ تقی الدین السبکی، مکتبة زهران.

الامامة الالهیة(۵)، ج۴، ص: ۳۱۰

۵۶- الشفا بتعریف حقوق المصطفی

القاضی عیاض، دار الفکر، بیروت، ۱۴۰۹ ه.

۵۷- وفاء الوفا

السمهودی.

۵۸- نظم درر السمطین

الزرندی الحنفی، ط ۱، ۱۳۷۷ ه.

۵۹- کشف الغمة

الأربلی، دار الأضواء بیروت، ط ۲ ص ۱۴۰۵ ه.

۶۰- دفع الشبه عن الرسول والرسالة

تقی الدین الحصنی الدمشقی الشافعی، دار إحیاء الکتاب العربی، القاهرة، ط ۲، ۱۴۱۸ ه.

۶۱- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

الهیثمی، دار الکتب العلمیة، بیروت، ۱۴۰۸ ه.

۶۲- زاد المسیر فی علم التفسیر

ابن الحوزی، دار الفکر، بیروت، ط ۱، ۱۴۰۷ ه.

۶۳- تحفة الأحوذی فی شرح الترمذی

مبارک فوری، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط ۱، ۱۴۱۰ ه.

۶۴- میزان الاعتدال

الذهبی، دار المعرفة، بیروت، ط ۱، ۱۳۸۲ ه.

۶۵- المعجم الكبير

الطبرانی، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

۶۶- الطبقات الكبرى

ابن سعد، دار صادر، بيروت.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۱۱

۶۷- الجامع لأحكام القرآن

القرطبی، مؤسسة التاريخ العربی، بيروت، ۱۴۰۵ ه.

۶۸- فضائل مكة والسكن فيها

الحسن بن يسار البصری، مكتبة الفلاح، الكويت، ۱۴۰۰ ه.

۶۹- معجم البلدان

ياقوت الحموی، دار إحياء التراث العربی، بيروت، ۱۳۹۹ ه.

۷۰- الأم

الشافعی، دار الفكر، بيروت، ط ۲، ۱۴۰۳ ه.

۷۱- المجموع فی شرح المهذب

النووی، دار الفكر، بيروت.

۷۲- مغنی المحتاج

الخطيب الشربينی، دار إحياء التراث العربی، بيروت، ۱۳۷۷ ه.

۷۳- مواهب الجليل

الحطّاب الرعينی، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ۱، ۱۴۱۶ ه.

۷۴- حواشی الشروانی

عبدالحميد الشروانی، دار إحياء التراث العربی، بيروت.

۷۵- السنن الكبرى

البيهقی، دار الفكر، بيروت.

۷۶- الفصول المهمة

ابن الصباغ المالكی، دار الحديث، ط ۱، ۱۴۲۲ ه.

۷۷- فضائل الصحابة

أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت.

الامامة الالهية(۵)، ج۴، ص: ۳۱۲

۷۸- إملاء ما من به الرحمن

أبو البقاء العكبری، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ۱، ۱۳۹۹ ه.

۷۹- فتح القدير

الشوكانی، عالم الكتب.

۸۰- سبل الهدی والرشاد

الصالحی الشامی، دار الکتب العلمیة، بیروت ط ۱، ۱۴۱۴ ه.

۸۱- کنز العمال

المتقی الهندی، مؤسسة الرسالة، بیروت، ۱۴۰۹ ه.

۸۲- جلاء الأفهام

ابن قیم الجوزیة، تحقیق محیی الدین دیب مستو، دار الکلم الطیب، دار ابن کثیر، الطبعة الثالثة.

۸۳- مناقب أمیر المؤمنین

ابن المغازلی الشافعی.

۸۴- تاریخ مدینة دمشق

ابن عساکر، دار الفکر، ۱۴۱۵ ه.

۸۵- شرح نهج البلاغة

ابن أبی الحدید، دار إحیاء الکتب العربیة، ط ۱، ۱۳۷۸ ه.

۸۶- السقیفة وفدک

أبو بکر الجوهری البغدادی، شرکة الکتبی، بیروت، ط ۲، ۱۴۱۳ ه.

۸۷- فتح العزیز فی شرح الوجیز

عبد الکریم الرافعی، دار الفکر، بیروت.

۸۸- سنن الدارقطنی

علی بن عمر الدارقطنی، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط ۱، ۱۴۱۷ ه.

الامامة الالهیة(۵)، ج۴، ص: ۳۱۳

۸۹- روضة الطالبین

محیی الدین النووی، دار الکتب العلمیة، بیروت.

۹۰- فتح المعین

الملیباری الهندی، دار الفکر، ط ۱، ۱۴۱۸.

۹۱- لسان المیزان

ابن حجر العسقلانی، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بیروت، ط ۲، ۱۳۹۰ ه.

۹۲- شعار أصحاب الحدیث

محمد بن إسحاق الحاکم، دار الخلفاء، الکویت.

۹۳- سنن أبی داود

السجستانی، دار الفکر، بیروت، ط ۱، ۱۴۱۰ ه.

۹۴- کتاب المصنف

أبو بکر عبدالرزاق الصنعانی، المجلس العلمی.

۹۵- الأذکار النوویة

یحیی بن شرف النووی، دار الفکر، ۱۴۱۴ ه.

۹۶- المعجم الأوسط

الطبرانی، دار الحرمین، ۱۴۱۵ ه.

۹۷- الإغاثة بأدلة الاستغاثة

حسن السقاف، مکتبة الإمام النووی، عمان، ط ۱، ۱۴۱۰ ه.

۹۸- عقد الدرر فی أخبار المهدی المنتظر

عبد العزیز الشافعی المقدسی.

۹۹- ینابیع المودة

القندوزی الحنفی، دار الأسوة، ط ۱، ۱۴۱۶ ه.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹